الجوابُ الصَّحيح لِمَن بَدَّلَ دِيْنَ المَسِيح

لشيخ الإسلام

أحمد بن تيمية

الجزءُ الرَّابع

تحقيق

مجدِى قاسِم

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

وقال دانيال ـ عليه السلام ـ وذكر محمداً صلى الله عليه وسلم باسمه فقال : « ستنزع في قسيك إغراقًا ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء »

فهذا تصريح بغير تعريض ، وتصحيح ليس فيه تمريض .

فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا آخر ، اسمه محمد ، له سهام تنزع ، وأمر مطاع لا يدفع .

وقال دانيال النبي أيضًا ، حين سأله بختنصر ، عن تأويل رؤيا رآها ، ثم نسيها : رأيت أيها الملك صنما عظيما قائمًا بين يديك ، رأسه من ذهب ، وساعداه من الفضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من الخزف ، ورأيت حجراً لم تقطعه يد إنسان ، قد جاء وصك ذلك الصنم ، فتفتت وتلاشي ، وعاد رفاتا ، ثم نسفته الرياح ، فذهب وتحول ذلك الحجر ، فصار رجلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها ، فهذا ما رأيت أيها الملك ؟

فقال بختنصر : صدقت فما تأويلها ؟

قال دانيال : أنت الرأس الذي رأيت من الذهب ، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة ، وهما دونك ، ويقوم بعدهما مملكة أخرى وهي دونها ، وهي التي تشبه النحاس ، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شئ .

فأما الرِّجلان التي رأيت من خزف ، فمملكة ضعيفة ، وكلمتها سخينة

وأما الحجر الذي رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته ، فهو نبي يقيمه الله إله السماء والأرض من قبيلة بشريعة قوية ، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها ، حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا ، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك .

قلت : فهذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا بعث المسيح ، فهو الذي بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانهم دائم لا يقدر أحد أن يزيله ، كما زال ملك اليهود ، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوساطها .

فصل

قالوا: و قال دانيال النبي أيضاً : « سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل ، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الأنبياء ، أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه ، فقال : السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول : إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علي ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلت عليهم بختنصر ، فقتل رجالهم ، وسبى ذراريهم ، وهدم مسجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده بهم ، وأنا غير راضٍ عنهم ، ولا مقيلهم عثرات ، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول ، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت إليها ملاكي وبشرها ، وأوحى إلى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء ، وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسري به إلي وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه ، وأسلم عليه وأوحي

إليه ، ثـم أرده إلى عبادي بالسـرور والغبطة ، حـافظًا لما استـودع صادقًا فيمـا أمر ، يدعو إلى توحـيدي باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، رءوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه إلي توحيدي وعبادتي ، ويخبرهم بما رأى من آياتي ، فيكذبونه ويؤذونه .

ثم سرد دانيال قـصة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمـلاه عليه الملك ، حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة ، وانقضاء الدنيا .

وهذه البـشـارة الآن عند اليـهـود والنصـارى يقـرءونهـا ، ويقـولون : « لم يظهـر صاحبها بعد » .

قال أبو العالية : فأنا قـرأت ذلك المصحف ، وفيه صـفتكم وأخباركم وسـيرتكم ولحون كلامكم ، وكان أهل الناحية ــ يعني أرض السـوس حيث دانيال مدفون بها ــ إذا أجـدبوا كشـفوا عن قبـره ، فيسقـون ، فكتب أبو مـوسى في ذلك إلى عمـر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : أن احفر بالنهـار ثلاثة عشر قبراً ، وادفنه بالليل في واحد منها ، لئلا يفتتن الناس به .

فصــل

قـالوا : قـال كعـب ــ وذكر صـفـة رسـول الله صلى الله تعـالى عليـه وسلم في التوراة ويريد بهـا التوراة التي هي أعم من التوراة المعيـنة ــ : «أحمد عبـدي المختار لا فظ ولا غليظ ، ولا سـخاب في الأسـواق ، ولا يجزي بالسيئـة السيئة ، ويعفو ويغفر ، مولده بكَّا ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمـته الحامدون ، يحمدون الله علـى كـل نجد ، ويسـبحـونه في كل نزلة ، ويغـضـون أطرافـهـم ، ويأتزرون على أنصـافهـم ، وهم رعاة الشـمس ، ومؤذنهم في جـو السمـاء ، وصـفهـم في الجهاد والصلاة سـواء ، رهبان بالليل : أسـد في النهار : لهم دويٌّ كـدوي النحل : يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كناسة » .

فصــل

قالوا : قال ابن أبي الزناد : حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عمر بن حفص : وكان من خيار الناس : قال : « كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الإسلام ، فيها اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين تبار ، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يتزرون على أوساطهم ، ويرصدون أطرافهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم : فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة» .

فصــل

قالوا : قال أشعياء ــ وذكر قصة العرب فقال : « ويدوسون الأمم دياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسيّ موترة من شدة الملحمة » وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ويوم حنين ، وفي غيرها من الوقائع .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي :

فصل في كلمة الإنجيل وتفسيرها

قالوا : وقال يوحنا الإنجيلي : قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله : « إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي ، هو يعلمكم كل شئ » .

وقال يوحنا التلميذ أيضًا ، عن المسيح أنه قال لتلاميذه : « إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر ، يثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، ولست أدعكم أيتامًا لأني سآتيكم عن قريب » .

وقال يوحنا : قال المسيح : « من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي ، وعنده يتخذ المنزل ، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم ، والفار قليط روح الحق الذي

يرسله أبي هو يعلمكم كل شئ ، وهو يذكركم كل ماقلت لكم ، استودعتكم وأمي لا تقلق قلوبكم ولا تجزع ، فإني منطلق وعائد إليكم ، لو كنتم تحبوني ، كنتم تفرحون بمضيّ إلى الأب ، فإن أنتم ثبتم في كلامي ، وثبت كلامي فيكم ، كان لكم كل ماتريدون ، وبهذا يمجد أبي » .

وقال أيضًا : « إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله ، روح الحق الذي من أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان تؤمنوا به ، ولا تشكوا فيه » .

وقال أيضًا : « إن خيرًا لكم أن أنطلق ، لأني إن لم أذهب ، لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فهو يوبخ العالم عن الخطيئة ، وإن لي كلامًا كثيراً ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلي جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم مما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب » .

وقال يوحنا الحواري : قال المسيح :« إن أركون العالم سيأتي ، وليس لي شئ » .

وقال متيّ التلميذ : قال المسيح : « ألم يقروا أن الحجر الذي أرذله البناءون ، صار رأسًا للزاوية من عند الله ، كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا ، ومن أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخري ، تأكل ثمرها ، ومن سقط على هذا الحجر ينشرح ، وكل من سقط هو عليه يمحقه » .

وقال يوحنا التلميذ ، في كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكسيس : « يا أخاي ، إياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميِّزُوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيًا ، فهي من عند الله ، وكل روح لا يؤمن بأن يسوع المسيح جاء وكان جسدانياً ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب ، الذي سمعتم به ، وهو الآن في العالم » .

وقال شمعون الصفا ، رئيس الحواريين ؛ في كتاب فراكسيس : « إنه قد حان أن يبتدئ الحكم من بيت الله ابتداء » .

قلت : وهذا اللفظ ، لفظ الفارقليط ، في لغتهم ذكروا فيه أقوالا :

قيل : إنه الحماد ، وقيل إنه الحامد ، وقيل : إنه المعز ، وقيل : إنه الحمد ، ورجح هذا طائفة ، وقالوا : الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد : والدليل عليه قول يوشع : من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد ـــ أي حمد جيد ـ وقولهم المشهور في مخاطبتهم : فارقليط وفار قليطان وما زاد على الجميع ، أي حمد ومنه كما يقول تحويد ، ومنه رويده يأتي بعد قوله : وواحد منهما بقى عبرانيا .

ومن قال : معناه المخلص ، فيحتجون بأنها كلمة سريانية ، ومعناها المخلص ، وقالوا : هومشتق من قولنا : « فار » ويقال بالسريانية « فاروق » فجعل فارق .

قالوا : ومعنى «ليط» كلمة يراد بها التثبت والتقدير ، كما يقال في العربية : رجل هو ، وحجر هو ، وبدر هو ، وذكر هو .

قالوا : وكذلك يراد في السريانية «ليط» .

والذين قالوا : هو المعز ، قالوا : هو في لسان اليونان ، المعز .

ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية .

ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية ، وترجم عنه بلغة أخرى ، كما أملوا أحد لأناجيل باليونانية ، وآخر بالسريانية ، والآخر بالرومية ، وواحد منها بقى عبرانيا .

وقد اختلف فيه ، فمن النصارى من قال : هو روح نزلت على الحواريين ، وقد يقولون : إنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ، ففعلت الآيات والعجائب . ولهذا يقول من خبر أحوال النصارى : إنه لم يرأحد منهم يحسن تحقيق مجئ هذا

الفارقليط الموعود به .

منهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوما وكونه قام من قبره .

وتفسيره بالروح باطل ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح لوجوه :

منها : أن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب : أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ ، [سورة المجادلة : ٢٢] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين (١) « اللهم أيده بروح القدس » وقال (٢) : « إن روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيه » .

وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطاً ، دل علي أن الفار قليط أمر غير هذه .

وأيضاً فمثل هذه ما زالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح أمر عظيم ، يأتي بعده أعظم عن هذا .

وأيضاً فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا وإنما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً له ، فإنه قال : « إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب أن

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم إلى الأبد »

فقوله «فارقليطا آخر» دل على أنه ثان لأول كان قبله ، ولم يكن معهم في حياة المسيح إلا هو لم تنزل عليهم روح ، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيراً له ، ليس أمراً معتاداً يأتي الناس .

وأيضًا فإنه قال : « يثبت معكم إلى الأبد» وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر .

ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره . فعلم أن الفار قليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد .

وهذا يبين أن هذا الثاني صاحب شرع لا ينسخ بخلاف الأول .

وهذا إنما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم .

وأيضًا فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذي أخبر به ، يشهد له ، ويعلمهم كل شئ ، وإنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على الخطيئة ، فقال : « والفارقليط الذي يرسله أبي ، هو يعلمكم كل شئ ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم » .

وقال : «إذا جاء الفار قليط الذي أني أرسله ، وهو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه » .

وقال : «إن خيراً لكم أن انطلق ، لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفار قليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، وإن لي كلاما كثيراً أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن إذ جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب » .

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح ، لا تنطبق على شئ في قلب

بعض الناس ، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه ، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شئ ، ويذكرهم كل ماقال لهم المسيح ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويرشد الناس إلى جميع الحق ، وهو لا ينطق من عنده ،بل يتكلم بما يسمع ،ويخبرهم بكل ما يأتي ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين .

وهذا لا يكون ملكا لا يراه أحد ، ولا يكون هدى ولاعلماً في قلب بعض الناس ، بل لا يكون إلا إنسانًا عظيم القدر ، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشراً رسولا بل يكون أعظم من المسيح ، فإن المسيح بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس في أمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقه الرب ، حيث قال : «وإن لي كلامًا كثيراً ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم إلي جميع الحق ؛ لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب» .

وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات ، وعن ملائكته ، وعن ملكوته ، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائه ، وفي النار لأعدائه ، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل ، ولهذا قال عليٌ رضي الله عنه (١) : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟! » .

وقال ابن مسعود (٢) : ما من رجل يحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم ، إلا كان فتنة لبعضهم .

---

(١) « صحيح » رواه البخارى فى كتاب « العلم » باب « من خص بالعلم قوماً دون قوم ... » (٢٧٢/١ ح١٢٧)

(٢) « صحيح » رواه مسلم فى « المقدمة » باب « النهى عن الحديث بكل ما سمع » (١/ ١٠ ، ١١ ح ٥)

وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ ، [سورة الطلاق : ١٢] قال (١) : ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت ، وكفرك بها تكذيبك بها .

فقال لهم المسيح عليه السلام : « إن لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله » وهوالصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الإنجيل من صفات الله وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة ، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة ، مع أن موسى كان قد مهد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد قال لهم المسيح : « إن لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله » ثم قال : « ولكن إذا جاء روح الحق ، ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق » وقال : « إنه يخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم بجميع ما للرب » .

فدل هذا على أن هذا الفارقليط ، هو الذي يفعل هذا دون المسيح .

وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم أرشد الناس إلى جميع الحق ؛ حتى أكمل الله له الدين ، وأتم به النعمة ، ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق شئ يأتي به غيره ، وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال ، والجنة وأنواع نعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، فلهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار ، وما يأتي من ذلك ، أمور كثيرة ، لا توجد ، لا في التوراة ، ولا في الإنجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : إنه يخبر بكل ما يأتي .

---

(١) رواه ابن الضريس فى كتاب « فضائل القرآن » (ص ٢٦ ح٣)ط « دار الفكر »
ورواه ابن جرير فى « تفسيره » (٩٩/٢٨)
وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٣٨/٦) . لعبد بن حميد أيضاً .

ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة ، كما قال (١) : « بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه ، السبابة والوسطى » .

وكان إذا ذكر الساعة ، علا صوته ، واحمر وجهه ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش .

وقال (٢) : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

وقال (٣) : « أنا النذير العريان » .

فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يخبر به نبي من الأنبياء ، كما نعته به المسيح حيث قال : « إنه يخبركم بكل ما يأتي » ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد

---

(١) « صحيح » عن « جابر بن عبد الله » ورواه مسلم فى كتاب « الجمعة » باب « تخفيف الصلاة والخطبة » (٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ح٨٦٧)

ورواه النسائى فى كتاب « صلاة العيدين » باب « كيف الخطبة » (١٨٨/٣ ، ١٨٩) « واللفظ له »

ورواه أيضاً فى الكبرى كتاب « العلم » باب « الغضب عند الموعظة ...» (٤٤٩/٣ ، ٤٥٠ح٥٨٩٢)

ورواه ابن ماجه فى « المقدمة » باب « اجتناب البدع والجدل » (١٧/١ح٤٥)

(٢) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٣٦٠/٨ح٤٧٧٠)

ورواه أيضاً برقم (٤٨٠١ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٧٢)

ورواه مختصراً دون ذكر الشاهد برقم (٣٥٢٥ ، ٣٥٢٦ ، ٤٩٧٣)

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « فى قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين » (١٩٣/١ ، ١٩٤ح٢٠٨)

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة تبت » (٢٩٦/٩ ، ٢٩٧ح٣٤٢٢)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « عمل اليوم والليلة » باب « الإنذار » (٢٤٤/٦ح١٠٨١٩)

ورواه أيضاً برقم (١٠٨١٨) مختصراً ورواه أيضاً برقم (١١٤٢٦ ، ١١٧١٤)

(٣) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب « الانتهاء عن المعاصى » (٣٢٢/١١ ، ٣٢٣ح٦٤٨٢) ورواه أيضاً برقم (٧٢٨٣)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ...» (١٧٨٨/٤ ، ١٧٨٩ح٢٢٨٣)

من الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن يوجد شئ ينزل على قلب بعض الحواريين .

وأيضًا فقال : « ويعرفكم جميع ما للرب » فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله ، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات ، وماله من حقوق وما يجب من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ؛ بحيث يكون ما يأتي به جامعًا لكل ما يستحقه الرب .

وهذا لم يأت به أحد غير محمد ، حيث يتضمن ما جاء بهٌ من الكتاب والحكمة ، هذا كله .

ومعلوم أن ما نزل على الحواريين ، لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه ، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون ، وهذا الفار قليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح .

وأيضًا ، فإن المسيح قال : « إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه » .

فبين « أنه أخبركم به لتؤمنوا به إذا جاء ولا تشكوا فيه ، وأنه يشهد له » وهذه صفة من بشر به المسيح ، ويشهد للمسيح كما قال تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف : ٦] وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة ، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه أنذر جميع العالمين من أصناف الناس ، ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ، ووبخ جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم ، ووبخ المجوس ، وكانت مملكتهم أعظم الممالك ، ووبخ أهل الكتابين ، اليهود والنصارى ، وقال في الحديث الصحيح عنه (١) « إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب » ، فلم يقتصر على مجرد الأمر

(١) سبق تخريجه

والنهي ، بل وبخهم وقرعهم وتهددهم .

وأيضًا فإنه أخبر أنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل مايسمع .

وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه ، ليس هو شيئًا تعلمه من الناس ، أو عرفه باستنباطه ، وهذه خاصة محمد صلي الله عليه وسلم ، فإن المسيح ومن قبله من الأنبياء ، كانوا يتعلمون من غيرهم ، مع ما كان يوحي إليهم فعندهم علم ما يسمعونه من الوحي .

ومحمدصلى الله عليه وسلم لم ينطق إلا بما يسمعه من الوحي ، فهو مبلغ لما أرسل به ، وقد قيل له : ﴿ بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة : ٦٧] فضمن الله له العصمة إذا بلغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق ، وألقي إلى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه ، خوفًا أن يقتلوه ، كما يذكرون عن المسيح وغيره .

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده ، وأنهم لا يطيقون حمله .

وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم ، إذا أخبرهم بحقائق الأمور .

ومحمد صلي الله عليه وسلم أيده الله تأييدًا ، لم يؤيده لغيره ، فعصمه من الناس حتى لم يخف من شئ يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم ، ما لم يؤته غيره .

فالكتاب الذي بعث به ، فيه من بيان حقائق الغيب ، ماليس في كتاب غيره .

وأيد أمته تأييدًا أطاقت به حمل ما ألقاه إليهم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ، ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح : « إن لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله » .

وروي أن المسيح قال : « جئتكم بالأمثال ، وهو يجيئكم بالتأويل »

ولا ريب أن أمة محمدًا أكمل عقولا وأعظم إيمانًا ، وأتم تصديقًا وجهادًا.

ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية ، وإيمانهم ، أعظم .

وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله

وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ، [البقرة : ٢٨٥ — ٢٨٦] ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أن الله قال : قد فعلت .

وأيضاً فإنه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له ، وأنه يعلمهم كل شيء وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس ، لا يكون هذا شيئاً في قلب طائفة قليلة .

ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق ، حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود ، وعما غلت فيه النصارى ، فهو الذي شهد له بالحق .

ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم (١) : « ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود » .

وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس ، يشهدون عليهم بما علموه من الحق ، إذ كانوا وسطاً عدلا ، لا يشهدون بباطل ، فإن الشاهد لا يكون إلا عدلا ، بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق أو نقص منه ، كشهادة اليهود والنصارى في المسيح وأيضاً ، فإن معنى الفارقليط ، إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعز ، فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه وأمته ، الحمادون ، الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبته ، ومفتاح صلاته .

ولما كان حماداً جُوزي بوصفه ، فإن الجزاء من جنس العمل ، فكان اسمه محمداً وأحمد .

وأما محمد علي وزن مكرم ومعظم ، وهوالذي يحمد حمدًا كثيرًا مبالغًا فيه ، ويستحق ذلك ، فلما كان أحمد ، كان محمدًا ، وفي شعر حسان بن ثابت :

وَشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ   فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهذَا مُحَمَّدُ

وأما أحمد ، فهو أفعل التفضيل ، هو أحمد من غيره ، أي أحق بأن يكون محمودًا أكثر من غيره ، يقال هذا أحمد من هذا ، أي هذا أحق بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل له علي غيره في كونه محمدًا .

فلفظ « محمد » يقتضي فضله في الكمية ، ولفظ « أحمد » يقتضي فضله في الكيفية .

ومن الناس من يقول : أحمد ، أي أكثر حمدًا من غيره .

فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد .

وقال من رجح ، أن معنى الفارقليط في لغتهم هو الحمد كما تقدم : وإذا كان كذلك فهو ما جاء في القرآن : ﴿ ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ ، [سورة الصف : ٦] قالوا : ولاشك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد ، مثل ما نقول في لغتنا : ضارب ومضروب .

وأما من فسره بالمعز ، فلم يعرف قط نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان ، كما أعزهم محمد ، فهو الحق باسم المعز من كل إنسان .

وأما معنى المخلص ، فهو أيضًا ظاهر فيه ، فإن المسيح هو المخلص الأول ، كما ذكر في الإنجيل ، وهو معروف عند النصارى أن المسيح صلوات الله عليه قد سمى مخلصًا ، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول ، وقد بشر بفارقليط آخر ، فإنه قال : « وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فار قليطا آخر ، يثبت معكم إلي الأبد » ، فهذا بشارة بمخلص ثان يثبت معهم إلي الأبد ، والمسيح هو المخلص الأول .

وأما ما ينزل في القلوب ، فلم يسمه أحد مخلصًا ، ولا فارقليطًا ، ولا يجور أن

يفسر كلام المسيح إلا بلغته ومعانيه المعروفة في لغته ، التي خاطب بها ، وكذلك سائر الأنبياء ، بل وسائر الناطقين .

وقد وصف هذا المخلص الثاني بأنه يثبت معهم إلى الأبد .

ومحمد هو المخلص الذي جاء بشرع باق إلى الأبد : لا ينسخ .

وأيضًا فإن في الإنجيل ، إنجيل يوحنا ، أن المسيح قال : « إن أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء » .

وقد ذكروا أن الأركون بلغتهم عظيم القدر ، والأراكنة : العظماء ، وقد كانوا يقولون عن المسيح : إن أركون الشياطين بعينه ، أي عظيم الشياطين ، وهو من افتراء اليهود على المسيح .

فقول المسيح عليه السلام « أركون العالم » إنما ينطبق على عظيم العالم وسيد العالم ، وكبير العالم .

وقد أخبر أنه سيأتي ، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحدًا مثله .

ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم ، غير محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من بشارة المسيح به .

وقد سئل صلى الله عليه وسلم (١) : ما كان أول أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور ، أضاءت له قصور الشام ببصرى » .

وبالجملة ، فمعلوم باتفاق أهل الأرض ، والاضطرار ، أنه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم ، باطنا وظاهرًا ، وانقادت له القلوب والأجساد ، وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته ، في جميع الأعصار ، وأفضل الأقاليم شرقًا وغربًا ، أحد ، غير محمد ، فإن الملوك يطاعون ظاهرًا لا باطنًا ، ولا يطاعون بعد موتهم ، ولا يطيعهم

---

(١) سبق تخريجه

أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة ، بخلاف الأنبياء .

محمد أظهر دين الرسل قبله ، وصدقهم ونوه بذكرهم وتعظيمهم ، فبه آمن بالأنبياء والرسل ، مثل موسى والمسيح وغيرهما ، أمم عظيمة ، لولا محمد لم يؤمنوا بهم .

ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب ، كانوا مختلفين فيه كاختلاف أهل الكتاب في المسيح ، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما ، بما هو معروف عندهم .

وأيضًا فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه ، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم .

ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق المسيح في أخباره : بأنه أركون العالم ، فقال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر : آدم فمن دونه تحت لوائي ، أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا .

وهو صاحب لواء الحمد ، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة ، فهو سيد العالمين حقًا ، وهذا مطابق لقول المسيح : « إنه أركون العالم » فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة ، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة .

وقول المسيح : « إن أركون العالم سيأتي ، وليس لي شئ » تضمن الأصلين إثبات الرسول ، وإثبات التوحيد وأن الأمر كله لله ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وقول المسيح : « ليس لي شئ » تنزيه له مما نسب إليه من الربوبية ، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق ، قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ليس لك من

الأمر شئ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] وقال تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحي إليّ ﴾ ، [الأنعام : ٥٠] وقال : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إنيّ لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً (أي ملجأ وملاذا) إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ [الجن : ٢١ - ٢٣] وقال تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرا إلا ما شاء الله ﴾ ، [الأعراف : ١٨٨] وأيضًا ففي نبوة أشعيا أنه وصف محمداً بأنه أركون السلم ، والسلم والصلام الإسلام ، فهو يبين أنه سيد دين الإسلام .

ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام ، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكره من بينهم في الأرض ، كما ظهر لمحمد ، فمحمد أركون الإسلام الذي يجمع كل خير وبر ، كما أن إبليس أركون الشر ، قال تعالى عن نوح : ﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون * فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ ، [يونس : ٧١ - ٧٢] . فهذا نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض يذكر أنه أمر أن يكون من المسلمين .

وقال تعالى عن إبراهيم : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، [البقرة : ٢٣٠ - ٢٣٢] ، ﴿ وقال موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ ، [النمل : ٤٤] وقالت بلقيس : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ ، [النحل : ٤٤] وقالت السحرة ، لما أسلموا وأراد فرعون قتلهم : ﴿ ربنا أفرغ علينا

صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ ، [الأعراف : ١٢٦] ، وقال : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ ، [المائدة : ٤٤] وقال : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ [المائدة : ١١١] وقال تعالى : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ، [آل عمران : ٥٢ ، ٥٣] .

فإن قيل : فقد سمى المسيح الفارقليط روح الحق ، وسماه روح القدس .

قيل : قد قال يوحنا في كتاب أخبار الحواريين المسمى « افراكيس» : « يا أحبابي أياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء ، فكان جسدانيًا ، فهي من عند الله ، وكل روح لا يؤمن بأن المسيح قد جاء ، فكان جسدانيًا ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم » .

وإذا كان كذلك علم أن الروح ـ عندهم ـ يتناول النبي المرسل من البشر .

وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد ، هو روح القدس ، وهو روح الحق كما قال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ، [النحل : ١٠٢] وقال : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ ، [الشعراء : ١٩٣] وقال : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ ، [البقرة : ٩٧] وهذا الروح إنما جاء بمجئ محمد ، والكلام الذي نزل به ، هو الذي بلغه محمد ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ ، [سورة الحج : ٧٥] فاصطفى الله جبريل من الملائكة ، واصطفى محمداً من البشر ، ولهذا يشير القول الذي هو القرآن إلى نزول هذا تارة ، وإلى نزول هذا تارة ، كما قال تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين ﴾ ، [التكوير : ٢٠ ، ٢١] فهذا الرسول هنا جبريل وقال في الأخرى : ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول

شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ ، [الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣] ، فهذا الرسول هنا محمد ، وأضافه إلى كل منهما بلفظ الرسول ، لتضمنه أنه بلغه عن مرسله ، لم يقل : إنه لقول ملك ، ولا نبي بل كفر من قال : إنه قول البشر ، كما ذكر ذلك عن الوحي ، وقد قال تعالى في القرآن : ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾ ، [الطلاق : ١٠ - ١١] ومعلوم أن الرسول نفسه لم ينزله بل أبدل الرسول من الذكر ، لأن الرسول جاء بالذكر .

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أموراً متلازمة ، يلزم من ثبوت واحد ، ثبوت الآخرين ، ومن الإيمان بواحد ، الإيمان بالآخرين فيلزم من كون القرآن حقًا ، كون جبريل ومحمد حقًا ، وكذلك يلزم من كون محمد حقًا ، كون جبريل والقرآن حقًا ، ويلزم من كون جبريل حقًا كون القرآن ومحمد حقًا .

ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة وبالأنبياء من جهتين ، من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة ، فكان الأمر كما أخبروا به . وهذا آية لنبوتهم .

وإخبارهم بنبوته ، دليل على نبوته ، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره ، دليلا علي نبوة من قبله ، وعلى نبوته .

وكما أن إخباره هو أيضًا عنهم مع بعد العهد خبراً لم يتعلمه من بشر دليلا على نبوته وقد أخبر بنبوتهم ، فثبتت نبوته ونبوتهم صلى الله عليهم أجمعين .

الجهة الثانية أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه ، ولا تشاعر ، لم يأخذوا عنه ، ولم يأخذ عنهم .

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة ، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطئ فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر ، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة ، علم أن كلا من المخبرين صادق ، وقال تعالي : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ ،

[يوسف : ٧] وقص قصته في السورة إلي أن قال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين * وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ ، [يوسف : ١٠٢ - ١٠٦] إلى قوله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ، [يوسف : ١٠٨ - ١١١] وقال تعالى : ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ ، [الكهف : ٨٣] وقال : ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، [الإسراء : ٨٥] وقال : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا ﴾ ، [الكهف : ٩] وقال تعالى ، لما قص قصة نوح في سورة هود ، وهي أطول ما قصه الله في القرآن من قصة نوح : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ ، [هود : ٤٩] ، فذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب ، ما كان يعلمه هو ولا قومه من هذا .

فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك ، لا من أهل الكتاب ، ولا من غيرهم وهو لم يعاشر إلا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ، ويعلمون أيضًا أنه هو لم يكن يعلم ذلك ، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم ، وهم لا يعلمون ذلك ، صار هذا حجة على قومه ، وعلى من بلغه خبر قومه .

ومثل هذا ما أخبرهم عن قصة آدم ، وسجود الملائكة له ، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة ، وهبط هو وزوجته وأخبرهم عن نوح ودعاه على قومه ، ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً .

وهذا في التوارة الموجود بأيدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده وأخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه ، وإلقائه في النار ، وذبح ولده ومجئ الملائكة إليه في صورة ضيفان ، وتبشيره بإسحاق ويعقوب وذهاب الملائكة إلى لوط ، وما جرى للوط مع قومه ، وإهلاك الله مدائن قوم لوط ، وقصة يعقوب مع بنيه ، كقصة يوسف وما جرى له بمصر ، وقصة موسى مع فرعون ، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة ، وآياته كالعصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم ، وفلق البحر ، وتظليل الغمام على بني إسرائيل ، وإطعامهم المن والسلوى ، وانفجار الماء من الحجر اثنى عشر عينا لسقيهم ، وعبادتهم العجل ، وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم ، وقصة البقرة ، ونتق الجبل فوقهم ، وقصة داود ، وقتله لجالوت ؛ وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى ، وعيسى ابن مريم ، وأحوال المسيح وآياته ، ودعائه لقومه . والآيات التي بعث بها ، وتفاصيل ذلك ، وذكر قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين ، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار ، مفصلة مبينة بأحسن بيان ، وأتم معرفة ، مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلي أن ادعى النبوة ، أنه لم يتعلم هذا من بشر ، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك ، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم ، كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي أو من أخذ عن نبي فإذا لم يكن هو قد أخذه عن نبي ، تعين أن يكون نبياً

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ، من طرق :

أحدها : ـ أن قومه المعادين له ، الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته ، مع كمال علمهم ، لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر ، لطعنوا عليه بذلك وأظهروه ، فإنهم ـ مع علمهم ـ بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه ، يمتنع أن لا يقدحوا فيه ، ويمتنع أن لا يظهر ذلك .

الثاني : ـ أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون : إنه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك .

الثالث : ـ أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ، ولو أظهروا ذلك ، لنقل ذلك وعُرِف ، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها .

الرابع : ـ أنه حين بعث ، كان الناس إما مشركا ، وإما كتابيًا ، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه .

وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم ، لم يكونوا يعرفون هذه القصص و لو قدر أنهم كانو ا يعرفونها ، فهم أول من دعاهم إلي دينه فعادوه وكذبوه ، فلو كان فيهم من علمه ، أو يعلم أنه تعلم من غيره لأظهر ذلك .

الخامس : ـ أن مثل هذا لو كان ، فلابد أن يعرفه ، ولو خواص الناس ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك ، وكان ذلك يشيع ، ولو تواصوا بكتمانه ، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية ، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه ، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن ، كما عرف في نظائر ذلك .

فكيف ، وكان أخص أصحابه ، وأعلمهم بحاله ، أعظمهم محبة وموالاة ؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر ، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن .

فإذا علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة ، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق ، يخبرون أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا ، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا .

علم الناس ما علمه قومه من أن هذا إنما أنبأه به الله ، وكان هذا من إعلامه وآياته وبراهينه ، وهذا مما بين الله في القرآن أنه من آياته ، وإنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عدواتهم له ، ولم يمكن أحدًا منهم أن يقول له : بل فينا من كان يعلم ذلك ، وأنت كنت تعلم ذلك ، وقد تعلمته منا أو من غيرنا .

فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم ، مع فرط عداوتهم له ، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك .

ولهذا لما كان بعضهم يفترى عليه فرية ظاهرة كانوا كلهم يعلمون كذبه ، وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعترفون أن هذا كذب ظاهر عليه ، كما كان بعضهم يقول : إنه مجنون ، وبعضهم يقول : إنه كاهن ، وبعضهم يقول : إنه ساحر ، وبعضهم يقول : إنه معلَّم ، تعلمه من بشر ، وبعضهم يقول : أضغاث أحلام .

فحكى الله أقوالهم ؛ مبينا ظهور كذب من قال ذلك ، وأنه قول ضال حائر ، قد بهره حال الرسول فحار فلم يدر ما يقول ، كما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً * واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا * وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلمًا وزوراً * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيما ﴾ ، [الفرقان : ١ - ٦] فأخبر عمن قال ذلك ، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب ، فإن هذه القصص المذكورة في القرآن ، لم يكن بمكة من يعرفها ، فضلا عن أن يمليها كما قال : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ ، [العنكبوت : ٤٨] وقال : ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا ﴾ ، [هود : ٤٩] ولهذا قال : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض ﴾ ، [الفرقان : ٦] فأخبر أن هذا من علم من يعلم السر ، إذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلا من جهة أخبار الأنبياء ، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء .

ثم ذكر ما اقترحوه فقالوا : ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾ ، [الفرقان : ٧ - ٩] .

أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال ، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهوراً لا يخفى على الناظر ، ولهذا قال : ﴿ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾ إذ كان ظاهراً أن هذا ضلال عن طريق الحق ، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق إليه سبيلا .

وقال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون * وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا . إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ ، [النحل : ٩٨ - ١٠٣] فأخبر عما افتراه بعضهم من قوله : إنما يعلمه هدى القرآن بشر .

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل : إنه مولى لبني الحضرمي ، والنبي لا يحسن التكلم باللسان العجمي ، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا اللسان العربي .

فلما قالوا : إنه افترى هدى القرآن ، وأنه علمه إياه بشر ، قال تعالى : ﴿ لسان الذي يلحدون ﴾ أي يضيفون إليه هدى التعليم وينسبونه إليه ، وعبر عنه بلفظ الإلحاد ، لما فيه من الميل ، فقال : لسان هذا الشخص الذي قالوا : إنه يعلمه القرآن ، لسان أعجمي ، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هدى التعليم إلي رجل عربي ، بل إلي هدى لأعجمي ، لكونه كان ربما يجلس أحياناً إلي النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك الأعجمي لا يمكنه أن يتكلم بهدى الكلام العربي ، بل هو أعجمي ، ومحمد لا يعرف بالعجمية ، لكن غاية ذاك الأعجمي كعبد بني الحضرمي أن يعرف قليلا من

كلام العرب الذي يحتاج إليه في العادة ، مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات ، كلفظ الخبز ، والماء ، والسماء ، والأرض ، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من سور القرآن .

فبين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه ، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة في تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك ، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال قولا يخفى بطلانه ، بل ما يظهر كذبه لكل أحد .

فتبين أنه لم يمكنهم أن يقولوا : إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد .

وهذه القصة قصة نوح ـ لاسيما قصته المستوفاة في سورة هود كما تقدم ـ لا يعلمها إلا نبي أو من تلقاها عن نبي . فإذا عرف إنه لم ينقلها عن أحد علم أنه نبي ، ولهذا قال تعالى في آخرها : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ ، [هود : ٤٩] والقول في سائر القصص ، كالقول فيها .

وكما قال في سورة يوسف : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ ، [يوسف : ١٠٢] وقال في سورة آل عمران ، لما ذكر قصة زكريا ومريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ، [آل عمران : ٤٤] وقال في قصة موسى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ ، [القصص : ٤٤ - ٤٦] .

والإنسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر ، فنبه بقوله : ﴿ وما كنت لديهم ﴾ على أنك إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك ، إذ كان معلومًا عند كل من عرفه أنه لم يسمع ذلك من بشر وأنه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك .

وقد قال تعالى : ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم

عمرًا من قبله أفلا تعقلون ﴾ ، [سورة يونس : ١٦] بين بذلك أن تلاوته عليهم هذا الكتاب وإدراءهم ، أي إعلامهم به ، هو بمشيئة الله وقدرته ، لا من تلقاء نفسه ، كما قال قبل هذا : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدريكم به ﴾ ، [يونس : ١٥ ، ١٦] .

فبين أنه لبث فيهم عمرًا من قبله ، وهو لا يتلو شيئًا من ذلك ولا يعلمهم به فليس الأمر من جهته ، ولكن من جهة الله الذي لو شاء ما تلاه عليهم ، ولا أدراهم به ، وتلاوته عليهم وإدراؤهم به ، هو من الإعلام بالغيوب الذي لا يعلمها إلا نبي ، وبين أن ذلك من الإرسال الديني الذي يحبه الله ويرضاه ، لا من الكوني الذي قدره وقضاه ، وهو لا يحبه ولا يرضاه ، كإرسال الشياطين ولهذا كانوا يعرضون عليه أن يصير ملكا عليهم وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم ، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم فيقول : « لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر لم أستطع أن أدعه » وهذه الثلاث هي مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان والمال والنساء) فأعرض عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها ، وبين أنه لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة .

وقال تعالى : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذًا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا إذًا * لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً * وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ ، [الإسراء : ٧٣ ـ ٧٧] بين سبحانه أنهم طلبوا أن يمنعوه بكل طريق ، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته .

فمع الإرادة الجازمة ، والقدرة التامة ، يجب وجود المقدور ، وإذا تعذر أحدهما

امتنع .

فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم ، فيغير ما أوحى إليه ، فعصمه الله ، وثبته ، ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه ، حتى يعجز عن تبليغ رساله ربه ، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة ، أسوة بمن تقدمه من الرسل ، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة ، أخرج نبيها من بينها ، ثم أهلكها ، لا يهلكها وهو بين أظهرها ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ [سورة الأنفال : ٣٣] وهذا بعد قوله : ﴿ وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم ﴾ ، [سورة الأنفال : ٣٢] قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم «بدر» وغيره .

فقوله : ﴿ إن كادوا ليفتنونك ﴾ إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته وقوله ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ﴾ إشارة إلى سعيهم في تعجيزه .

وقال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ ، [العنكبوت : ٤٨] بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة ، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه ، متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس : أنه كان أميا لا يقرأ كتابًا ، ولا يخط كتابًا من الكتب ، لا المنزلة ولا غيرها ، لا يقرأ شيئًا مكتوبًا ، لا كتابًا منزلا ولا غيره ، ولا يكتب بيمينه كتابًا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس ، لا المنزلة ولا غيره .

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقينًا وحفظًا ، وإما أن يأخذ من كتابه ، وهو لم يكن يقرأ شيئًا من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوبًا والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ .

قال تعالى : ﴿ وإنه تنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون

من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ ، [الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٧] إلى قوله ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلهًا آخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل علي كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ، [الشعراء : ٢١٠ ـ ٢٢٧] ، قال تعالى : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٩٩] وقال : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٩٧] وعلماء بني إسرائيل يعلمون ذكر إرسال محمد ونزول الوحي عليه ، كما قال تعالى : ﴿ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٧] وقال : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٤٤] وقال : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ ، [سورة القصص : ٥٢] وقال : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ ، [سورة القصص : ٥٣] ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر .

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته ، وعرشه وملائكته ، وخلقه السماوات والأرض وغير ذلك ، بمثل ما أخبرت به الرسل قبله .

وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وبالعدل والصدق ، والصلاة والزكاة ، ونهى عن الشرك والظلم والفواحش ، كما أمرت ونهت الرسل قبله .

والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة ؛ التي اتفقت عليها الرسل ، التي لابد منها ، وهي الإسلام العام ، الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينًا غيره .

وأما السور المدنية ، ففيها هذا ، وفيها ما يختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج .

فإن دين الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « إنا ـ معاشر الأنبياء ـ ديننا واحد » قال الله تعالى : ﴿ شَرَع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ، [الشورى : ١٣] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم * وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ، [المؤمنون : ٥١ ـ ٥٣] وقال تعالي : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ، [سورة الروم : ٣٠ : ٣٢] .

وأما الشرعة والمنهاج ، فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ ، [سورة المائدة : ٤٨] وقال : ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ ، [سورة الحج : ٣٤ : ٣٧] إلى قوله : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ﴾ ، [سورة الحج : ٦٧] وأما القبلة فلم يجعل ما ابتدعه أهل الكتاب

---

(١) سبق تخريجه

من القبلة ، فلذلك قال : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ ، [سورة البقرة : ١٤٨] لم يقل : إنا جعلنا لكل وجهة كما قال في المنسك والشرعة والمنهاج ، وقال تعالى: ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾ ، [سورة طه : ١٣٣] فإنه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولى ، مع علمهم بأنه لم يعاشر أحداً من أهل الصحف الأولي ، ولا استفاد منهم علماً ، كان هذا من أعظم الآيات من الله .

وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته ، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله ، ليس ذلك ، كما يقوله بعض المتفلسفة ، كابن سينا وأمثاله : « إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال » ويقولون : إن النفس أو العقل ، هو اللوح المحفوظ وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء .

ويقولون « النبوة مكتسبة ، لأن هذه صفتها » ويقولون : « إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية » ويزعمون أنها اللوح المحفوظ ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض ، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض ، لأن العلم بالسبب ، يوجب العلم بالمسبب .

فإن هذا مبني على مقدمات باطلة ، قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر .

منها : إثبات العقل الفعال .

ومنها : دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلا حركة الفلك .

ومنها : أن المحرك له هو النفس .

ومنها : إيصال نفوسنا بتلك النفس .

والمقصود ـ هنا ـ أن هذا لو كان حقًا فإنما يفيد علماً بالمستقبل الذي تكون الحركة

الحاضرة سببًا له .

أما ما قد مضى قبل ذلك بمئات أو ألوف من السنين ، فليس شئ من حركات الفلك حين مبعث الرسول ، كان سببًا له ، وإنما تكون الحركة الموجودة في زمانه سببًا للمستقبل لا للماضي ، وحينئذ فلا يكون تحريك النفس للفلك سببًا للعلم بهذه الأمور ، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ ، وهو في أم الكتاب ، ﴿ في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [سورة الواقعة : ٧٩] وأخبر سبحانه أنه : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٩٣] وقال في آية أخرى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ، [سورة النحل : ١٠٢] وقال في موضع آخر : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٧] وقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [سورة التكوير : ١٩ ، ٢٩]وقال تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ ، [سورة الحج : ٧٥] فذكر أنه قول رسول الله اصطفاه من الملائكة ، نزل به على رسول اصطفاه من البشر ، فقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ ، [سورة الحاقة : ٤٠ ، ٥٢] فنزه كلا من الرسولين عما قد يشتبه به .

نزه الملك أن يكون شيطانًا ونزه البشر أن يكون شاعرًا أو كاهنًا ، وبين برهان ذلك وآيته فقال : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم

عن السمع لمعزولون ﴾ ، [سورة الشعراء : ٢١٠ : ٢١٢] فبين أنه ما يصلح لهم النزول به ، بل هم منهيون عن ذلك ، وهم ممتنعون عن ذلك ، لا يريدونه ، لمنافاته لمقصودهم ، وأنهم لو أرادوا ذلك ، لعجزوا عن ذلك ، فلم يستطيعوه ، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلى ، وهم إنما يقدرون على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه ، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه .

فبين بقوله ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أنهم لا يريدون تنزيله ، وبقوله ﴿ وما يستطيعون ﴾ أنهم عاجزون عن تنزيله .

وأما كونهم لا يريدون ، فلأنه لا ينبغي لهم ، (وينبغي) مضارع بغي يبغي أي طلب وأراد ، فالذي لا ينبغي للفاعل ، هوالذي لا يطلبه ولا يريده ، إما لكونه ممتنعاً من ذلك ، أو لكونه ممنوعاًمنه .

والشيطان إنما يريد الكذب والفجور ، لا يريد الصدق والصلاح .

وما جاء به الرسول ، مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة ، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمد ونزول القرآن عليه .

فيمتنع أن تفعل الشياطين ما لا يريدون إلا نقيضه ، وهم إيضاً ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتأتى منهم ، كما أن الساحر لا ينبغي له أن يكون نبيًا .

والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له مع ذلك أن يكون رسولا ، ولا أن يكون حاكمًا ولا شاهداً ولا مفتيًا إذ الكذب والفجور يناقض مقتضى الرسالة والحكم والشهادة والفتيا ، فكذلك ما في طبع الشياطين من إرادة الكذب والفجور ، يناقض أن تتنزل بهذا الكلام الذي هو في غاية الصدق والعدل ، لم يشتمل على كذبة واحدة ولا ظلم لأحد .

ثم قال ﴿ وما يستطيعون ﴾ فإنهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون بما حرست به

لسماء من الشهب ، كما قال عن الجن : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ ، [سورة الجن : ٨ ، ٩] وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وأن السماء (١) ـ حين مبعثه ـ حرست حرسًا لم يعهده الناس قبل ذلك ، ورأى الناس ذلك بأبصارهم ، فكانوا قد عاينوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين ، فعزلوا بذلك عن سمع الملأ الأعلى ، وكان ما عاينه الكفار عن الرمي الشديد العام الذي انتقضت به العادة المعروفة في رمي الشهب ، دليلا على سبب خارق للعادة ، ولم يحدث ـ إذ ذاك ـ في الأرض أمر لم تجرِ به العادة إلا ادعاه للرسالة ، فلم يعرف قبله ولا بعده من نزل عليه الكلام كنزوله عليه .

إذ كان موسى عليه السلام إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة ، لم تنزل عليه منجمة مفرقة ملقاة إليه حفظًا ، حتى تحتاج السماء إلى حراسها عن استراق سمعها .

والزبور تابع لشرع التوراة ، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة .

لم ينزل كتاب مستقبل إلا من التوراة والقرآن كما قال تعالى : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة القصص : ٤٩] ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن كثيرًا كما في قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩١] إلى قوله ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٢] وقال : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ ، [سورة هود : ١٧] .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٩/٦٩ ، ٧٠)

وانظر الدر المنثور (٦/٢٧٢ ، ٢٧٣)

وقال سعيد بن جبير وغيره (١) : الأحزاب هي الملل كلها ، قال : وهذا تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) « والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » وقرأ هذه الآية : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ ، [سورة هود : ١٧] .

وقالت الجن ﴿ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ ، [سورة الأحقاف : ٣٠] .

وقال النجاشي - لما سمع القرآن (٣) : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وقال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) : « يا ابن أخي هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى » . وأيضاً فكان معروفاً عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع .

فلما رأوا أن السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة ، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع ، وعلمت الجن ذلك كما تقدم ، وقد قالت الجن : ﴿ إنا لمسنا

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٢/١٣) ، ورواه الحاكم (٢/٣٤٢) وقال : « هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٢٥) لابن أبي حاتم أيضاً .

(٢) صحيح عن « أبي هريرة »

رواه مسلم في كتاب « الإيمان » باب « وجوب الإيمان برسالته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .. » (١/١٣٤ح١٥٣)

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٢٥) نسبته لابن مردويه وفي الباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري وقد سبق تخريجه برقم (٤٦)

(٣) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا ﴾ ، [سورة الجن : ٨ ، ٩] ، وقد تواترات الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب ، وهذا أمر خارق للعادة ، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم ، حتى نظروا ، هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشهب ، علموا أنه لأمر حدث ، وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك ، حتى سمعت القرآن ، فعلمت أنه كان لأجل ذلك كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال (١) : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا لأمر حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلقوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الأذان » باب « الجهر بقراءة صلاة الفجر » (٢/٢٩٥ ، ٢٩٦ ح٧٧٣)
ورواه أيضاً برقم (٤٩٢١)
ورواه مسلم فى كتاب « الصلاة » باب « الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن » (١/٣٣١ ، ٣٣٢ ح٤٤٩)
ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة الجن » (٩/٢٣٩ : ٢٤٣ ح٣٣٧٩)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « قل أوحى » سورة الجن (٦/٤٩٩ ح١١٦٢٤)

السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ﴾ ، [سورة الجن : ١ ، ٢] فأنزل الله على نبيه : ﴿ قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ ، [سورة الجن : ١] وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال (١) : كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقًا وما زادوه باطلا ، وكانت النجوم لا يرمي بها قبل ذلك .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لايقعد مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب .

فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فأتوه فأخبروه فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض .

وروى ابن أبى حاتم بإسناده عن السدى : زعم أن السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبى أو دين لله ظاهر .

فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر .

---

(١) رواه أحمد (١/٢٧٤)

ورواه الطبراني في « الكبير » (١٢/٤٦ ، ٤٧ ح١٢٤٣١)

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : (٤/١٦٠) « إسناده صحيح »

وقد ورد بلفظ « فيزيدون فيها تسعاً » من حديث إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة الجن » (٩/٢٤٣ ، ٢٤٤ ح٣٣٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح

ورواه النسائي في الكبرى في كتاب « التفسير » باب « سورة الجن » (٦/٥٠٠ ح١١٦٢٦) ورواه أحمد (١/٣٢٣)

حتى لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبيًا رجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل ابن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلي معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعنى محمد صلى الله عليه وسلم) وإن أنتم لم تروها ، فقد هلك أهل السماء ، فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم .

وفزع الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها ، فأتوه فشم فقال : صاحبكم بمكة ، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين قدموا مكة ، فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يصلى في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصًا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ، ثم أسلموا فأنزل الله عز وجل شأن أمرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم (١) ، وهذا من أعلام النبوة ودلائلها .

وقبل زمان البعث وبعده كان الرمى خفيفًا لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن قوله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ ، [سورة الشعراء : ٢٢١ : ٢٢٣] والأفاك : الكذاب والأثيم : الفاجر كما قال : ﴿ لنسفعن بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة ﴾ ، [سورة العلق : ١٥، ١٦] وقال النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) روى نحوه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٢٩ ، ٦٥ ، ٦٩)وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢٧٣/٦) لابن مردويه أيضاً وذكره ابن حجر فى « الفتح » (٥٣٩/٨ ، ٥٤٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه أيضاً .

الحديث المتفق على صحته (١) : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه ، وهو المناسب لها فى الكذب والإثم .

فأما الصدق البار ، فلا يحصل به مقصود الشياطين ، فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر ، وإنما يطلب الكذب والفجور .

ومحمد صلى الله عليه وسلم مازال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين ، لم تجرب عليه كذبة واحدة .

ولما جاءه الروح بالوحى لم يخبر بخبر واحد كذب ، لا عمدًا ولا خطأً .

ومن تنزلت عليه الشياطين لابد أن يخبر بالكذب ، فإن الشياطين يلقون إليهم السمع ، ولا يلقون إليهم ما سمعوه على وجهه ، بل يكذبون فيه كثيرًا .

إذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم ، فإن

---

(١) « متفق عليه » عن « عبد الله بن مسعود »

رواه البخارى فى كتاب « الأدب » باب قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »(٥٢٣/١٠ح٦٠٩٤)

ورواه مسلم فى كتاب « الأداب » باب « قبح الكذب وحسن الصدق وفضله » (٢٠١٢/٤ ، ٢٠١٣ح٢٦٠٧)

ورواه أبو داود فى كتاب « الأدب » باب « التشديد فى الكذب » (٣٣٣/١٣ح٤٩٦٨)

ورواه الترمذى فى كتاب « البر والصله »باب « ما جاء فى الصدق والكذب » (١٠٦/٦ ، ١٠٧ح٢٠٣٨) وقال وفى الباب عن أبى بكر وعمر وعبد الله بن الشحير وابن عمر »

الشياطين وإن كان كلهم كاذبًا ، فليس كل من ألقى السمع يكذب فيما يلقيه ، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه ولو مرة ، ولكن أكثرهم يكذبون ، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات ، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم .

وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (١) : « إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فيسترق الشياطين السمع فتوحيه إلي الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه الملك الكريم ، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم ، فرق مبين يعرف بأدنى معرفة بحال الاثنين .

ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة ، بين سبحانه أن هذا يكون - وإن صدق فى بعض الأخبار - كاذبًا فاجرًا ، والذي يأتيه أيضًا يأتيه بالكذب ، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر ، وهذا مما يبين أن النبى لا يكون إلا بارًا معصومًا أن يصر على ذنب .

فصل

وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة : مازالوا معترفين بصدقه صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لم يجربوا عليه كذبًا ، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة وأنه ليس بساحر .

وكانوا في أول أمره يرسلون إلي البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب

---

(١) « حديث صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « بدء الخلق » باب « ذكر الملائكة »
(٦/٣٥٠ح٣٢١٠) ورواه أيضاً برقم (٣٢٨٨ ، ٥٧٦٢ ، ٦٢١٣ ، ٧٥٦١)

يسألونهم عنه ، لأن مكة لم يكن بها ذلك ، ففي الصحيحين عن ابن عباس (١) : « أن أبا سفيان ابن حرب حدثه قال : انطلقت إلى الشام فى المدة التي كانت بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبينما أنا بالشام إذ جئ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل : قال : وكان دحية الكلبى جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصري إلى هرقل فقال هرقل : هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبى ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قال أبو سفيان فقلت : أنا ؛ فأجلسونى بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفى ، فدعا بترجمانه فقال : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ، فإن كذبنى فكذبوه ، قال أبو سفيان : وايم الله لولا مخافة أن يؤثر على كذباً لكذبت عليه ، ثم قال لترجمانه : سله كيف نسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذِو نسب ، قال : فهل كان فى آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا » وذكر باقى الحديث .

وفي الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود قال (٢) : انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة ينزل على سعد ، فقال لسعد : انتظر ، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس ، انطلقت فطفت ، فبينما سعد يطوف ، إذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذى يطوف بالبيت ؟ فقال : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالبيت آمنًا وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ قال : نعم ،

---

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧٢٧ ، ٧٢٨ح٣٦٣٢) ورواه أيضاً برقم (٣٩٥٠)

ورواه أحمد (١/٤٠٠)

ورواه البيهقى فى « الدلائل »(٣/٢٥:٢٧)

فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي ، ثم قال سعد : والله لإن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام ، قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك ، قال : إياى ؟ قال نعم ، قال : والله ما يكذب محمد إذا حدث ، فرجع إلى إمرأته فقال : أما تعلمين ما قال أخي اليثربى ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا إلي «بدر» وجاء الصريخ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : وأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى ، فسر يومًا أو يومين ، فسار معهم فقتله رسول الله .

وفي رواية أنه قال (١) : والله ما يكذب محمد ، وعزم أن لا يخرج خوفًا من هذا ، حتى قال له أبو جهل : إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي ، تخلفوا معك ، فقال : أما إذا غلبتنى فلأشترين أجود بعير بمكة ، وذكرته امرأته بقول سعد ، فقال : ما أريد أن أكون معهم إلا قريبًا .

وكذلك ما ذكره أهل المغازى وغيرهم أن أمية بن خلف لما بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (٢) : أنا أقتله ، ثم طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدشه ، وجعل أصحابه يجرعونه ويقولون : إنما هو خدش وليس بشئ ، فقال : والله لو كان بمضر لقتلهم ، أليس قال : « لأقتلنك ؟! » .

---

(١) انظر رواية البخارى (رقم ٣٦٣٢)

(٢) هذه الرواية صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع ورواه الطبرى فى تاريخه (٢/٥١٨ ، ٥١٩) ومن طريق ابن إسحاق

وعن مجاهد قال (١) : قال مولاى السايب بن يزيد : كنت فيمن بنى البيت ، وإن قريشاً اختلفوا فى الحجر حين أرادوا أن يضعوه ؛ حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونه فى الجاهلية الأمين ، فقالوا : يامحمد قد رضينا بك .

وقال ابن إسحاق (٢) - فى قصة بناء البيت واختلاف قريش فيمن يضع الحجر وإنهم مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو ابن مخزوم وكان عامئذ أسنّ قريش كلهم ، قال يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد جاء ، رضيناه هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه

(١) رواه أحمد (٤٢٥/٣) ورواه الحاكم (٤٥٨/١) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرطه وأمر الذهبى . ورواه عبد الرازق فى مصنفه (١٠١/٥ح٩١٠٥)

(٢) ذكره ابن إسحاق بسند منقطع

ورواه أبو داود الطالسى فى « مسنده » من غير طريق ابن إسحاق (٨٦/٢ح٢٣١٦) وفى « سنده خالد بن عرعرة » سكت عند «الرازى » كما فى « الجرح » (٣٤٣/٣ رقم ١٠٤٧)

ورواه الحاكم (٤٥٨/١ ، ٤٥٩) وقال : « قد اتفق الشيخان على إخراج الحديث الطويل عن أيوب السختيانى وكثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بناء الكعبه أول ما بناه إبراهيم الخليل عليه السلام وهذا غير ذاك »وأقره الذهبى

ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٥٦/٢ ، ٥٧) بمثل رواية الطيالسى

ورواه عبد الرازق فى مصنفه مرسلاً عن الزهرى (١٠٠/٥ ، ١٠١ ح٩١٠٤)

« هلـم ثوبًا » فأتى بـه ، فأخذ الركن (يعني الحجر الأسود) فوضعه فيـه بيده ، ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمي رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين .

وعن عقيل بن أبي طالب قال (١) : جاءت قريش إلي أبي طالب ، فقالوا له : إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا ، ويسمعنا ما يؤذينا ، فإن رأيت أن يكف عنا فافعل .

قال : فقال لي : يا عقيل ، التمس ابن عمك .

قال : فأخرجته من كيس من أكياس شعب أبي طالب ، فأقبل يمشي حتى انتهى إلى أبي طالب ، فقال له : ياابن أخي ، والله ماعلمت إن كنت لي مطيعًا وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم ، فتسمعهم ما يؤذيهم ، فإن رأيت أن تكف عنهم ؟ .

قال فحلق ببصره نحو السماء فقال : والله ما أنا بأقدر على أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار .

فقال أبو طالب : إنه ـ والله ـ ما كذب قط ، فارجعوا راشدين ، رواه البخاري في تاريخه ، وأبو زرعة في الدلائل ، ورواه ابن إسحاق قريبًا من هذا اللفظ وقال : « فأخرجته من حفش ـ وهو بيت صغير ـ وقال فيه : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه ، وأنه خاذله ومسلمه ، وضعف عن القيام معه ، فقال : « ياعم

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في « سيرة ابن هشام » (٣٢٩/١ ، ٣٣٠) وصرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع

ورواه الطبري في « تاريخه » (٣٢٦/٢) ورواه البخاري في « تاريخه » (٥٠/١/٤ ، ٥١) ، والبيهقي في « الدلائل » (١٨٧/٢)

لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في يساري ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه » .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر (١) : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا فأكرمنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه ، فقالوا : إنك خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس ، فجاء خالنا فثنا علينا الذي قيل له ، فقلت له : أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا ، فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا ثوبه يبكي ، وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر أنيس رجلا عن صرمتنا وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فخبر أنيسا فأتى بصرمتنا ومثلها معها قال : وقد صليت ياابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، قلت : لمن ؟ قال : لله ، قلت فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفا ، حتى تعلوني الشمس فقال : أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني ، فانطلق أنيس حتي أتى مكة فرات عليّ ، ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال : لقيت رجلا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون ، شاعر ، كاهن ، ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة ، فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء ، فما يلتئم علي لسان أحد يقرى بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ، قال : قلت فاكفني حتى أذهب فأنظر ، قال : نعم ، وكن علي حذر من أهل مكة ، فإنهم قد سبقوا له وتجهموا ، قال : فأتيت مكة فضفت رجلا منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابئ ؟ فأشار إلى فقال : الصابئ، فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي » وذكر الحديث وصفة إسلامه رضى الله عنه بلفظ مسلم .

---

(١) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابه » باب « من فضائل أبى ذر » (١٩١٩/٤ : ١٩٢٣ ~

وفي حديث البخاري عن ابن عباس : (١) « أن أبا ذر أرسل أخاه وقال : اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ، ثم رجع إلي أبي ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلامًا ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني فيم أردت ، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد » وذكر تمام الحديث .

وعن جابر بن عبد الله قال (٢) : قال الملأ وأبو جهل : لقد غلبنا أمر محمد ، فلو التمستم رجلا عالمًا بالشعر والكهانة والسحر ، فأتاه فكلمه ، فأتانا ببيان من أمره .

وقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ، وعلمت من ذلك علما ، فما يخفي على إن كان كذلك ، فأتاه فلما خرج إليه قال : أنت ـ يامحمد

---

(١) رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « قصة إسلام أبى ذر » (٦/٦٣٥ ، ٦٣٦ح٣٥٢٢)
ورواه أيضاً برقم (٣٨٦١)
ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أبى ذر »(٤/١٩٢٣: ١٩٢٥ح٢٤٧٤)

(٢) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » (١/٣٦٢ : ٣٦٤)
وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع .
ورواه أبو يعلى فى « مسنده » (٣/٣٤٩ : ٣٥١ح١٨١٨)
ورواه ابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٨/٤٤٠ : ٤٤١) [ط . دار الفكر]
ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (١/٢٩٩ : ٣٠١ح١٨٢)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٠٢ : ٢٠٤)
ورواه عبد بن حميد فى « مسنده » (ص ٣٣٧ : ٣٣٨ح١١٢٣)
وذكر الهيثمى فى «المجمع » (٦/٢٠) وقال : « ورواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندى وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائى وغيره ، وباقى رجاله ثقات »

خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة ، فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباه ، زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال ، جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ، فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون ﴾ ، [سورة فصلت : ١ ، ٣] إلى قوله ﴿ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ، [سورة فصلت : ١٣] فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أن يكف ورجع إلي أهله فلم يخرج إلي قريش ، فاحتبس عنهم عتبة فقال أبو جهل : يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبيء إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فأتاه أبو جهل فقال : ياعتبة ما حبسك عنا إلا إنك صبوت إلي محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم أن لا يكلم محمدًا أبدًا وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشئ ، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته ـ إلى قوله ـ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب » رواه أبو بكر أحمد بن مردويه ، في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الأجلح عن الدبال بن حرملة عنه ، ورواه يحيى ابن معين عن محمد بن فضيل ، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ، ورواه عبد ابن حميد عن شيخ أبي يعلى بن أبي شيبة .

وفي بعض الطرق : (١) « إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة وإن

(١) هذا اللفظ جاء فى رواية ابن أبي شيبة فى « مصنفه » (٨/ص ٤٤٠ : ٤٤١) ، وعبد بن حميد في « مسنده » (ص ٣٣٧ : ٣٣٨ح١١٢٣)

كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع » ورواه ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم عن محمد بن كعب قال (١) : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً » وذكر الحديث إلي أن قال : « لما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي ، إني - والله ـ قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانه ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوني ، خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : أسحرك ـ والله ـ ياأبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ، ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عُتْبَةَ فيما قال .

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال (٢) : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الريح ، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ـ قال : فلقيت محمداً ، فقلت إني أرقى من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم .

فقال محمد : إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونسترشده ، من يهد الله فلا

---

(١) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » (١/٣٦٢ : ٣٦٤)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٠٤ : ٢٠٥)

(٢) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الجمعة » باب « تخفيف الصلاة والخطبة » (٢/٥٩٣ ، ٥٩٤ ح٨٦٨)
ورواه النسائى فى كتاب « النكاح » باب « ما يستحب من الكلام عند النكاح » (٦/٨٩ ، ٩٠) مختصراً
ورواه ابن ماجه فى كتاب « النكاح » باب « خطبة النكاح » (١/٦١٠ ح١٨٩٣) مختصراً

مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فقال : أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاموس البحر .

قال : فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام قال : فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : وعلى قومك ، فقال : وعلى قومي » الحديث .

وعن ابن عباس (١) : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على فقرأ عليه من القرآن ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ قال : أعد فأعاد النبي صلي الله عليه وسلم فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما يقول هذا البشر .

وفي لفظ قال ابن عباس (٢) : إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعوض مما قبله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه

---

(١) رواه البيهقى فى « الدلائل » (١٩٩/٢) وقال : « وهذا فيما رواه يوسف بن يعقوب القاضى عن سليمان ابن حرب عن حماد هكذا مرسلاً وكذلك رواه معمر عن عباد ابن منصور عن عكرمة مرسلا ورواه أيضاً معتمر بن سليمان عن أبيه فذكره أتم من ذلك مرسلاً وكل ذلك يؤيد بعضه بعضاً » وانظر « البداية والنهاية » (٦١/٣)

(٢) رواه عبد الرازق فى «تفسيره » (٣٢٨/٢ ، ٣٢٩)

ورواه الحاكم (٥٠٦/٢ ، ٥٠٧) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه ورواه البيهقى فى « الدلائل » (١٩٨/٢ ، ١٩٩)

وانظر البداية والنهاية (٦١/٣)

ولا تبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له ، قال وماذا أقول ؟ والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته .

قال : لا ترضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره ، فنزلت ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدًا ﴾ ، [سورة المدثر : ١١] رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عنه .

وفي رواية أخرى (١) : « إن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدًا ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد بعضكم قول بعض : فقال : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به ، فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا : نقول كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة الكهان ، فقالوا : نقول : مجنون ، فقال ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر قالوا : فنقول ساحر ، قال : فما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده ، فقالوا : ما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لغدق ، وإن فرعه لجني فما أنتم

---

(١) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/١٩٩ : ٢٠١)
ورواه « أبو نعيم » فى « الدلائل » (١/٣٠١ : ٣٠٢ ح١٨٣)
وانظر البداية والنهاية (٣/٦١)

بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ إلى قوله ﴿ سأصليه سقر ﴾ وأنزل في النفر الذين كانوا معه ، الذين جعلوا القرآن عضين ، أي أصنافًا .

وروى ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال (١) : قام النضر بن الحارث فقال : « يامعشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ، ما ابتليتم بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ، مخرجه ورجزه وقريضه ، وقلتم مجنون ، ولا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون ، فما هو بخنقه ولا تخليطه ، يامعشر قريش ، انظروا في شأنكم ، فإنه ـ والله ـ لقد نزل بكم أمر عظيم » .

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة .

قال (٢) : وحدثني الزهري قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس ابن

---

(١) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » معلقاً (١/٣٦٩ : ٣٧)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٠١ ، ٢٠٢)
والحديث ضعيف لان فيه « مجهول »
(٢) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٠٦ ، ٢٠٧)
وانظر البداية والنهاية (٣/٦٤)

شريق ، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر ، تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم ، لأوقعتم في نفسه شيئًا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلي مجلسه ، فباتوا يستمعون له ،حتى إذا طلع الفجر ، تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض ، مثل ما قال أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة ، فعلوا كذلك ، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ثم أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني ياأبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال : ياأبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : ياأبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟! والله لا نؤمن به ولا نصدقه أبدًا .

وكذلك روى عن المغيرة بن شعبة (١) أن أبا جهل قال له مثل ذلك وقال : إني لأعلم ما يقول حق ، ولكن بني قصي قالوا : فينا الندوة فقلنا : نعم فينا الحجابة فقلنا ، نعم فينا السقاية فقلنا نعم وذكر نحوه .

وقد كانوا يرسلونه إلي أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره صلى الله عليه وسلم .

قال : محمد بن إسحاق (٢) : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين

---

(١) رواه البيهقي في « الدلائل » (٢/ ٢٠٧)

وانظر البداية والنهاية (٣/٦٤)

(٢) رواه ابن إسحاق كما في « سيرة ابن هشام » (١/٣٧١ : ٣٨١) مطولاً . =

سنة ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : « بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط أن أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : اسألوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، قالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث ، نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ، فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ؟ فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضر وعقبة ، حتى قدما مكة على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها .

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد : خبرنا ، فسألوه عما أمروهم به .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبركم ، وجاء جبريل من الله بسورة الكهف ، فيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله :

=وقد روى جزءاً منها الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة بنى إسرائيل » (٨/٥٧٥ ، ٥٧٦ ح٥١٤٨) وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه »

ورواه أيضاً أحمد (١/٢٥٥)

ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٦٩ : ٢٧١)

﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [سورة الأسراء : ٨٥] قال ابن إسحاق (١) : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ ، [سورة الكهف : ١] يعني محمداً أنك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته ﴿ ولم يجعل له عوجًا قيما ﴾ ، [سورة الكهف : ١] أي أنزله قيما ، أي معتدلا ، لا اختلاف فيه وذكر تفسيره السورة إلى قوله : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا ﴾ ، [سورة الكهف : ٩] أي وما قدروا من قدري ، وفيما صنعت من أمر الخلائق ، وما وضعت على العباد من حجتي ما هو أعظم من ذلك .

قال (٢) : قال مجاهد ليس بأعجب آياتنا من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

وفي تفسير العوفي عن ابن عباس (٣) : الذي أتيتك من العلم والسنة والكتاب ، أفضل من شأن أصحاب الكهف .

قلت : والأمر على ما ذكره السلف ، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله ، فإن مكثهم نيامًا لا يموتون ثلاثمائة سنة آية دالة على قدرة الله ومشيئته ، وأنه يخلق ما يشاء فليس كما يقوله أهل الإلحاد وهي آية على معاد الأبدان كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ ، [سورة الكهف : ٢١] وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم : هل تعاد الأرواح دون الأبدان ، أم الأرواح والأبدان ؟ فجعل الله أمرهم آية لمعاد الأبدان .

---

(١) رواه ابن إسحاق تعليقاً كما فى « سيرة ابن هشام » (٣٧٣/١)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » عن ابن إسحاق (٢٧١/٢)
(٢) عزاه السيوطى في «الدر المنثور » (٢١٢/٤) لابن المنذر وابن أبى حاتم
(٣) عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٢١٢//٤) لابن أبى حاتم

وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم من غير أن يعلمه بشر ، آية على نبوته ، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة ، الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والإيمان برسله ، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب ،بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك .

وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه عنها ، ليعلموا : هل هو نبي صادق أم كاذب ؟ فقال تعالى : ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين ﴾ ، [سورة الكهف : ٨٣] وقال : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ ، [سورة يوسف : ٧] إلى قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٢] إلى قوله : ﴿ وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٥] ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٩ : ١١١] وقال تعالى لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا ﴾ ، [سورة الكهف : ٨٣] ، أي يسئلونك ذاك ، ويسألونك عن هذا .

والقرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه أحد من البشر إلا من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك ، ليس هو الشئ الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة ، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة ، لا يؤخذ خبرها قط إلا عن نبي كموسى ومحمد ، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات ، لا من أولياء الله ، ولا من غير أولياء الله ، يخبر بشئ من ذلك ، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم ، التي لا يشركهم فيها غيرهم .

وأهل الملل متفقون على ما دل عليه العقل الصريح من أن هذا لا يعلم إلا بخبر

نبي ٠

فإذا كان محمدٌ قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الأنبياء ، وأخبر بما يعلمونه ، مما لا يعلمه أحد إلا بالتعلم منهم ، وقد عرف أن محمداً لم يتعلم هذا من بشر ، كان هذا آية بينة وبرهانًا قاطعًا على نبوته ٠

ثم العلم بأن محمداً لم يتعلم هذا من بشر ، يحصل بوجوه ، أما قومه المباشرون له ، الخبيرون بحاله وكانوا يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر ، فقامت عليهم الحجة بذلك وأما من لم يعرف حاله إلا بالسماع فيعلم ذلك بطرق :

منها : ـ تواتر أخباره وكيف كان ، من حين ولد ، إلى أن مات كما هي مستفيضة مشهورة متواترة ، يعلمها من له خبرة بذلك ، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى ، فإن محمداً ظهر أمره ، وانتشرت أخباره ، وتواترت أحواله ، أعظم من جميع بني آدم ، فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفى على الناس ، فكيف مثل هذا ؟!

ومنها أنه قد أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب ، مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب ، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وعيسى ، مثل تكليم المسيح في المهد ، ومثل نزول المائدة ، فإن هذا لا يعرفه أهل الكتاب ، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك ، فيمتنع أن يقال : إن هذا تعلمه من أهل الكتاب ، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك ، بل قد رأوا ، هم وغيرهم آثار المنذرين الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل ، كقوم عاد وثمود وغيرهم ٠

فيستدل الناس بالآثار الموجودة علي صدق الرسل ، وعقوبة الله لمن يكذبهم ٠

ويستدل قومه وغيرهم على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور ، التي لم يتعلمها من أهل الكتاب بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم ، ويكون هذا مما يدل علي أنه لم يتعلم ذلك من أهل الكتاب كما قد يظنه بعضهم ، وذلك من الوجهين كما تقدم .

ومنها : ـ أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له ، وحرصاً علي تكذيبه والطعن فيه ، وبحثًا عما به يقدحون فيه ٠

فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر ، لكانوا يعلمون ذلك ويقدحون به فيه ويظهرونه ، لكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره .

فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه ، مع علمهم بحاله ، ورغبتهم في القدح فيه ، ومع كمال الداعي والقدرة ، يجب وجود المقدور .

فلما كان داعيهم تامًا ، ولم يقدحوا ، علم أن ذلك لعجزهم .

وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله ، دليل علي أنهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر .

ومنها : أن يقال : مثل هذا لو وقع ، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ويشيع ، بل كان المتبعون له المؤمنون به ، إذ اطلعوا على ذلك فلابد أن يشيعوه ويعلنوه ، فكيف المخالفون له المكذبون له ؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطئوا ، كما لا يجتمعون على تعمد الكذب ، فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك ، بل يجتهد الملوك والرؤساء في إخفاء ما يبطنونه من أمر ملكهم الذى بنوه عليه ، ويحلفون أولياءهم على كتمان ذلك ، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك ، ثم يظهر ذلك ، كما فعل القرامطة الباطنية من أهل البحرين وبني عبيد الله بن ميمون القداح ، وكما عرف الناس أن النصيرية لهم خطاب يسرونه إلى أوليائهم وإن لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذي يسرونه .

ولاسيما والذين آمنوا بمحمد واتبعوه - أولا - من المهاجرين ، كانوا مؤمنين به باطنًا وظاهرًا ، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال ، وصبروا على أنواع المكاره والأذي .

فطائفة كبيرة ذهبت إلى الحبشة مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له ، حتى يرجعوا عن دينه .

وطائفة كانوا بمكة يعذبون هذا يقتل ، وهذا يخرج به إلي بطحاء مكة في الحر ، وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر فلا يكفر ، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعًا

عريانًا .

ثم إنهم هجروا أحب البلاد إليهم وأفضلها عندهم مكة أم القرى ، إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها ، وتركوا أموالهم بمكة قال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ ، [سورة الحشر : ٨] وقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ ، [سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠] وقال تعالى : ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ ، [سورة ال عمران : ١٩٥] وقال : ﴿ يخرجون الرسول وإياكم ﴾ ، [سورة الممتحنة : ١] وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعًا واختيارًا ، قبل أن يؤمر أحد بقتال .

فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة ، لا يقاتل أحدًا ، ولم يؤمر بقتال ، بل كان لا يكره أحدًا علي الدين كما قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٥٦] وكانوا خلقًا كثيرًا ، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصًا ، قد جاء بدين لا يوافقه عليه في زمانه أحد ، وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ويفارقوا دين آبائهم ، ويصبروا على عداوة الناس لهم وأذاهم ، وهجروا لأجله ما ترغب النفوس فيه ، من الأهل ، والمال ، والوطن . وهو ـ مع ذلك ـ لم يعط أحدًا منهم مالا ، ولا كان له مال يعطيهم إياه ، ولا ولي أحدًا ولاية ، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها ، ولا أكره أحدًا ولا بقرصة في جلده ، فضلا عن سوط أو عصا ، أو سيف وهو ـ مع ذلك ـ يقول عما يخبرهم به من الغيب « الله أخبرني به ، لم يخبرني بذلك بشر » .

فلو كانوا ـ مع ذلك ـ يعلمون أنه تعلمه من بشر ، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض .

وتمتنع في جبلة بني آدم وفطرهم أن يعلموا أنه كاذب وأنه قد تعلم هذا من بشر، وليس فيهم من يخبر بذلك، مع أنهم كانوا كثيرين، لا يمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان، بل ولا داعي لهم، يدعوهم إلى ذلك.

ويمتنع أن لا يعلموا ذلك، وهم بطانته المطلعون علي أحواله، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين علي حاله.

والقرآن كان ينزل شيئًا فشيئًا، لم ينزل جملة، بل كانوا يسألونه عن الشئ بعد الشئ من الغيب، بين الذين آمنوا به وباطنوه واطلعوا علي أسراره، وهو لا يعلم شيئًا عن ذلك، ثم يخبرهم، وهم مطلعون على أمره، خبرًا بعد خبر، وسؤالا بعد سؤال، وهذا كان بمكة، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب، لا اليهود ولا النصارى، ثم هاجر إلي المدينة وبها خلق كثير من يهود بني قينقاع وقريظة والنضير، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها أو أقل أو أكثر، وهم أيضًا يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلا نبي فيخبرهم بها ويتلو عليهم ما سأله عنه المشركون من الغيب، وما أخبرهم به، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله إليه، ويبين أن الله أعلمه ذلك، لم يعلمه إياه بشر، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى، والطائفتين ليس فيهم من يقول: إن هذا تعلمه منا، أو من إخواننا، أو نظرائنا، ولا إنك قرأته في كتبنا، مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم، لكان شيوخه منهم، وشيوخهم، إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم، يمتنع أن يصدقوه باطنًا وظاهرًا، بل تصديقهم الكتاب الأول، وعلمهم بكذب من ادعى نزول كتاب ثان، وقد تعلم منهم، يدعوهم إلي أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه، ويقولوا للناس: تعلم منا ونحن أخبرناه بذلك.

لاسيما مع ما فعله باليهود من القتل والحصار والجلاء والسبي وغير ذلك.

وهذا لو وقع، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ينقله الموافق والمخالف.

فلما لم ينقل ذلك أحد، ولم ينقله أحد مع ما أظهره من الأخبار المستفيضة

المتواترة التي علمها الخاص والعام ، بأن هذا مما أنبأني الله لم يخبرني به بشر ، كان هذا دليلا قاطعًا بينًا في أن هذه الأخبار الغيبية التي لا يعلمها إلا نبي أعلمه الله بها أو من تعلمها من نبي أعلمه الله بها ، هي مما أنبأه الله به ولم يعلمه ذلك بشر ، وهذا من الغيب الذي قال الله فيه في السورة التي ذكر فيها استماع الجن للقرآن وإنذار قومهم به حيث قال : ﴿ قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدي إلي الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا ﴾ ، [سورة الجن : ١ ، ٣] إلى قوله : ﴿ وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا * قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا * قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا * إلا بلاغًا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا * حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا * قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددًا ﴾ ، [سورة الجن : ١٩ ، ٢٨] فقوله ﴿ فلا يظهر علي غيبه أحد ﴾ يبين أنه غيب يضاف إليه يختص به ، لا يعلمه أحد إلا من جهته ، بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم ، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددًا ﴾ .

فهذه أنباء الغيب التي أوحاها إليه هي من الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا يرصدون من يأتيه من إنسي وجني ، فيدفعونه ، ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ .

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة ، كما كان مشركوا قريش يرسلون إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن

محمد ، فيرسل اليهود إليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته ، وذلك مثل ما في صحيح البخاري عن أنس قال (١) : « جاء عبد الله بن سلام إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ والولد ينزع إلي أمه تارة وإلى أبيه تارة قال : « أخبرني جبريل آنفا » قال عبدالله : ذاك عدو اليهود من الملائكة « أما أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت . وأما الولد ، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه » فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله » قال : يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك ».

فجاءت اليهود ، فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وعالمنا وابن عالمنا .

قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ » قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقالوا : « شرنا وابن شرنا » وتنقصوه ، قال : فهذا ما كنت أخاف وأحذره .

وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان قال (١) : كنت قائماً عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يامحمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلت ألا تقول يا رسول الله ؟ قال

---

(١) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار » باب (٥١) (٣١٩/٧ح٣٩٣٨)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « عشرة النساء » باب « كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل » (٣٣٨/٥ ، ٣٣٩ح٩٠٧٤)

: إنما سميته باسمه الذي سماه به أهله

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد فقال اليهود : جئت أسألك ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « ينفعك شئ أن حدثتك » قال : أسمع بأذني فنكت بعود معه ، فقال له : سل : فقال اليهودي : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الظلمة دون الجسر » قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » فقال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون ؟ قال : « زيادة كبد نون » قال : وما غذاؤهم على أثره ؟ قال : « ينحرلهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلا» .

قال : صدقت قال : وجئت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان . قال : « ينفعك إن حدثتك » . قال : أسمع بأذني قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة ذكراً بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة منى الرجل أنثى بإذن الله » فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف .

فقال النبي صلي الله عليه وسلم « إنه سألني هذا الذي سألني عنه وما أعلم شيئًا منه حتى أتاني به الله تعالى » . ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس ، عن عبدالحميد به .

وروى أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن

---

(١) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « الحيض » باب « بيان صفة من الرجل والمرأة ..» (٢٥٢/١ : ٢٥٣ح٣١٥)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « عشرة النساء »باب « كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل » (٣٣٧/٥، ٣٣٨ح٩٠٧٣)

عباس قال (١) : حضرت عصابة من اليهود يومًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله ، حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي ، فقال : « سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه ، إن أنا حدثتكم بشئ تعرفونه صدقًا لتتابعوني على الإسلام » . قالوا لك ذلك قال : « فسلوني عما شئتم » . قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكرًا وكيف يكون الأنثى حتي يكون أنثى ، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في التوراة ، ومن وليه من الملائكة ؟ قال : « فعليكم عهد الله وميثاقه » لئن أنا حدثتكم لتتابعوني » فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق ، قال « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا طال سقمه فيه ، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل وأحب الطعام إليه لحوم الإبل » ، قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشهد عليهم » ، قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى : هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما علا كان الولد والشبه له بإذن الله » قالوا : اللهم نعم ، فقال : « اللهم اشهد » ، قال : « أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وأنزل التوراة على موسى ، هل تعملون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه »

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي فى « مسنده » (١١/٨٩ ، ٩٠ح٢٧٣١)
ورواه أحمد (١/٢٧٨)
ورواه ابن سعد فى طبقاته (١/١/١١٥ : ١١٦)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٦/٢٦٦ ، ٢٦٧)
ورواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ح١٢ ١٣٠١٢)
ورواه الطبرى (١/٣٤٢) ، (٧/٥٢)
وقال الهيثمى فى « المجمع » (٦/٣١٥) : رواه الطبرانى عن شيخه عبد الله بن محمد سعيد بن أبى مريم وهو ضعيف »

قالوا : اللهم نعم ، قال « اللهم اشهد » قالوا : أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال « ولي جبريل عليه السلام ، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه » قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال : « فما يمنعكم أن تصدقوا به ؟ » قالوا : إنه عدونا من الملائكة ، فأنزل الله عز وجل ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٧] إلى قوله : ﴿ فإن الله عدو للكافرين ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٨] .

ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها ، لا يعلمها إلا نبي ، أي ومن يعلمها من الأنبياء ، فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء أيضًا « لا يعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان » وكانوا يمتحنونه بهذه المسائل ليتبين : هل يعلمها ؟ وإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلا نبي كان نبيًا .

ومعلوم أن مقصودهم ذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يتعلم هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم ، وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس ، ولكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء .

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب ، كانوا يعلمون أن أحدًا من البشر لم يعلمه ما عند أهل الكتاب من العلم ، إذ لو جوزوا ذلك عليه ، لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي أولا ؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم ما لا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب ، كان من جنسهم ، فلم يكن علمهم بها وأحاديثهم عنها دليلا على نبوته .

فلابد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب .

وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشر سنة ، وانتشر أمره ، وكذبه قومه ، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه .

فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب ، يتعلم منه ، أو لقى أحدًا من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه ، لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين .

فتبين أنه كان معلومًا عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئًا من الغيب من بشر لاسيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لأظهروا ذلك ، ولشاع في أهل الكتاب ، وكان إذا أجابهم قالوا : هذا تعلمته من فلان وفلان منا ، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا .

وهذا كما كانوا يرسلون إلي قومه من قريش ليسألوه عن مسائل ويقولون : إن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فهو متقول ، ويقولون : سلوه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي .

فهذا من أهل المدينة ومن قريش قومه ، يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين علي أنه لم يتعلم شيئًا من ذلك من البشر ، إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ، ولم يجز أن يقولوا : لا يعلمها إلا نبي ، فإنهم كانوا جميعًا يعلمون أن من أهل الكتاب من تعلم هذه المسائل ، وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء أو بخلاف ذلك ؟ ويعلمون أن من كان يعلمها من أهل الكتاب ، ومن تعلم منهم ، لا يدل جوابه عنها على نبوته ، كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب ، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب ، التي لا يعلمها إلا نبي ، فإن ذلك لا يدل على نبوته ، لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء ، فدل علي أن مرادهم بقولهم : لا يعلمها إلا نبي ، أي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم بشر إلا نبي ، ويدل علي أن المشركين وأهل الكتاب ، كانوا جميعا متفقين علي أنه لم يتعلم من بشر ، مع انتشار أخباره ، ومع اطلاع قومه على أسراره ، ومع ظهور ذلك ، لو وجد ، ومع أنهم لو جوزوا تجويزًا أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن ، لم يجز أن يستدل بها علي نبوته ، فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر ، لا في الباطن ، ولا في الظاهر ، وهذا طريق بين ، يدل أنه لم يتعلم ذلك من بشر ، سوى الطرق المذكورة هنا .

فصل

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم ،

عربهم وعجمهم ، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده ـ كان من نعمة الله علي عباده ، ومن تمام حجته علي خلقه ، أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق ، الذين بعث إليهم ، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ماليس عند هؤلاء .

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ، ما يبين به أن القرآن حق كما قال تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٢ ، ٥٣] أخبر سبحانه أنه سيري العباد الآيات في أنفسهم ، وفي الآفاق ، حتى يتبين لهم أن القرآن حق ، فإن الضمير عائد إليه ، إذ هو الذي تقدم ذكره كما قال : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ ، والضمير في « كان » عائد إلي معلوم .

يقول : أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد .

فإنه على هذا التقدير ، يكون الكافر في شقاق بعيد ، قد شاق الله ورسوله ، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق ، حيث كان في شق ، والله ورسوله في شق ، كما قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بيت أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، [سورة البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧] بين أن من تولى عن ذلك ، لم يكن متبعًا للحق قاصداً له ، فإن هذا الذي قلتموه لا يتولى عنه من أهل الكتاب ، من قصده الحق ، وإنما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة ، لهوى نفسه ، وهذا يكفيك الله أمره .

والقرآن إن كان من عند الله ، ثم كفر به من كفر ، فلا أحد أضل ممن هو في مثل

حاله إذ هو في شقاق بعيد .

وإن قدر أنه لم يعلم أنه حق ، فهو ضال .

والشقاق قد يكون مع العناد ، وقد يكون مع الجهل .

فإن الآيات إذا ظهرت ، فأعرض عن النظر الموجب للعلم ، كان مشاقا ، ولهذا قال عقيب ذلك ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣] ، فأخبر أنه سيرى عباده من الآيات الأفقية والنفسية ، ما يبين أنه حق ، ثم قال ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣] فإن شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات كما قال تعالى ﴿ قل وكفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ ، [سورة الرعد : ٤٣] وشهادته للقرآن ولمحمد ، تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيائه كما قال تعالى عن أهل الكتاب : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ ، [سورة البقرة : ١٤٠] وتكون بأقواله التي أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن القرآن نفسه ، آية بينة ، ومعجزة قاهرة .

وتكون بأفعاله ، وهوما يحدثه من الآيات والبراهين الدالة علي صدق رسله فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه ، وشهد لهم بأنهم صادقون .

والقرآن نفسه هو قول الله ، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ، وإنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وإتيان محمد به هو آية و برهان ، وذلك من فعل الله ، إذ كان البشر لا يقدرون على مثله ، ولا يقدر عليه أحد من الأنبياء ، ولا الأولياء ولا السحرة ولا غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ، [سورة الأسراء : ٨٨] ومحمد صلى الله عليه وسلم أخبر بهذا في أول أمره إذ كانت هذه الآية في سورة (١) « الإسراء » وهي مكية ، صدرها بذكر الإسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس .

وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم عن جميع الثقلين ، إنسهم وجنهم ، أنهم إذا اجتمعوا

---

(١) في الأصل سورة (سبحان) .

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، بل يعجزون عن ذلك ، وهذا فيه آيات لنبوته .

ومنها إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلي يوم القيامة ، بأنهم لا يفعلون هذا ، بل يعجزون عنه .

وهـذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك ، إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر ؛ فيفسد عليه ما قصده ، وهذا يقدم عليه عاقل ، مع اتفاق الأمم ، المؤمن بمحمد والكافر به ، على كمال عقله ومعرفته وخبرته إذ ساس العالم سياسة لم يسسهم أحد بمثلها ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة ، الذي يقرأ به في الصلوات ، وسمعه العام والخاص ، والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر ، وإلا كان شاكاً في ذلك ، لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير ، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه ، وهذا لا يفعله من يقصد أن يصدقه الناس ، فمن يصدقه الناس ، لا يقول مثل هذا ويظهره هذا الإظهار ، ويشيعه هذه الإشاعة ، بقصد أن يخلده هذا التخليد ، إلا وهو جازم عند نفسه بصدقه .

ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق ، إذ علم العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة ، هو من أعظم دلائل كونه معجزاً وكونه آية على نبوته ، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر ، عند من سمع هذا الكلام وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق وهو - وحده - كاف في العلم بأن القرآن معجز .

دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز ، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص علي معارضته .

وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة .

فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة ، تامة وانتفت المعارضة علم عجز

جميع الأمم عن معارضته ، وهذا برهان بيّن يعلم به صدق هذا الخبر وصدق هذا الخبر آية لنبوته ، غير العلم بأن القرآن معجز ، فذلك آية مستقلة لنبوته ، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر ، معلومة لكل أحد ، وهي من أعظم الآيات ، فإن كونه معجزاً يعلم بأدلة متعددة ، والإعجاز فيه من وجوه متعددة ، فتنوعت دلائل إعجازه وتنوعت وجوه إعجازه وكل وجه من الوجوه ، فهو دليل إعجازه وهذه جمل ، لبسطها تفصيل طويل ، ولهذا قال تعالى :

﴿وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ ، [سورة العنكبوت : ٥٠ ، ٥١] فهو كاف في الدعوة والبيان ، وهو كاف في الحجج والبرهان .

فصل في إظهار معجزاته

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوة ، وأعلام النبوة ، ونحو ذلك .

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ « المعجزات » موجوداً في الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ « الآية » و « البينة » و « البرهان » كما قال تعالى في قصة موسى ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ ، [سورة القصص : ٣٢] في العصا واليد ، وقال الله تعالى في حق محمد : ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينًا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٤] وقد قال في مطالبة أهل الدعاوي الكاذبة بالبرهان : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة البقرة : ١١١] وقال تعالى : ﴿ أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم

صادقين ﴾ ، [سورة النمل : ٦٤] وقال : ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ ، [سورة المؤمنين : ١١٧] وقال تعالي : ﴿ ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ونزعنا من كل أمة شهيد فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ، [سورة القصص : ٧٤ ، ٧٥] .

وأما لفظ « الآيات » فكثيراً في القرآن كقوله تعالى :﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٢٣ ، ١٢٤]وقوله تعالي : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ ، [سورة الأسراء : ١٠١] وقال تعالى : ﴿ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ ، [سورة طه :٢٢] وقول فرعون له : ﴿ فأت بها إن كنت من الصادقين ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٦] وقال قوم صالح : ﴿ فأت بآية إن كنت من الصادقين * قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٤ ، ١٥٥] وقال : ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ [سورة الأعراف : ٧٣] ، [سورة هود : ٦٤] وقال المسيح : ﴿ قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فتكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩] وقال في حق محمد : ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون ﴾ [سورة الأنعام : ٤ ، ٥] وقال : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٩٧] وقال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ،[سورة القمر : ٢.١]

وقال : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ ، [سورة الأنعام ٢٥٠] وقال تعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٥٠ ، ٥١] وقال : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣] وقال تعالى : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ ، [سورة يونس : ١٥] وقال تعالي : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [سورة يونس : ١٠١] وقال لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء ، قال في آخر كل قصة : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ ، [سورة الشعراء : ٨ ، ٩] وقال : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ ، [سورة يوسف : ٧] إلي أن قال في آخرها : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٢] إلى قوله : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٥] وقال تعالى : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٠] وقال : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٥٠] .

وأما لفظ المعجز ، فإنما يدل علي أنه أعجز غيره كما قال تعالي : ﴿ وما هم بمعجزين ﴾ ، [سورة الزمر : ٥١] وقال : ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في

السماء ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٢٢] .

ومن لا يثبت فعلا إلا لله ، يقول : المعجز هو الله ، وإنما سمى غيره معجزاً مجازاً .

وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلا إذا فسر المراد به ، وذكر شرائطه ، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط ، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة .

والسلف - كأحمد وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً ، ويقولون لخوارق الأولياء : إنها معجزات ، إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك .

بخلاف ما كان آية وبرهانًا على نبوة النبي ، فإن هذا يجب اختصاصه .

وقد يسمون الكرامات آيات ، لكنها تدل على نبوة من اتبعه الولى ، فإن الدليل مستلزم للمدلول ، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول ، فكذلك ما كان آية وبرهانًا وهو الدليل و العلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي .

وقد يقال : إنهم سموها معجزات لأن كرامات الأولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه ، ولهذا سموها آيات أيضًا ، أو لأنها تعجز غيرهم ، وهي آية على صحة طريقهم ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة ، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب ، وبينا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط ، بل هي أنواع كثيرة ، لكن الآيات نوعان .

منها : ما مضى وصار معلومًا بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى .

ومنها : ماهو باق إلي اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكالعلم والإيمان اللذين في أتباعه ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضًا من أعلام نبوته ، وكالآيات التي يظهرها الله وقتًا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته ووقع ما أخبر بوقوعه ، كقوله (١) « لا تقوم

(١) سبق تخريجه

الساعة حتى تقاتلوا الترك » وقوله (١) « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بأرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى » .

وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستمائة وشاهد الناس أعناق الإبل في ضوء النار ببصرى . وظهور دينه وملته بالحجة والبرهان ، واليد والسنان ، ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه ، وغير ذلك ، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله ، وغير ذلك .

فصل في معجزات القرآن

القرآن كلام الله ، وفيه الدعوة والحجة ، فله به اختصاص على غيره ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال (٢) : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » .

والقرآن يظهر كونه آية وبرهانًا له ، من وجوه ، جملة وتفصيلا .

أما الجملة ، فإنه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم ، علمًا متواترًا أنه هو الذي أتى بهذا القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار ، أعظم من تواترها بخبر كل أحد

---

(١) سبق تخريجه

(٢) «متفق عليه» عن «أبي هريرة»

رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» باب «كيف نزل الوحي» (٨/٦١٩ح٤٩٨١) ورواه أيضاً برقم (٧٢٧٤)

ورواه مسلم في كتاب «الإيمان» باب «وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ..» (١/١٣٤ح١٥٢)

ورواه النسائي في الكبرى في كتاب «فضائل القرآن» باب «كيف نزول القرآن» (٥/٣ح٧٩٧٧) ورواه أيضاً برقم (١١١٢٩)

من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم .

والقرآن نفسه ، فيه تحدي الأمم بالمعارضة ، والتحدي هو أن يحدوهم . (أي يدعوهم ويبعثهم) إلى أن يعارضوه .

فيقال فيه : حداني على هذا الأمر (أي بعثني عليه) ومنه سمى حادي العيس ، لأنه بحداه يبعثها على السير .

وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة ، ولكن أصله الأول قال تعالى : في سورة الطور ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ ، [سورة الطور : ٣٣] فهنا قال ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ ، فإنه إذا كان محمد قادراً على أن يتقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر ، كان هذا ممكنًا للناس ، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله .

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة هود : ١٣] ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال تعالى : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة يونس : ٣٧ ، ٣٨] فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، هم وكل من استطاعوا من دون الله ، ثم تحداهم بسورة واحدة ، وهم ومن استطاعوا قال : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ﴾ ، [سورة هود : ١٤] وهذا أصل دعوته ، وهو الشهادة بأن محمداً رسول الله .

وقال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ ، [سورة

هود : ١٤] كما قال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ﴾ ، [سورة النساء : ١٦٦] أي هو يعلم أنه منزل ، لا يعلم أنه مفترى كما قال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ ، [سورة يونس : ٣٧] أي ما كان لأن يفترى ، يقول : ما كان ليفعل هذا ، فلم ينف مجرد فعله ، بل نفى احتمال فعله ، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع بل يمتنع وقوعه ، فيكون المعنى : ما يمكن ، ولا يحتمل ، ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله ، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق ، والمخلوق لا يقدر على ذلك ، وهذا التحدي كان بمكة ، فإن هذه السور مكية ، سور يونس ، وهود ، والطور .

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة ، فقال في « البقرة » وهي سورة مدنية ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٣] ثم قال : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ ، [سورة البقرة ٢٤] فذكر أمرين :

أحدهما : قوله ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ يقول : إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه ، فيحيق بكم العذاب الذي وعد به المكذبين ، هذا دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة ، وهو جدالهم بالتي هي أحسن .

والثاني : قوله « ولن تفعلوا » و « لن » لنفي المستقبل ، فثبت للخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لا يأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك وأمره أن يقول في سورة « سبحان » وهي سورة مكية افتتحها بذكر الإسراء ، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر ، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ، ما يبين ذلك بقوله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ، [سورة الأسراء ٨٨] فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع

الخلق معجزاً لهم ، قاطعًا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم ، لا يأتون بمثل هذا القرآن ، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك ، وهذا التحدي والدعاء ، هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن ، وعرفه العام والخاص ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حين بعث وإلى اليوم ، الأمر على ذلك مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث ، ولما بعث إنما تبعه قليل .

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله ، مجتهدين بكل طريق يمكن .

تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونهم عن أمور من الغيب ، حتى يسألوه عنها ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف ، وذي القرنين كما تقدم .

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما ، مع ظهور الفرق .

فتارة يقولون : مجنون ، وتارة يقولون : ساحر ، وتارة يقولون : كاهن ، وتارة يقولون : شاعر ، إلي أمثال ذلك من الأقوال ، التي يعلمونها هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة ، مرة بعد مرة ، وهي تبطل دعوته ، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها ، لفعلوها فإنه - مع وجود هذا الداعي التام المؤكد - إذا كانت القدرة حاصلة ، وجب وجود المقدور ، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض .

فهذا القدر ، يوجب علماً بيناً لكل أحد يعجز عن جميع أهل الأرض ، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بحيلة وبغير حيلة .

وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره ، وكون القرآن أنه معجزة ، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط .

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته ، وغير ذلك .

ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي ، وعن الغيب المستقبل .

ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية ، والأقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا ﴾ ، [سورة الكهف : ٥٤] وقال تعالي : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ ، [سورة الروم : ٥٨] وقال : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنًا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ ، [سورة الزمر : ٢٧] .

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن ، هو حجة على إعجازه ، ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام : إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ، وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا ، مثل قوله تعالى لزكريا : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا ﴾ ، [سورة مريم : ١٠] فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل ، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله ، فامتناعهم - جميعهم - عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة - من بلغ الآيات الخارقة للعادات ، بمنزلة من يقول : إني آخذ أموال جميع أهل البلد العظيم ، وأضربهم جميعهم ، وأجوعهم ، وهم قادرون علي أن يشكوا إلى الله ، أو إلى ولي الأمر ، وليس فيهم - مع ذلك - من يشتكي فهذا أبلغ من

العجائب الخارقة للعادة .

ولو قدر أن واحداً صنف كتابا ، يقدر أمثاله على تصنيف مثله ، أو قال شعراً ،يقدر أن يقولوا مثله ، وتحداهم كلهم ، فقال : عارضوني ، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار ، مأواكم النار ، ودماؤكم لي حلال ، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد .

فإذا لم يعارضوه ، كان هذا من العجائب الخارقة للعادة .

والذي جاء بالقرآن ، قال للخلق كلهم : أنا رسول الله إليكم جميعًا ، ومن آمن بي ، دخل الجنة ومن لم يؤمن بي دخل النار ، وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم ، ووجب عليهم - كلهم - طاعتي ، ومن لم يطعني ، كان من أشقى الخلق ، ومن آياتي هذا القرآن ، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله فيقال : لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين ، فإن كانوا قادرين ، ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم ، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه ، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل : معجزتي أنكم كلكم ، لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب ، فإن المنع من المعتاد ، كإحداث غير المعتاد ، فهذا من أبلغ الخوارق .

وإن كانوا عاجزين ، ثبت أنه خارق للعادة ، فثبت كونه خارقا للعادة على تقدير النقيضين ، للنفي والإثبات فثبت أنه من العجائب الناقصة للعادة في نفس الأمر .

فهذا غاية التنزيل ، وإلا فالصواب المقطوع به ، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته ، لا يقدرون على ذلك ، ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه ، على أن يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه ، لكل من له أدنى تدبر ، كما قد أخبر في قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل

هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ، [سورة الإسراء : ٨٨] .

وأيضًا فالناس يجدون دواعيهم إلي المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولوكانوا قادرين لعارضوه .

وقد انتدب غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب ، كقوله « يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء ، وذنبك في الطين » .

وكذلك أيضًا يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه .

وأيضًا فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له ، أنه كان قصده أن يصدقه الناس لا يكذبوه وكان ـ مع ذلك ـ من أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما جاء به ، ينال مقصوده سواء قيل : إنه صادق أو كاذب فإنه من دعى الناس إلي مثل هذا الأمر العظيم ، ولم يزل حتى استجابوا له طوعا وكرها وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الانتشار ، هو من عظماء الرجال على أي حال كان ، فإقدامه ـ مع هذا القصد ـ في أول الأمر وهو بمكة وأتباعه قليل على أن يقول خبرًا يقطع به أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله لا في ذلك العصر ولا في سائر الأعصار المتأخرة ، لا يكون إلا مع جزمه بذلك ، وتيقنه له وإلا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح ، فيرجع الناس عن تصديقه .

وإذا كان جازمًا بذلك ، متيقنًا له ، لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله له بذلك .

وليس فى العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل

كلامه ، إلا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر .

والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً ، فإنا نعلم ذلك ، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقًا للعادة ، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم ، وإلا كان العلم جهلا ، فثبت أنه - على كل تقدير - يستلزم كونه خارقا للعادة .

ولو قال مفتر : بل أنا أقول الذي أخبر بهذه الغيوب وأتي هذه العجائب كان جاهلا أخرق ، ولا يدري ما يقول .

وقيل له فهذا أبلغ في الإعجاز وخرق العادة أن يكون مجنونًا ، قد أتي بهذه الغيوب والعجائب التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين وأما التفصيل ، فيقال : نفس نظم القرآن وأسلوبه ، عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ، ولا الرجز ، ولا الرسائل ، ولا الخطابة ، ولا نظمه نظم شئ من كلام الناس ، عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق وبسط هذا وتفصيله طويل ، يعرفه من له نظر وتدبر .

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، أمر عجيب خارق للعادة ، لم يوجب مثل ذلك في كلام بشر ، لا نبي ولا غير نبي .

وكذلك ما أخبر عن الملائكة ، والعرش ، والكرسي ، والجن ، وخلق آدم وغير ذلك ، ونفس ما أمر به القرآن ، من الدين ، والشرائع كذلك ونفس ما أخبر به من الأمثال ، وبينه من الدلائل هو أيضًا كذلك .

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية ، والخلقية ، والسياسية ، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية ، التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء تفاوتًا عظيما ، ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه ، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم .

فالإعجاز في معناه ، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه ، وجميع عقلاء - بني آدم - عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه ، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه .

وما في التوراة والإنجيل ، لو قدر أنه مثل القرآن ، لا يقدح في المقصود ، فإن تلك كتب الله أيضاً ، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي كما أتى المسيح بإحياء الموتى وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلا لمعاني القرآن لا في الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية ؟! بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب .

وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ، ظهر له إعجاز من هذا الوجه .

ومن لم يظهر له ذلك ، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله ، كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي وإخباره بعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد .

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية ، فيها الظاهر البين لكل أحد ، كالحوادث المشهودة ، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك ، وفيها ما يختص به من عرفه ، مثل دقائق التشريح ، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك ، فإن الخلق كلهم محتاجون إلي الإقرار بالخالق والإقرار برسله ، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين فإن الله يجود به على عباده جوداً عامًا ميسراً .

فلما كانت حاجتهم إلي النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء ، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلي الأكل ، كان سبحانه قد جاد بالهواء جوداً عامًا في كل زمان ومكان ، لضرورة الحيوان إليه ثم الماء دونه ، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر لأن الحاجة إليه أشد .

فكذلك دلائل الربوبية ، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات ، ثم دلائل النبوة .

فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما يحتاج إليه العامة ، مثل تماثل الأجسام

واختلافها ، وبقاء الأعراض أو فنائها ، وثبوت الجوهر الفرد أو انتفاؤه ، ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ، ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء ٠

فصل

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من آياته وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته ، ومن آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم ، ومن آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلي أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله ، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبًا : من صميم سلالة إبراهيم ، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد إبراهيم إلا من ذريته ، وجعل له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيم بشرت به النبوات غيره ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم ، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى ، وبلد البيت الذي بناه إبراهيم ، ودعا الناس إلي حجه ، ولم يزل محجوجًا من عهد إبراهيم ، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف ٠

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش ، والظلم ، وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، وممن آمن به وكفر بعد النبوة ، لا يعرف له شئ يعاب به ، لا في أقواله ، ولا في أفعاله ، ولا في أخلاقه ، ولا جرت عليه كذبة قط ، ولا ظلم ، ولا فاحشة ، وكان خلقه ، وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله وكان أميًا من قوم أميين ، لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب ، التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر وهو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرنا بأمر لم يكن في

بلده وقومه ، من يعرف مثله ، ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ، ولا في عصر من الأعصار ، من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من ظهر كظهوره ، ولا من أتى من العجائب الآيات بمثل ما أتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره .

ثم إنه اتبعه أتباع الأنبياء ، وهم ضعفاء الناس ، وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه ، لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم إياها ، ولا كان له سيف ، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه .

وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم ، فتجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلي الله صابراً علي ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم ، وعرفوه فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر ، الذي تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة ، إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ، ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل ، والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس ، وأعدلهم ، وأوفاهم

بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة ، وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو - على ذلك كله - ملازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معاداً ، فصاروا أعلم أهل الأرض ، وأدينهم ، وأعدلهم ، وأفضلهم .

حتى إن النصارى لما رأوهم - حين قدموا الشام - قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء .

وهذا آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين .

وهو صلى الله عليه وسلم - مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الأنفس والأموال - مات صلي الله عليه وسلم ولم يخلف درهما ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً له إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقًا من شعير ، ابتاعها لأهله .

وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ، ولا يأخذ ورثته شيئًا من ذلك .

وهو في كل وقت ، يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئًا بعد شئ ، حتى أكمل الله دينه الذي بعث به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشئ فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شئ فقيل : ليته لم ينه

عنه ، وأحل الطيبات ، لم يحرم شيئًا منها كما حرم في شرع غيره ، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئًا كما استحله غيره ، وجمع محاسن ماعليه الأمم فلا يذكر في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر ، إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب .

فليس في تلك الكتب إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب إلى الفضائل وترغيب في الحسنات ، إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها ، وعبادات غيره من الأمم ، ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر أنهم أدين من غيرهم .

وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله ، وصبرهم على المكاره في ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهادًا وأشجع قلوبًا .

وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم ، وسماحة أنفسهم بغيرهم ، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها وهوالذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم ، بعضها من التوراة ، وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده كالحواريين ، ومن بعد الحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم ، حتى أدخلوا – لما غيروا دين المسيح - في دين المسيح أمورًا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يكونوا قبله يقرءون كتابًا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور إلا من جهته ، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالي في الكتاب الذي جاء به : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، [سورة البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧] .

وقال تعالي : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦] .

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئًا من الدين من غير ما جاء به ، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله .

ولكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، واعتبروا به ، وما حدثهم به أهل الكتاب ، موافقًا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه ، أمسكوا عنه وما عرفوا أنه باطل كذبوه ، ومن أدخل في الدين ما ليس منه ، من أقوال متفلسفة الهند والفرس أو اليونان أو غيرهم ، كان ـ عندهم ـ من أهل الإلحاد والابتداع ، وهذا

هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون ، وهو الذي عليه أئمة المسلمين الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهم الظاهرون إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (١) : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .وقد تنازع بعض المسلمين ، مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً ، ودين محمد خصوصاً .

ومن خالف هذا الأصل كان ـ عندهم ـ ملحداً مذموماً ، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ، قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم وكان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ، ليس هو دين المسيح ، ولا دين غيره من الأنبياء .

والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، فمن اتبع الرسل ، حصل له سعادة الدنيا والآخرة .

وإنما دخل في البدع ، من قصر في اتباع الأنبياء علماً وعملا .

ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون أمته .

فكل علم نافع وعمل صالح ، عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخذوه عن نبيهم ، مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية .

ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم ، فهو من الأصل المعلم ، وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علماً وديناً ، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً

---

(١) سبق تخريجه

في قوله : ﴿ إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ لم يكن كاذبًا مفتريًا ، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ، إن كان صادقًا ، أو هو من شر الناس وأخبثهم إن كان كاذبًا .

وما ذكر من كمال علمه ودينه ، يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقًا في قوله : ﴿ إني رسول الله ﴾ لأن الذي لم يكن صادقًا ، إما أن يكون متعمدًا للكذب أو مخطئًا والأول يوجب أنه كان ظالمًا غاويًا والثاني يقتضي أنه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدًا للكذب ، ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقًا عالمًا بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وماغوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، [سورة النجم : ١ ، ٤] ، وقال تعالى عن الملك الذي جاء به : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين ﴾ ، [التكوير : ١٩ - ٢١] ثم قال عنه ﴿ وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين ﴾ ، [سورة التكوير : ٢٢ ، ٢٤] أي بمتهم ، أو بخيل ، كالذي لا يُعَلِّم إلا بجعل أو لمن يكرمه ، وقال : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ ، [سورة التكوير : ٢٥ ، ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٩٢: ١٩٥] إلى قوله : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ ، [سورة الشعراء : ٢٢١ : ٢٢٣] بين سبحانه أن الشيطان انما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر ، (وهو الكذب والفجور) لا يقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب وفجور ، إما عمدًا

وإما خطأ ، فإن الخطأ في الدين من الشيطان أيضًا ، كما قال ابن مسعود ـ لما سئل عن مسألة (١) : « أقول فيها برأى فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه » .

فالرسول برىء من تنزل الشيطان عليه في العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول ، فإنه قد يخطئ ويكون خطؤه من الشيطان ، وإن كان خطؤه مغفورًا له ، فإذا لم يعرف له خير أخبر به ، كان مخطئًا ، ولا أمر به ، كان فيه فاجرًا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه ، وإنما ينزل عليه ملك كريم ، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي ﷺ : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ، [سورة التكوير : ١٩] إلى آخر الآية .

فصل في صفاته

وقد نقل الناس صفاته الظاهرة الدالة على كماله ، ونقلوا أخلاقه ، من حلمه ، وشجاعته وكرمه ، وزهده وغير ذلك ونحن نذكر بعض ذلك :

---

(١) « صحيح » رواه أبو داود فى كتاب « النكاح » باب « فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات » (١٤٨/٦ ، ١٤٩ح٢١٠٢)
ورواه النسائي فى كتاب « النكاح » باب « التزاوج بغير صداق » (١٢٢/٦ ، ١٢٣)
ورواه الترمذى فى كتاب « النكاح » باب « ما جاء فى الرجل متزوج المرأة ..» (٢٩٩/٤ح١١٥٤) دون ذكر الشاهد وكذلك رواه ابن ماجه فى كتاب « النكاح » باب « الرجل متزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك » (٦٠٩/١ح١٨٩١) دون ذكر الشاهد وقد صححه الألبانى فى « صحيح ابن ماجه » (٣١٨/١ح١٥٣٤)
(٢) « متفق عليه » عن « البراء بن عازب »
ورواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم »(٦٥٢/٦ح٣٥٤٩)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم ...» (١٨١٨/٤ ، ١٨١٩ح٢٣٣٧)

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال (١) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا ، وأحسنهم خلقًا ، ليس بالطويل الذاهب ، ولا بالقصير »

وعنه قال (٢) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئًا قط أحسن منه » .

وفي البخاري (٣) : وسئل البراء : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦٥٢/٦ح٣٥٥١)
ورواه أيضاً برقم (٥٨٤٨ ، ٥٩٠١)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (١٨١٨/٤ ح ٢٣٣٧)
ورواه أبو داود فى كتاب « اللباس » باب « فى الرخصة فى ذلك » (١٢٣/١١ح٤٠٥٤)
ورواه الترمذى فى « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ١٦ ، ١٧ ح٣) وروى بعضه فى كتاب « الاستئذان » باب « ما جاء فى الرخصة فى لبس الحمرة للرجال » (٩٦/٨ح٢٩٦٤)
ورواه النسائى فى كتاب « الزينة » باب « لبس الحلل » (٢٠٣/٨)
(٢) « صحيح » رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦٥٣/٦ح٣٥٥٢)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب (٣٦) (١١٥/١٠ح٣٧١٥)
ورواه أيضاً فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص٢٧ح١٠)
(٣) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى اله عليه وسلم » (٦٥٣/٦ح٣٥٥٦)
ورواه مطولاً فى مواضع كثيرة
ورواه مسلم مطولاً فى كتاب « التوبة » باب « حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه » (٢١٢٠/٤ : ٢١٢٩ح٢٧٦٩)
وقد رواه أبو داود والنسائى دون ذكر الشاهد فيها

مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر .

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال (١) : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ ، استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال (٢) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين ، لم أر قبله ولا بعده مثله ، وكان بسيط الكفين ، ضخم اليدين » .

وسئل عن شعره فقال (٣) : « كان شعراً رجلا ، ليس بالجعد ولا بالبسط ، بين أذنيه وعاتقه » .

وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : « كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين » وفسرهما ابن سماك بن حرب فقال : واسع الفم ، طويل شق العين ، قليل لحم العقب .

---

(١) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « اللباس » باب « الجعد » (١٠/٣٦٩ح ٥٩٠٧ : ٥٩١١)
(٢) « متفق عليه » رواه البخارى فى كتاب « اللباس » باب « الجعد » (١٠/٣٦٩ ح ٥٩٠٥ ، ٥٩٠٦)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « صفة شعر النبى صلى الله عليه وسلم » (٤/١٨١٩ ح ٢٣٣٨)
ورواه الترمذى فى كتاب « الشمائل » باب « فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص٤٣ح ٢٦) ورواه النسائى فى كتاب « الزينة » باب « الأخذ من الشارب » (٨/١٣١) ورواه ابن ماجه فى كتاب « اللباس » باب « اتخاذ الجمة والذوائب » (٢/١٢٠٠ح٣٦٣٤)
(٣) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « صفة فم النبى صلى الله عليه وسلم » (٤/١٨٢٠ح٢٣٣٩)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب (٤٤) (١٠/١٣٠ح٣٧٢٦)
ورواه أيضاً فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص٢٥ح٨)

العقب .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال (١) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأبهق ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالبسط » .

وفي الصحيحين عنه قال (٢) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاشممت مسكا ولا عنبرة أطيبَ من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروي الدارمي عن ابن عباس قال (٣) : « كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أبلج الثنيتين ؛ إذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه » .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم (٦/٦٥٢ح٣٥٤٧)
ورواه أيضاً برقم (٣٥٤٨ ، ٥٩٠٠)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه » (١٨٢٤/٤ ، ١٨٢٥ح٢٣٤٧)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « ما جاء فى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ... » (٩٦/١٠ ، ٩٧ح٣٧٠٢)
ورواه أيضاً فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص١٣ ، ١٤ ح١)
(٢) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « طيب رائحة النبى صلى الله عليه وسلم » (١٨١٤/٤ ، ١٨١٥ح٢٣٣٠) واللفظ له وروى البخارى طرفاً منه فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦٥٤/٦ح٣٥٦١)
(٣) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب « فى حسن النبى صلى الله عليه وسلم » (٤٤١ح٥٨)

وروي عن ابن عمر قال (١) : « ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضوأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وعن أنس قال (٢) : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ياأم سليم ، ماهذا الذي تصنعين ؟ » قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا ، وإنه أطيب من الطيب » أخرجاه .

وروي الدارمي عن جابر قال (٣) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلك طريقًا فيتبعه أحد ، إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه » .

وفي حديث أم معبد المشهور ، لما مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، وهو وأبو بكر ومولاه ودليلهم ، وجاء زوجها فقال : « صفيه لي ياأم معبد » فقالت (٤) : « رجلا ظاهر الوضاءة ،حلو المنطق ، فصل، لا نزر ولا هذر،كأن منطقه

---

(١) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب « فى حسن النبى صلى الله عليه وسلم » (٤٤/١ح٥٩) ، ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٥١)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « طيب عرق النبى صلى الله عليه وسلم » (١٨١٥/٤ ، ١٨١٦ح٢٣٣١)

(٣) رواه الدارمى فى (المقدمة) باب (فى حسن النبى صلى الله عليه وسلم » (٤٥/١ ، ٤٦ ح ٦٦)

(٤) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » (١٤٦/٢: ١٥٢) ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٤٩١/٢ : ٤٩٤)

ورواه الحاكم (٩/٣ ، ١٠) وقال « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى

ورواه ابن سعد فى « طبقاته » (١٥٥/١/١ : ١٥٧)

ورواه البزار كما فى «كشف الأستار » (٣٠١/٢ح١٧٤٣)

وقال : لا نعلم روى قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا هذا ولا نعلمه بهذا اللفظ إلا عنه وهو يخالف سائر الأحاديث فى قصة أم معبد ولكن هذا حدث به عبيد بن إياد . وقال الهيثمى فى « المجمع » (٥٨/٦) : « ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح »

خرزات نظم يتحدرن » .

وروي أبو زرعة بإسناده عن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوذ بن عفرا : صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت (١) : يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال (٢) : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا وقد سبقهم إلي الصوت ، وقد استبرأ الخبر وهو علي فرس لأبي طلحة عرى في عنقه السيف وهو يقول : لن تراعوا

وقال : وجدناه بحراً ، وكان الفرس قبل ذلك بطيئًا ، فعاد لا يجاري .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال (٣) : « كان رسول الله صلي الله عليه وسلم

---

(١) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب « فى حسن النبى صلى الله عليه وسلم » (١/٤٤ح٦٠) . وقال الهيثمى فى « المجمع » (٨/٢٨٠) رواه الطبرانى فى « الكبير والأوسط ورجاله وثقوا »

(٢) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « الشجاعة فى الحرب والجبن » (٦/٤٢ح٢٨٢٠) ورواه أيضاً برقم (٦٠٣٣)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى شجاعة النبى عليه السلام وتقدمه للحرب » (٤/١٨٠٢، ١٨٠٣ح٢٣٠٧)

ورواه الترمذى فى كتاب « الجهاد » باب « ما جاء فى الخروج عند الفزع » (٥/٣٣٣ح١٧٣٧)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الجهاد » باب « الخروج فى النفير » (٢/٩٢٦ح٢٧٧٢)

(٣) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « بدء الوحى » باب « كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١/٤٠ح٥)

ورواه أيضاً برقم (١٩٠٢ ، ٣٢٢٠ ، ٣٥٥٤ ، ٤٩٩٧)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من=

أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة »

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال (١) : « كنا إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (يعني النبي صلي الله عليه وسلم) .

وعن علي بن أبي طالب قال (٢) : « لما كان يوم « بدر » اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس بأسا ، وما كان أحد أقرب إلى العدو منه » ذكره البيهقي بإسناد صحيح .

وفي الصحيحين عن أنس قال (٣) : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، والله ما قال لي : أف قط ولا قال لشئ : لم فعلت ، وهلا فعلت كذا » .

= الريح المرسلة » (١٨٠٣/٤ ، ١٨٠٤ ح٢٣٠٨)
ورواه الترمذى فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٨٠ ح ٣٣٦)
ورواه النسائى فى كتاب « الصيام » باب « الفضل والجود فى شهر رمضان » (١٢٥/٤ ، ١٢٦)
ورواه أيضاً فى الكبرى فى كتاب « فضائل القرآن » باب « عرض جبريل القرآن » (٧/٥ح٧٩٩٣)
(١) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الجهاد والسير » باب « فى غزوة حنين » (١٤٠٠/٣ ، ١٤٠١ح١٧٧٦)
ورواه النسائى دون ذكر الشاهد فى الكبرى فى كتاب « السير» باب « الحمل على العلو » (١٩١/٥ح ٨٦٣٨)
(٢) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٣٢٤/١) ورواه أحمد (١٢٦/١ ، ١٥٦) ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٥٨)
وقال أحمد شاكر رحمه الله فى تحقيقه للمسند (٦٤/٢ ح٦٥٤) : « إسناده صحيح »
(٣) سبق تخريجه

وفي رواية في الصحيحين أيضًا قال (١) : « خدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لي لشيءٍ صنعته : لم صنعته هذا هكذا ؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا ؟ وكان أحسن الناس خلقًا » .

وفي الصحيحين عن جابر (٢) قال (٣) : « ما سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة » .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال (٤) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه » .

وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً » (١٨٠٤/٤ح٢٣٠٩)

(٢) الحديث رواه أنس وليس جابر لا برواية جابر مختصرة ولكن هذا اللفظ عند « أنس »

(٣) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال : لا وكثرة عطائه » (١٨٠٦/٤ح٢٣١٢)

(٤) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦٥٤/٦ح٣٥٦٢)
ورواه أيضاً برقم (٣٥٦٢ ، ٦١٠٢ ، ٦١١٩)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم » (١٨٠٩/٤ ، ١٨١٠ ح٢٣٢٠) واللفظ له .
ورواه الترمذى فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى حياء الرسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٨٣ ح٣٤١)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الزهد » باب « الحياء » (١٣٩٩/٢ ح٤١٨٠)

قال (١) : « لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا » .

وروى البخاري عن أنس قال (٢) : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانًا ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله تربت جبينه » .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت (٣) : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلي الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله » .

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦/٦٥٤ح٣٥٥٩)
ورواه أيضاً برقم (٣٧٥٩ ، ٦٠٢٩ ، ٦٠٣٥)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم » (٤/١٨١٠ح٢٣٢١)

ورواه الترمذى فى كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء فى الفحش » (٦/١١٠ح٢٠٤١)

(٢) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « الأدب » باب « لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفاحشاً » (١٠/٤٦٧ح٦٠٣١) ورواه أيضاً برقم (٦٠٤٦)

(٣) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦/٦٥٤ح٣٥٦٠)
ورواه أيضاً برقم (٦١٢٦ ، ٦٧٨٦ ، ٦٨٥٣)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام ... » (٤/١٨١٣ ، ١٨١٤ح٢٣٢٧)

ورواه أبو داود فى كتاب « الآدب » باب « فى العفو والتجاوز » (١٣/١٤٢ح٤٧٦٤)

ورواه الترمذى فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص٢٧٥ح٣٣٢)

وعنها قالت (١) : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئًا قط لا امرأة ولا خادمًا ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله » .

وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت (٢) : « كان خلقه القرآن » .

وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا أبو عبد الله الجدلي قال : سمعت عائشة وسألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت (٣) : « لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ، ولا سخابا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو يغفر » شك أبو داود . ورواه الحاكم في مستدركه علي

---

(١) سبق تخريجه

(٢) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « صلاة المسافرين وقصرها » باب جامع صلاة الليل ... » (١/٥١٢ : ٥١٥ ح٧٤٦)

ورواه أبو داود فى كتاب « التطوع » باب « فى صلاة الليل » (٤/٢١٩ : ٢٢٢ ح ١٣٢٨)

ورواه الترمذى فى كتاب « الصلاة » باب (٣٢٣) (٢/٥٢٣ح٤٤٣) مختصراً

ورواه النسائى فى سننه فى كتاب « قيام الليل » باب « الاختلاف على عائشة فى قيام الليل » (٣/٢١٨)

(٣)

رواه أبو داود الطيالسى فى « مسنده » (٧/٢١٤ح١٥٢)

ورواه الترمذى فى كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء في خلق النبى صلي الله عليه وسلم » (٦/١٥٧،١٥٨ح٢٠٨٥)

وقال « هذا حديث حسن صحيح »

ورواه أيضاً فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٧٤ ح ٣٣٠)

ورواه أحمد (٦/٢٣٦ ، ٢٤٦)

الصحيحين .

وفي الصحيحين عن علقمة قال : سألت عائشة : كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل كان يخص شيئًا من الأيام ؟ قالت (١) : « لا كان عمله ديمة ، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستطيع » .

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام ، وقد سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت (٢) : « ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله القرآن » .

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (٣) :

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الصوم » باب « هل يخص شيئاً من الأيام » (٢٧٧/٤ح١٩٨٧) ورواه أيضاً برقم (٦٤٦٦)

ورواه مسلم فى كتاب « صلاة المسافرين »باب « فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره » (٥٤١/١ح٧٨٣)

ورواه أبو دادو فى كتاب « أبواب التطوع » باب « ما يؤمر من القصد فى الصلاة » (٢٤٤/٤ح ١٣٥٧)

ورواه الترمذى فى « الشمائل باب « ما جاء فى صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٤٩ ح ٢٩٣)

(٢) سبق تخريجه

(٣) رواه الحاكم (٦١٣/٢) بلفظ « بعثت لأتمم صالح الأخلاق » وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ورواه ابن سعد فى « طبقاته » (١٢٨/١/١) ، ورواه البخارى فى « الأدب المفرد» (١/ ٢٧١ح٢٧٣)

ورواه أحمد (٣٨١/٢)

وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٨/٨) ، (١٥/٩) : ورواه أحمد « ورجاله رجال الصحيح »

ورواه البيهقى فى سننه (١٩٢/١٠)

ورواه مالك فى « الموطأ » (٩٠٤/٢ح٨) بلاغاً

وقال ابن عبد البر : « هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره .

وقال الألبانى : « وهذا إسناد حسن » فى السلسلة الصحيحة (٦٧/١ح٤٥)

« بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال (١) : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، فقيل : يارسول الله : أليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال (٢) : « ما عاب رسول الله صلى الله

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « التهجد » باب « قيام النبى صلى الله عليه وسلم » (١٩/٣ح١١٣٠)
ورواه أيضاً برقم (٤٨٣٦ ، ٦٤٧١)
ورواه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين » باب « إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة » (٢١٧١/٤ ، ٢١٧٢ح٢٨١٩)
ورواه الترمذي فى كتاب « الصلاة » باب « ما جاء فى الاجتهاد فى الصلاة » (٤٦٠/٢ ، ٤٦١ح٤١٠) وقال : « وفى الباب عن أبى هريرة وعائشة »
ورواه أيضاً فى « الشمائل » باب « ما جاء فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٢٣ح٢٤٨)
ورواه النسائى فى كتاب « قيام الليل وتطوع النهار »باب « الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل » (٢١٩/٣)
ورواه أيضاً فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (٤٦٢/٦ح١١٥٠١)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الإقامة » باب « ما جاء فى طول القيام فى الصلوات » (٤٥٦/١ح١٤١٩)

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « صفة النبى صلى الله عليه وسلم » (٦٥٤/٦ ح٣٥٦٣)
ورواه أيضاً برقم (٥٤٠٩)
ورواه مسلم فى كتاب « الاشربة » باب « لا يعيب الطعام » (١٦٣٢/٣ ، ١٦٣٣ ح ٢٠٦٤)
ورواه أبو داود فى كتاب « الأطعمة » باب « كراهية زم الطعام » (٢٣٧/١٠ ح ٣٧٤٥)
ورواه الترمذى فى كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء فى ترك العيب للنعمة » (١٧٩/٦ح٢١٠٠)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الأطعمة » باب « النهى أن يعاب الطعام » (١٠٨٥/٢ح٣٢٥٩)

عليه وسلم « الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » .

وعن أبي حازم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم رجلا فأرعد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : « هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » رواه ابن الجوزي من طرق ، بعضها متصلا عن ابن مسعود وجرير ، قال ابن الجوزي أو روى متصل والصواب إرساله كما تقدم .

وفي الصحيح عن أنس بن مالك (٢) « أن امرأة كان في عقلها شئ فقالت : يارسول الله ، إني لي إليك حاجة ، قال يا أم فلان خذي في أي الطرق شئت ، قومي

(١) رواه ابن سعد فى « الطبقات » (٤/١/١) مرسلاً وقال الألبانى فى « الصحيحة » (٤٩٦/٤) : « هذا إسنادصحيح مرسل »

وقد روى متصلاً عن « ابن مسعود »

رواه ابن ماجه فى كتاب « الأطعمة » باب « القديد » (١١٠١/٢ ح٣٣١٢) وقال : « إسماعيل وحده وصله » وقال البوصيرى فى « الزوائد » (٨٤/٣) : « هذا إسنادصحيح رجاله ثقات »

ورواه الحاكم (٤/٣ ، ٤٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى » وقال الألبانى في « الصحيحة » (٤٩٦/٤) : « إسماعيل بن أسدلم يخرج له الشيخان وهو ثقة لكن المرسل أصح »

ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٦٥ ، ٦٦)

وقد ورد الحديث عن جرير بن عبد الله

رواه الحاكم (٤٦٦/٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى

وقال الهيثمى فى المجمع (٢٠/٩) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم

وقال الألبانى فى الصحيحه » (٤٩٧/٤) ورجاله ثقات كلهم حفاظ غير محمد بن عبد الرحمن القرشى الهروى رواية عن سعيد ابن منصور قال ابن أبى حاتم (٣ ، ٢/٣٢٦-٣٢٧) : كتبت عنه وهو صدوق روى عنه على بن الحسن بن الجنيد حافظ حديث مالك والزهرى »

(٢) « صحيح»

رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « قرب النبى صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به » (١٨١٢/٤، ١٨١٣ ح ٢٣٢٦)

ورواه أبو داود فى كتاب « الأدب » باب « وفى الجلوس فى الطرقات » (١٧٠/١٣ ح ٤٧٩٨) مختصراً

فيه حتى أقوم معك ، فخلا معها يناجيها حتى قضت حاجتها » رواه مسلم .

وعن أنس قال (١) : « كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم فتدور به في حوائجها حتى تفرغ ثم يرجع » رواه البخاري في الأدب .

وروى عن ابن أبي أوفى قال (٢) : « كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي له حاجته » .

وعنه قال (٣) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ، ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد ، ولا مع الأرملة حتى يفرغ من حاجتهم » رواه الدارمي والحاكم في صحيحه .

وروى أبو داود الطيالسي عن أنس قال (٤) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف » .

---

(١)رواه أبو الشيخ الأصبهاني فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم (ص ٣٠)
عزاه التبريزى فى « المشكاة » (١٦١٧/٣ ح ٥٨٠٩) للبخارى فى « الأدب »

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن ورد بمعناه فى الحديث التالى .

(٣) « حديث صحيح »
رواه النسائى فى كتاب « الجمعة » باب « ما يستحب من تقصير الخطبة » (١٠٨/٣ ، ١٠٩) ورواه الدارمى فى « المقدمة » باب « فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٨/١ ، ٤٩ ح٧٤)
ورواه الحاكم (٦١٤/٢) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى
ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٣٤ ، ٣٥)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٣٢٩/١)
وقال الألبانى فى « المشكاة » (١٦٢٢/٣ ح ٥٨٣٣) : « إسناده صحيح »

(٤) رواه أبو داود الطيالسى فى « مسنده » (٢٨٥/٩ ح ٢١٤٨)
ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٥٥ ، ٢٥٦)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٣٣٠/١)

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال (١) : « ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروى البخاري عنه قال (٢) : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم » .

وروى ابن عباس قال (٣) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعتقل الشاة ، ويجيب دعوة المملوك .

وعن قدامة بن عبد الله قال (٤) : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء ، لا ضرب ولا طرد ولا إليك » رواهما أبو الشيخ .

---

(١) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال ... » (١٨٠٨/٤ح٢٣١٦)

(٢) « حديث متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الاستئذان » باب « التسليم على الصبيان » (٣٤/١١ ح٦٢٤٧)
رواه مسلم فى كتاب « السلام » باب « استحباب السلام على الصبيان » (١٧٠٨/٤ ح ٢١٦٨)
ورواه الترمذى فى كتاب « الاستئذان » باب « ما جاء فى التسليم على النساء » (٤٧٥/٧ ح٢٨٣٨)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « عمل اليوم والليلة » باب « التسليم على الصبيان ... » (٩٠/٦ ح١٠١٦٢،١٠١٦٣)

(٣) رواه البغوى فى « شرح السنة » (٢٨٨/١١ ح ٢٨٤١)
ورواه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم » (ص ٦٣ ، ٢١٢، ٢١٣)
وقال الهيثمى فى « المجمع » (٢٠/٩) : « رواه الطبرانى وإسناده حسن »

(٤) « صحيح »
رواه الترمذى فى كتاب « الحج » باب « ما جاء فى كراهية طرد الناس عند رمى الجمار » (٦٤٦/٣ح ٩٠٥) وقال : وفى الباب عن عبد الله بن حنظلة وحديث قدامة حسن صحيح »
ورواه النسائى فى كتاب « المناسك » باب « الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم » (٢٧٠/٥)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « المناسك » باب « رمى الجمار راكبا » (١٠٠٩/٢ ح ٣٠٣٥)
وصححه الألبانى كما فى « صحيح الترمذى » (٢٦٨/١ ح٧١٨)

وعن عائشة قالت (١) : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعًا ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، وإنما كان يتبسم ، وكان إذا رأى غيما أو ريحًا عرف ذلك في وجهه ، فقلت : يارسول الله ، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية ؟ قال : ياعائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ قد عذب قوم بالريح ، وقد أتى العذاب قوما ، وتلا قوله تعالى : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ » أخرجاه في الصحيحين .

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس قال (٢) : « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذ برادئه جبذًا شديدا حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يامحمد مر لي من مال الله الذي عندك ، قال : فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ، ثم أمر له بعطاء » .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « فلما رأوه عارضاً.. الآية » (٨/٤٤١ ح٤٨٢٨)
ورواه أيضاً برقم (٦٠٩٢)
ورواه مسلم فى كتاب « الإستسقاء » باب « التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر » (٢/٦١٦ ، ٦١٧ ح٨٩٩)
ورواه أبو داود فى كتاب « الأدب » باب « ما يقول إذا هاجت الريح » (١٤/٣ ، ٤ ح ٥٠٧٦)
(٢) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « فرض الخمس » باب « ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى المؤلفة قلوبهم ...» (٦/٢٨٩ ح٣١٤٩) ورواه أيضاً برقم (٥٨٠٩ ، ٦٠٨٨)
ورواه مسلم فى كتاب « الزكاة » باب « إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه » (٧/١٤٦ ، ١٤٧) شرح النووى ورواه ابن ماجه فى كتاب « اللباس » باب « لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢/١١٧٧ ح٣٥٥٣) مختصراً

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال (١) : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاه الذي يقوم فيه حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت ، قام وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم » .

وفي رواية أخرى صحيحة (٢) « كان طويل الصمت ، قليل الضحك وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشئ من أمورهم فيضحكون ويتبسم » .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها وسألها الأسود : (٣) ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ فقالت : « كان يكون في مهنة أهله (يعني خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج » .

---

(١) «صحيح »

رواه مسلم في كتاب « المساجد ومواضع الصلاة باب « فضل الجلوس في مصلاة بعد الصبح وفضل المساجد » (١/٤٦٣ ، ٤٦٤ ح ٦٧٠)

ورواه أيضاً برقم (٢٣٢٢)

ورواه أبو داود في كتاب « التطوع » باب « صلاة الضحى » (١٧٣/٤ ح ١٢٨٠) ورواه أيضاً برقم ٤٨٢٩)

ورواه الترمذي في كتاب « أبواب السفر » باب « ما ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد .. » (١٩٣/٣ ح ٥٨٢) مختصراً ورواه النسائي في الكبرى كتاب « الصلاة » باب « قعود الإمام في مصلاه بعد السلام » (١/٤٠٤ ح ١٢٨٠ ، ١٢٨١)

(٢) رواه أحمد (٥/٨٦ ، ٨٨)

ورواه البيهقي في « الدلائل » (١/٣٢٣ ، ٣٢٤)

(٣) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « الأذان » باب « من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج » (١٩١/٢ ح ٦٧٦)

ورواه أيضاً برقم (٥٣٦٣ ، ٦٠٣٩)

ورواه الترمذي في كتاب « صفة القيامة » باب (١٥) (١٩١/٧ ح ٢٦٠٧)

ورواه أحمد (٤٩٢٦ ، ١٢٦ ، ٢٠٦)

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة قال (١) : « سأل رجل عائشة ، هل كان يعمل في بيته ؟ قالت : « كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته » .

وروى الطيالسي (٢) : ثنا شبعة ، ثنا الأغر قال سمعت أنسا يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف » .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت (٣) : « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر تباعًا حتى مضى لسبيله» وعنها قالت (٤) : « كنا - آل محمد صلي الله عليه وسلم - يمر بنا الهلال والهلال ما نوقد بنار لطعام ، إلا أنه التمر والماء ، إلا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعث أهل كل دار بغريزة شاتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه

---

(١) رواه عبد الرزاق فى كتاب « مصنفه » (١١/٢٦٠ ح ٢٠٤٩٢)
ورواه أحمد (٦/١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٦٠)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (١/٣٢٨ ، ٣٢٩)

(٢) سبق تخريجه

(٣)« متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الأطعمة » باب « ما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون » (٩/٤٦٠ح٥٤١٦)
ورواه أيضاً برقم (٦٤٥٤ ، ٦٦٨٧)
ورواه مسلم فى كتاب « الزهد والرقائق » (٥٣) (٤/٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ ح٢٩٧٠)
ورواه النسائى فى كتاب « الضحايا» باب « الادخار من الأضاحى » (٧/٢٣٦)
وورواه ابن ماجه فى كتاب « الأطعمة » باب « خبز البر » (٢/١١١٠ ح ٣٣٤٣ ، ٣٣٤٤ ، ٣٣٤٦)

(٤) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب « كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم (١١/٢٨٧ ح ٦٤٥٩)
ورواه مسلم فى كتاب « الزهد (٥٣) (٤/٢٢٨٣ ح ٢٩٧٢)

وسلم يشرب من ذلك اللبن » أخرجاه في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري قال أنس (١) : « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط » .

وفي صحيح البخاري عنه (٢) : « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق » فقيل له : على ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر » .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب أنه خطب وذكر ما فتح على الناس فقال (٣) : « لقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يلتوي يومه من الجوع ، ما

---

(١) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « الأطعمة » باب « الخبز المرقق ... » (٩/٤٤٠ ح ٥٣٨٥) ورواه أيضاً برقم (٦٣٥٧،٥٤٢١)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الأطعمة » باب « الرقاق » (٢/١١٠٨ ح ٣٣٣٩)
(٢) « صحيح»
رواه البخارى فى كتاب « الأطعمة » باب « الخبز المرقق » (٩/٤٤٠ ح ٥٣٨٦) ورواه أيضاً برقم (٦٤٥٠،٥٤١٥)
ورواه الترمذى فى كتاب « الأطعمة » باب « ما جاء على ما كان يأكل النبى صلى الله عليه وسلم » (٥/٤٨٨ ، ٤٨٩ ح ١٨٤٨)
وقال : هذا حديث حسن غريب . قال محمد بن بشار : يونس هذا هو يونس الإسكاف ، وقد روى عبد الوارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس »
ورواه أيضاً فى « الشمائل » باب « ما جاء فى صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ١٣٣ ح ١٣٩)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الأطعمة » باب « السفر » (٤/١٤٧ ح ٦٦٢٥ ، ٦٦٢٦)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الأطعمة » باب « الأكل على الخوان والسفرة » (٢/١٠٩٥ ح ٣٢٩٢)
(٣) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الزهد » (٥٣) (٤/٢٢٨٥ ح ٢٩٧٨)

يجد من الدقل ما يملأ به بطنه » .

وفي صحيح البخاري عن أنس (١) : أنه مشي إلى النبي صلي الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة ، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيراً ، ولقد سمعته يقول : « ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب » وإنهم يومئذ تسعة أبيات .

وفيه عن عائشة قالت (٢) : « كان فراش رسول الله صلي الله عليه وسلم من أدم حشوه ليف » .

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لما ذكر اعتزال رسول الله صلي الله عليه وسلم نساءه - قال (٣) : فدخلت على رسول الله صلى

---

(١) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « البيوع » باب « شراء النبى صلى الله عليه وسلم بالنسيئة » (٣٥٤/٤ ح ٢٠٦٩) ورواه أيضاً برقم (٢٥٠٨)
ورواه الترمذى فى كتاب « البيوع » باب «ما جاء فى الرخصة فى الشراء إلى أجل » (٤٠٥/٤ ، ٤٠٦ ح ١٢٣٣)
رواه النسائى فى كتاب « البيوع » باب « الرهن فى الحضر » (٢٨٨/٧)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الرهون » باب « حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة » (٨١٥/٢ ح ٢٤٣٧) مختصراً
(٢) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب « كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم ... » (٢٨٧/١١ ح ٦٤٥٦)
ورواه مسلم فى كتاب « اللباس » باب « التواضع فى اللباس ...» (١٦٥٠/٣ ح ٢٠٨٢)
(٣) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الطلاق » باب « الإيلاء واعتزال النساء .. » (١١٠٥/٢ ، ١١٠٨ ح ١٤٧٩) رقم خاص (٣٠)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الزهد » باب « ضجاع آل محمد صلى الله عليه وسلم » (١٣٩٠/٢ ، ١٣٩١ ح ٤١٥٣)

الله عليـه وسـلم في خزانتـه ، فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدنى إليه إزاره وجلس ، وإذا الحصـير قد أثر بجنبه ، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئًا يرد البصر غير قبضة من شعير وقبضة من قرض نحو الصاعين ، وإذا أفق معلقة فابتدرت عيناي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم (١) : « مايبكيك يا ابن الخطاب » ؟ فقلت : « يارسـول الله ، وما لي لا أبكـي وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه ، وهذه خزانتك وهذه الأعاجم » وفي رواية « كسرى وقيصر في الثمار والأنهار » فقال (٢) : « أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » ، وفي رواية (٣) « أو ما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » قال : بلى ، قال : « فاحمد الله عز

---

(١) هذه الرواية رواها مسلم فى كتاب « الطـلاق » بـاب « الإيـلاء واعتزال النسـاء ...... »
(١١٠٥/٢:١١٠٨ ح ١٤٧٩) رقم خاص (٣٠)

(٢) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المظالم » باب « العزفة والعلية المشرفة ... » (١٣٧/٥ ، ١٣٨ ح ٢٤٦٨)
ورواه أيضاً برقم (٥١٩١)
ورواه مسلم فى كتاب « الطلاق » باب فى « الإيلاء واعتزال النساء ..» (١١١١/٢ ، ١١١٣ ح ١٤٧٩) رقم خاص (٣٤)
ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة التحريم » (٢٢٤/٩: ٢٣٢ ح ٣٣٧٤)

(٣) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « تبتغى مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » (٥٢٥/٨ ، ٥٢٦ ح ٤٩١٣)
ورواه مسلم فى كتاب « الطلاق » باب « الإيلاء واعتزال النساء ...» (١١٠٨/٢ : ١١١٠ ح ١٤٧٩) رقم خاص (٣١)

وجل » قال : فقلت : أستغفر الله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : (٤) « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا » .

وروى الطيالسي بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال (١) : « اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه عنه وأقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئًا يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : « مالي والدنيا » ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » رواه أحمد .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب « كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه » (٢٨٧/١١ ح٦٤٦٠)
ورواه مسلم فى كتاب « الزكاة » باب « فى الكفاف والقناعة » (٧٣٠/٢ح ١٢٦ رقم خاص)
ورواه أيضاً فى كتاب الزهد (٥٣) (٢٢٨١/٤ ح ١٠٥٥)
ورواه الترمذى فى كتاب « الزهد » باب « ما جاء فى معيشة النبى صلى الله عليه وسلم وأهله » (٢٥/٧ ح٢٤٦٦)
ورواه الترمذى فى كتاب « الزهد » باب « القناعة » (١٣٨٧/٢ ح ٤١٣٩)
(٢) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده » (٣٦/١ ح ٢٧٧)
ورواه زحمد (٣٩١/١ ، ٤٤١)
ورواه الترمذى فى كتاب « الزهد » باب (٣١) (٤٨/٧ ح ٢٤٨٣) وقال : وفى الباب عن ابن عمر وابن عباس وهذا حديث صحيح »
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الزهد » باب « مثل الدنيا » (١٣٧٦/٢ ح ٤١٠٩) ، ورواه الحاكم (٣١٠/٤) وقد استشهد به على حديث ابن عباس التالى دون تعليق ورواه ابن سعد فى طبقاته » (١٥٨/٢/١، ١٥٩)
وانظر « الصحيحة » للألباني (٣٣/١ ح ٤٣٩)

وروى الحاكم في صحيحه عن ابن عباس (١) أن عمر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال (٢) « حج النبي صلى الله عليه وسلم علي رحل رث وقطيفة » ورواه البخاري عن أنس أيضًا في « كتاب الحج » قال (٣) : « حج أنس على رحل رث ولم يكن شحيحًا وحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملته » .

وفي صحيح الحاكم عن أنس (١) : أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس خشنًا ،

---

(١) رواه الحاكم (٤/٣٠٩ ، ٣١٠) وقال « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

ورواه الطبرانى فى « الكبير » (١١/٣٢٧ ح ١١٨٩٨)

ورواه أحمد (١/٣٠١)

وقال الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٣٢٦) : رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة »

ورواه ابن حبان كما فى « الإحسان » (١٤/٢٦٥ ح ٦٣٥٢)

ورواه أبو نعيم فى الحلية » (٣/٣٤٢)

وانظر الصحيحة للألبانى (١/٣٣ ، ٣٤ ح ٤٤٠)

(٢) « صحيح »

رواه الترمذى فى كتاب « الشمائل » باب « ما جاء فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٢٦٤ ح ٣١٧)

ورواه أيضاً (ص ٢٦٩ ح ٣٢٣)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « المناسك » باب « الحج على الرحل » (٢/٩٦٥ ح ٢٨٩٠) وصححه الألبانى كما فى صحيح ابن ماجه (٢/١٤٩ ح ٢٣٣٧)

(٣) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « الحج » باب « الحج على رحل » (٣/٤٤٥ح ١٥١٧)

ورواه ابن حبان كما فى « الإحسان » (٩/٧٠ ح ٣٧٥٤)

(٤) «حديث ضعيف »

رواه الحاكم (١/٣٢٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »

وأكل خشنًا ، ولبس الصوف ، واحتذي المخصوف ، قيل للحسن : ما الخشن ؟ قال : غليظ الشعير ، ما كان يسيغه إلا بجرعة ماء » .

فصل في المعاد

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقًا كما تقدم ، وهو آية وبرهان على نبوته ، فإن كل ملزوم ، فإنه دليل على لازمه .

اعلم أن الأمم نوعان : نوع لهم كتاب منزل من عند الله ، كاليهود والنصارى . ونوع لا كتاب لهم ، كالهند ، واليونان ، والترك ، وكالعرب ، قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وما من أمة إلا ولابد لها من علم وعمل ، بحسبهم يقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم . وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان بل لكل حيوان ، كما يهدي الحيوان إلى جلب ما ينفعه بالأكل والشرب ، ودفع ما يضره باللباس والسكن ، وقد خلق الله فيه حبًا لهذا ، وبغضًا لهذا ، قال تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى ﴾ ، [سورة الأعلى : ١:٣] وقال موسى لفرعون : ﴿ ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ ، [سورة طه : ٥٠]وقال الخليل : ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾، [سورة الشعراء : ٧٨] وقال في أول ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ،[سورة العلق : ١: ٥] وقال تعالى ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين ﴾ ، [سورة البلد : ٨ : ١٠]

=وتعقبه الذهبى بقوله : « لم يصح « نوح » واهٍ ويوسف مجهول

قلت : نوح بن ذكوان « قال عنه ابن حجر فى « التقريب » (رقم ٧٢٠٥): « ضعيف من السابعة » ،

« ويوسف بن أبى كثير » قال عنه ابن حجر فى « التقريب » (رقم ٧٨٧٧) : مجهول ، من السابعة »

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بمعاد بعد الموت ، إما للأرواح فقط ، وإما للأبدان فقط ، وإما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ، ومتفاضلون فيما يجدونه ويستحسنونه من الأفعال والصفات ، وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك .

لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم ، والصدق خير من الكذب ، والعلم خير من الجهل ، فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم .

وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان ، وإن الناس بعد الموت سعداء أو أشقياء ، فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب ، وإن كان على وجه قاصر ، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم ، وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال :

أحدها : وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء و الصوفية والنظار وهو إثبات معاد الروح والبدن جميعًا ، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذب ، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى ، ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين ، القيامة الصغرى بالموت ، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم ، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة حيث قال في أولها : ﴿ إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسًا * فكانت هباء منبثًا* وكنتم أزواجًا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون *أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴾ ، [سورة الواقعة : ١: ١٢] ثم ذكر سبحانه حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى ، وقال في آخر السورة : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين *

فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو الحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ ، [سورة الواقعة : ٨٣ : ٩٦] وكذلك قال في سورة القيامة : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس * والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الإنسان أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يؤمئذ المستقر * ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ ، [سورة القيامة : ١: ١٣] فذكر القيامة الكبرى ، ثم قال في آخر السورة : ﴿ كلا إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق ﴾ ، [سورة القيامة : ٢٦ : ٣٠] وبسط هذا له موضع آخر ، فإن ذكر ما تناله الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية .

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة ، فكثيراً جداً ، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وقد بعث بين يدي الساعة ، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره ، كما ذكر المسيح في صفته فقال : « إنه يخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للرب » .

والقول الثاني : قول من يثبت معاد الأبدان فقط ، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية ، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة .

وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين ، أو جمهور المسلمين ، وذلك غلط ، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا هو من قول جمهور نظارهم ، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة ، الذين ذمهم السلف والأئمة .

والقول الثالث : المعـاد للنفس الناطقـة بالموت فقـط ، وأن الأبدان لا تعـاد وهذا لم يقله أحـد من أهل الملل ، لا المسلمين ، ولا اليـهـود ، ولا النصـارى ، بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان ، وعلى القيامة الكبرى .

ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفـه من الصابئة والفلاسـفة المشركين على أن المعاد للـروح وحده ، فإنه يزعم أن الأنـبياء خـاطبوا الجـمهور بمعاد الأبدان ، وإن لم يكن له حقيـقة ، وخاطبوهم بإثبات الصـفات لله وليس لها حقيقـة ، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق ، وأنه لا يستفاد من أخـبارهـم معرفة شئ من صفات الله ، ولا معرفة شئ من أمر المعاد .

وحقـيقة قـولهم أن الأنبيـاء كذبوا للمصلحـة ، هؤلاء ملاحدة كـفار عند المتبعين للأنبياء ، من المسلمين ، واليهود ، والنصارى .

وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل لظهور أديانهم ، وهو في الباطن على هذا الرأى .

وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط ، منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ ، إما في أبدان الآدميين ، أو أبدان الحيوان مطلقًا ، أو في جميع الأجسام النامية .

ومنهم من يقـول بالتناسخ في الأنفس الشقـية فـقط ، وكثيـر من محـققيـهم ينكر التناسخ .

والقول الرابع : ـ إنكار المعـادين جميـعًا ، كمـا هو قول أهل الكفـر من العرب ، واليـونان ، والهند ، والترك وغيـرهــم ، والمتـفلسـفـة أتباع « أرسطو » كـالفـارابي وأتباعه ، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال : ـ

١ ، ٢ : ـ قيل بالمعاد للأنفس العالمة والجاهلة .

٣ : ـ وقيل بإنكار الاثنين ، والفارابي نفسه قد قال الأقوال الثلاثة .

وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر ، إذ المقصود هنا أن كل ما عند أهل الكتاب ، بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح ، فهو عند المسلمين .

وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة ، وعقلاء جميع الأمم تأمر بأمر بالعدل ومكارم الأخلاق ، وتنهى عن الظلم والفواحش ، ولهم علوم إلهية ، وعبادات بحسبهم ، ويعظمون أهل العلم والدين منهم .

والهند والفرس واليونان في ذلك أكمل من كفار الترك ، والبربر ونحوهم مع أن هؤلاء فيهم أيضاً قسط من ذلك بحسبهم .

ومعلوم عند الاعتبار أن الأمم الذين لهم كتاب ، كاليهود والنصارى ، أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم ، في الفضائل العلمية والعملية ، فإن ما لم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار ، وبالمنام والإلهام ، وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق العلم .

وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والإلهامية وغيرها ، يشارك أهل الكتاب فيه من لا كتاب له ، ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء ليس في قوة من ليس بنبي أن يعلمها ، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات الملكية والمدنية ، فإن جنس أهل الكتاب ولو كان منسوخاً مبدلا ، هم أحسن حالا ممن لا كتاب له .

أما في العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر ، فرجحانهم فيه ظاهر .

وأما علوم وأعمال يكون ضررها راجحاً ، كالسحر والطلسمات وما يتوسل به من الشرك إلى استخدام الشياطين ونحو ذلك ، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أقوم به ، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة .

ولهذا لما ذكر الله تعالى فى قصة سليمان براءته عن ذلك ، وكانت الشياطين كتبت كتب كفر وسحر ، ودفنتها تحت كرسي سليمان ، فلما مات أظهروا ذلك ،

﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾، [سورة الإسراء : ٥٣] وقوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾، [سورة المؤمنون : ٩٦] مع قوله تعالى في موضع آخر ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾، [سورة الرعد : ٢٢] وقال تعالى : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾، [سورة النحل : ١٢٥] وقال : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾، [سورة العنكبوت : ٤٦] وقال : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ ، [سورة الإسراء ٣٤] في موضعين .

وقد يقال هذا نظير قوله تعالى : ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ﴾ ، [سورة الجمعة : ٩] وقوله تعالى : ﴿ الله خير أما يشركون ﴾ ، [سورة النمل : ٥٩] وقوله تعالى : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ، [سورة الشعراء : ٩٧ : ٩٨] وقوله : ﴿ والله خير وأبقى ﴾، [سورة طه : ٧٣] وقوله : ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ ، [سورة الأعلى : ١٧] وقوله : ﴿ فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [سورة النساء : ٥٩] وقوله : ﴿ أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا ﴾ ، [سورة مريم : ٧٣] وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ ، [سورة النساء : ١٢٥] وقوله تعالى : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، [سورة المائدة : ٨] وقوله : ﴿ ولوأنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتًا ﴾، [سورة النساء : ٦٦] ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهى عنه ، وإن كان الأول واجبًا ، والثاني محرمًا .

وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على مصلحة مرجوحة ، فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن ، وفي هذا شر وسيئ ، لكن لما كان هذا خيراً وأحسن كان واجبًا .

فقوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾، [سورة الزمر : ٥٥]

هو أمـر بالأحـسن من فـعل المأمـور أو ترك المحظور ، وهـو يتناول الأمـر بالواجب والمستحب ، فإن كليهما أحسن على المحرم والمكروه .

لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب ، كما أمر بالإحسان في قوله تعالى : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾، [سورة البقـرة : ١٩٥] والإحسـان منه واجب ، ومنه مستحب .

فصـل

في وجوب العدل ومقصود العبادات وصفاتها

إذا كـان جنس أهل الكتاب أكـمل في العلوم النافعـة والأعمـال الصالحـة ، ممن لا كـتاب له ، فـمعلوم أن أمته أكـمل من طائفـتي أهل الكتاب : اليـهود والنصـارى ، وأعدل ، وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل .

فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعـملية إلا وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل منهم فيها .

فأمـا العلوم ، فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حـتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية ، كـعلم الطب مثلا ، والحساب ، ونحوذلك ، هم أحـذق فيها من الأمتين ، ومصنفـاتهم فيها أكـمل من مصنفات الأمتين بل أحسن علـمًا وبيانا لها من الأوائل الذين كانت هي غاية علمهم .

وقـد يكون الحـاذق فيـهـا من هو عند المسلمين منبـوذ بنفـاق وإلحـاد ولا قـدر له عندهم ، لكن يحصل له بما يعلمـه من المسلمين من العقل والبيان مـا أعانه على الحذق في تلك العلوم ، فـصار حثـالة المسلمين أحـسن معرفـة وبيانًا لهـذه العلوم من أولئك المتقدمين .

وأما العلوم الإلهية والمعارف الربانية وما أخـبرت به الأنبياء من الغيب ، كالعرش ، والملائكة ، والجن ، والجنة ، والنار ، وتفـاصـيل المعـاد ، فـكل من نظر في كـلام

المسلمين فيها ، وكلام علماء اليهود والنصارى ، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم .

ومعلوم أن أعلم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم .

وأما العبادة والزهد ، والأخلاق ، والسياسة الملكية والمدنية ، فالكلام فيها مبني على أصل ، وهو معرفة المقصود بها ، وما يحصل المقصود

فنقول : للناس في مقصود العبادات مذاهب ، منهم من يقول : المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها ، ليستعد بذلك للعلم ، وليست هي مقصودة في نفسها ، ويجعلونها من قسم الأخلاق ، وهذا قول متفلسفة اليونان ، وقول من اتبعهم من الملاحدة والإسماعلية وغيرهم من المتفلسفة الإسلاميين ، كالفارابي وابن سينا وغيرهما ، ومن سلك طريقتهم من متكلم ، ومتصوف ، ومتفقه .

كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد ، والسهروردي المقتول ، وابن رشد الحفيد ، وابن عربي ، و ابن سبعين .

لكن أبا حامد يختلف كلامه ، تارة يوافقهم ، وتارة يخالفهم .

وهذا القدر : فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام الجمع بين ما جاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ــ أرسطو وأمثاله ـ ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات ، وجعلوا لها ثلاثة أسباب : ـ

١ ــ القوى الفلكية .

٢ ــ والقوى النفسانية .

٣ ــ والطبيعية ، إذ كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم .

وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات ، وما للسحرة من العجائب ، هو من قوى النفس .

لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير ، وهذا قصده الشر .

وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء ، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع ، فإنه مبني على إنكار الملائكة وإنكار الجن ، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات ، ولا يخلق بمشيئته وقدرته ، ولا يقدر على تغيير العالم .

ثم إن هؤلاء لا يقرون من المعجزات إلا بما جرى على هذا الأصل ، وأمكن أن يقال فيه هذا ، مثل نزول المطر ، وتسخير السباع ، وإمراض الغير وقتله ، ونحو ذلك .

فأما قلب العصا حية ، وإحياء الموتى ، وإخراج الناقة من الهضبة ، وانشقاق القمر وأمثال ذلك ، فلا يقرون به .

وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب أفعال الجن ، وبسبب أفعال الملائكة .

وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم ، مسلمهم وكافرهم ، لا يجحد ذلك إلا من هو من أجهل الناس ، وكذلك من فسرها بقوى النفس ، وهذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب .

وأما الملائكة فأمرهم أجل ، وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال تعالى : ﴿ فالمدبرات أمرًا ﴾ ، [سورة النازعات : ٥] وقال : ﴿ فالمقسمات أمرًا ﴾ ، [سورة الذاريات : ٤] وقد ذكر الله تعالى في كتبه من أخبارهم وأصنافهم ما يطول وصفه ، وآثارهم موجودة في العالم ، يعرف ذلك بالاعتبار ، كما قد بسط في موضعه ، إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس في العبادات .

وهؤلاء غاية ما عندهم في العبادات ، والأخلاق ، والحكمة العلمية ، أنهم رأوا النفس فيها شهوة وغضب ، من حيث القوة العملية ، ولها نظر من جهة القوة العلمية .

فقالوا : كمال الشهوة في العفة ، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة ، وكمال القوة النظرية في العلم ، والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل .

وما ذكروه من العمل متعلق بالندب لم يثبتوا خاصية النفس الذي هو محبة الله وتوحيده ، بل ولا عرفوا كمال ذلك ، كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلا قليل مشتمل على كثير من الباطل ، كما قد بسط الكلام عليهم في موضع آخر .

ومحبة الله وتوحيده ، هو الغاية التي فيها صلاح للنفس ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

فلاصلاح للنفس ، ولا كمال لها إلا في ذلك ، وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ، كما قد بسط الكلام على ذلك في موضع آخر ولهذا كان هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل ، وهو جماع دعوة المرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾، [سورة النحل : ٣٦] وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، [سورة الأنبياء ٢٥] وقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ﴾ ، [سورة آل عمران : ٨٥] وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾، [سورة الزخرف : ٤٥] وقال تعالى : ﴿ يأأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾، [سورة المؤمنون : ٥١ : ٥٣] وقال لما ذكر قصص الأنبياء : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون ﴾، [سورة الأنبياء : ٩٢ : ٩٣] وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ، [سورة الشورة : ١٣] وقال تعالى : ﴿ فأقم

وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾، [سورة الروم : ٣٠ : ٣٢] وقد قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، [سورة الذاريات : ٥٦] فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ، وهي حقيقة قول القائل « لا إله إلا الله » وبهذا بعث الله جميع الرسل ، وأنزل جميع الكتب ، فلا تصلح جميع النفوس وتزكو وتكمل إلا بهذا ، كما قال تعالى : ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾، [سورة فصلت : ٦ ، ٧] أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان .

وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾، [سورة النساء : ٤٨ : ١١٦] وهذا في موضعين من كتابه ، وهذا أول الكلمات العشر التي أنزلها الله على موسى حيث قال : « أنا الله لا إله إلا أنا إلهك الذي أخرجتك من أرض مصر من التعبد ، لا يكون لك إله غيري . لا تتخذ صوراً ولا تمثالا ، ما في السماوات من فوق ، ومن في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، إني أنا ربك العزيز » .

وقد شهد المسيح عليه السلام أن هذا هو أعظم وصية في الناموس .

فعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يكون الله أحب إلى العبد من كل ما سواه ، هو أعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون ، كموسى ، والمسيح ، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، وضد هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى ، قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا

لله ﴾ ، [سورة البقرة : ١٦٥] وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع ، وبين أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال ، إلا بأن يكون الله معبودها ومحبوبها الذي لا أحب إليها منه ، ولهذا كثر في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده .

ولفظ « العبادة » يتضمن كمال الذل بكمال الحب .

فلابد أن يكون العابد محبًا للإله المعبود كمال الحب ، ولابد أن يكون ذليلا له كمال الذل .

فمن أحب شيئًا ولم يذل له لم يعبده ، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده ، وكمال الذل والحب لا يصلح إلا لله وحده ، فهو الإله المستحق للعبادة ، التي لا يستحقها إلا هو ، وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام ، والتوكل والعبادة .

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها الذي هو محبوبها ومنتهى مرادها وبغيتها ، ومن حيث هو ربها وخالقها .

فمن أقر بأن الله رب كل شئ وخالقه ، ولم يعبد الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ، وأخشى عنده من كل ما سواه ، وأعظم عنده من كل ما سواه ، وأرجى عنده من كل ما سواه ، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ، ويخشاه مثل ما يخشى الله ، ويرجوه مثل ما يرجو الله ، ويدعوه مثل ما يدعوه ، فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ، ولو كان مع ذلك عفيفًا في طعامه ونكاحه ، وكان حليما شجاعًا .

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ، ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس وتنجو من العذاب كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس ، ولا من الأخلاق ما هو دين حق ، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، [سورة البقرة : ٦٢] وهذه الفضائل الأربع التي ذكرتها المتفلسفة ، لابد منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها .

والمتفلسفة لم يجدوا ما يحتاج إليه بحد يبين مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة .

ولكن الأنبياء بينوا ذلك ، وقد قال سبحانه : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾، [سورة الأعراف : ٣٣] فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمها تحريمًا مطلقًا ، لم يبح منها شيئًا لأحد من الخلق ، ولا في حال من الأحوال .

بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك ، فإنه يحرم في حال ويباح في حال ، وأما الأربعة فهي محرمة مطلقا .

فالفواحش متعلقة بالشهوة ، والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب ، والشرك بالله فساد أصل العدل فإن الشرك ظلم عظيم ، والقول على الله بلا علم ، فساد العلم . فقد حرم سبحانه هذه الأربعة ، وهي فساد الشهوة ، والغضب ، وفساد العدل والعلم .

وقوله : ﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴾ يتضمن تحريم أصل الظلم في حق الله ، وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله تعالى ، وهو عبادته وحده لا شريك له فإن النفس لها القوتان : العلمية والعملية وعمل الإنسان عمل اختياري ، والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد .

وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته فإن الإنسان حساس متحرك بالإرادة ، ولهذا

قال النبي صلى الله عـليه وسـلـم : (١) « أصدق الأسماء الحارث وهمام » .

والإرادة لابد لهـا من مراد ، وكل مـراد فإما أن يـراد لنفسـه ، وإما أن يراد لغـيره ، والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى المراد لنفسه .

فالقـوة العملية تسـتلزم أن يكون للإنسان مـراد ، وذلك المراد نفسه ، هو المحبوب لنفسه ، وهو الإله الذي يسـتـحق أن يكون محبوبًا لذاته ، وهـذا هو العلة الغائيـة ، الذي هو علة فـاعلية للعلة الفـاعلية ، ولهـذا قيل : العـامة تقـول « قـيمة كل امـرئ ما يحسن » والعارفون يقولون « قيمة كل امرئ ما يطلب » .

وفي بعض الكـتب المتـقـدمـة « إني لا أنظر إلـى كـلام الحكيم ، وإنمـا أنظر إلـى همته » .

وهؤلاء المتفلسـفة لم يذكروا هذا في كمـال النفس ، إنما جعلوا كلامهـا العملي في تعـديل الشـهـوة والغـضـب بالفـقه والحلـم ، وهذا غايـته ترك الإسـراف في الشـهـوة والغضب ، والشهوة : هي جلب ما ينفع البـدن ويبقي النوع ، والغضب دفع ما يضر البدن .

ولم يتعـرضوا لمراد الروح الذي يحبه ، كـدأبه مع أنهم إنما تكلموا فـيمـا يعود إلى البدن ، وجـعلوا ذلك إصـلاحًا للبدن الذي هو آلة النفس ، وجـعلوا كـمـال النفس في مجرد العلم .

وقـد بسطنا غلطهـم في هذا الأصل من وجـوه في غـيـر هذا الموضـوع ، وبينا أن النفس لها كمال في العلم والإرادة ، كما أن لها كمالا في العلم ، وأن العلم المجرد ليس كـمالا لهـا ولا صـلاحًا ، ولـو كان كـمالا ، لـم يكن ما عندهم مـن العلم هو كـمال النفس ، وبينا غلط الجـهـمية الـذين قالوا : « الإيمان هو مـجرد العلم » وأن الصـواب

(١) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢ /١٩٢)

قول السلف والأئمة :« إن الإيمان قول وعمل » أصله قول القلب وعمل القلب المتضمن عمل القلب وإرادته

وإذا كان لابد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلا به ولا تكمل إلا به ، وذلك هو إلهها ، فليس لها إله يكون به صلاحها إلا الله ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ، [سورة : الأنبياء : ٢٢] وليس ذلك للانسان فقط بل وللملائكة والجن ، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون ، لهم علم وعمل اختياري ولا صلاح لهم إلا بمرادهم المحبوب لذاته ،وهو معبودهم ولا يجوز أن يكون معبوداً محبوباً لنفسه إلا الله فلو كان في السماوات والأرض إله إلا الله لفسدتا ، فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له .

وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك ، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء ، فضلا عما تسعد به

ومما يبين ذلك أن « أرسطو » معلمهم الأول هو وأتباعه إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية ، فقالوا : الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية ، وفساده بعدمها ، وقوام حركته بما يتحرك لأجله فإن الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية التي يتحرك ، لأجلها وغايته التي يتحرك لأجلها ، هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها .

فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الأولى من حيث هو متشبه به ، لأن المتحرك باختياره لابد له من مراد .

ومعلوم أن الحركة الإرادية تطلب مراداً محبوباً لنفسه ، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها تشبهاً به ، فإن كل متحرك بالإرادة لابد له من مراد محبوب لنفسه ، فإن الإرادة لابد لها من مراد ، والمراد يكون إما مراداً لنفسه وإما مراداً لغيره ، والمراد لغيره إنما يراد لذلك الغير فلابد أن يكون ذلك الغير مراد لنفسه أو ينتهي إلى مراد لنفسه ،

وإلا لزم التسلسل في العلل الغائية وذلك باطل كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية بصريح العقل واتفاق العقلاء وبسط هذا له موضع آخر .

وإذا كان الفاعل بالاختيار يستلزم مراداً لنفسه محبوباً ، فلابد أن يكون لما يتحرك في السماوات بإرادته سواء كان هؤلاء ، الملائكة ، أو ما يسمونه هم نفساً ، من محبوب مراد لذاته ، يكون هو الإله المعبود المراد بتلك الحركات .

وكذلك نفس الإنسان ، حركتها بالإرادة من لوازم ذاتها ، فلابد لها من محبوب مراد لذاته وهو الإله ، وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله تعالى ، ويمتنع أن يكون غيره كما قد بسط هذا في موضع آخر ، وبين أنه كما يمتنع أن يكون موجوداً بغيره ، بل هو واجب الوجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون مراداً لغيره بل مراد لنفسه .

وكما يمتنع أن يكون للعالم ربان قادران ، يمتنع أن يكون للعالم إلهان معبودان ، فإن كون أحدهما قادراً ، يناقض كون الآخر قادراً لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد ، وامتناع كون أحدهما قادراً على الفعل حين يكون الآخر قادراً عليه ، وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافي .

كذلك يمتنع أن يكون إلهان معبودان محبوبان لذاتهما ، لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته ، يناقضه أن يكون غيره معبوداً لذاته ، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا ، وبعض ذلك لهذا ، وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا فإن الشركة نقص في الحب ، ولا تكون حركة المتحرك بإرادته له ، فلا يكون أحدهما معبوداً معمولاً له إلا إذا لم يكن الآخر كذلك ، فإن العمل لهذا يناقض أن يكون له شريك ، فضلا عن أن يكون لغيره .

وكل من أحب شيئين فإنما يحبهما لثالث غيرهما ، وإلا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوباً لذاته ، إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه وتطمئن إليه ، بحيث لا يبقى لها مراد غيره ، ولهذا يناقض أن يكون له شريك .

والقول الثاني : ـ في مقصود العبادات قول من يقول : إن الله عرض الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت فإن الإنعام بالثواب لا يحسن بدون التكليف لما فيه من الإجلال والتعظيم ، الذي لا يستحقه إلا مكلف ، كما يقول ذلك القدرية ، كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب من المسلمين وغيرهم .

وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية ، وقد يقولون إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل ، والعلم ذريعة إليه ، حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله تعالى ، يقولون : إنما وجبت لأنها في أداء الواجبات العقلية العملية .

والقول الثالث : ـ قول من يقول : بل الله أمر بذلك لا بحكمة مطلوبة ، ولا بسبب بل لمحض المشيئة ، وهذا قول الجبرية المقابلين للقدرية ، كالجهم والأشعري ، وخلق كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم

والقول الرابع : ـ قول سلف الأمة وأئمتها ، وهو أن نفس معرفة الله تعالى ومحبته مقصودة لذاتها ، وأن الله سبحانه محبوب مستحق للعبادة لذاته ، لا إله إلا هو ، ولا يجوز أن يكون غيره محبوبًا لذاته ، وأنه سبحانه يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ، ويفرح بتوبة التائب .ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويذمهم ، وأن في ذلك ، من الحكم البالغة ، وكذلك من الأسباب ما يطول وصفه في هذا الخطاب ، كما قد بسط في موضعه ، إذ المقصود ــ هنا التنبيه على المسلمين أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة .

وإذا عرفت مذاهب الناس في مقاصد العبادات ، فهم أيضًا مختلفون في صفاتها .

فمن الناس من يظن أن كل ما كان أشق على النفس وأشد إماتة لشهوتها فهو أفضل .

وهذا مذهب كثير من المشركين والهند وغيرهم ، وكثير من أهل الكتاب اليهود ،

والنصارى ، وكثير من مبتدعة المسلمين .

والقول الثاني : قول من يقول : إن أفضلها ما كان أدعي إلى تحصيل الواجبات العقلية .

والثالث قول: من يقول : فضل بعضها على بعض لا علة له ،بل يرجع إلي محض المشيئة .

والرابع - وهو الصواب ـ أن أفضلها ما كان لله أطوع وللعبد أنفع .

فما كان صاحبه أكثر انتفاعًا به وكان صاحبه أطوع لله من غيره ، فهو أفضل كما جاء في الحديث (١) « خير العمل أنفعه » .

وعلى كل قول ، فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم .

أما على الأول « فأولئك يقولون : كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل » .

ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك ، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين في الهند وغيرهم من النصارى ، ومبتدعة هذه الأمة ولكن يقال لهم : الجهاد أعظم مشقة من هذا كله ، فإنه بذل النفس وتعريضها للموت ، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها ، وفيه جهاد النفس في الباطن ، وجهاد العدو في الظاهر ، وتلك العبادات توجد من الضعفاء .

ومعلوم أن المسلمين أعظم جهاداً من اليهود والنصارى .

فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه ، والنصارى لا يجاهدون على دين .

---

(١) لم أقف عليه

وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفًا في الواجبات العقلية ، فلا ريب أن عبادات المسلمين - كصلاتهم وصيامهم وحجهم - أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية ، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها ، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل .

وأما على قول نفاة التعليل ورد ذلك إلى مشيئة الله فيكون الأمر في ذلك راجعًا إلى محض مشيئة الله وتعبد للخلق .

وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله الذي جاءت به الرسل يكون متعبدًا بما أمر الله به .

بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم من غير أن يأتيهم بها رسول من عند الله .

وأما على القول الرابع ، فأيما علم أن الله أمر به يتضمن طاعة الله . وهذا إنما يكون في عبادات أمر الله بها ، وهي عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيرًا من عباداتهم أكابرهم .

وأما انتفاع العباد بها ، فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها ، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب .

فليتدبر الإنسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم ، يظهر له الفرق بينهم وبين غيرهم .

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال ، كالطهارة ، والاصطفاف والركوع ، والسجود ،و استقبال بيت إبراهيم الذي هو إمام الخلائق ، والإمساك فيها عن الكلام ، وما فيها من الخشوع ، وتلاوة القرآن واستماعه الذي يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب لكل متدبر منصف إلي أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم .

وأما حكم المسلمين في الحدود والحقوق ، فلا يخفى على عاقل فصله .

حتى إن النصارى في طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين ، إذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به بين الناس .

وليس في الإنجيل حكم عام ، بل عامته ، الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق ، وهو مما يأمر به المسلمون أيضًا .

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين متوسطين بين اليهود والنصارى ، في التوحيد ، والنبوات ، والحرام ، والحلال وغير ذلك ، مما يبين أنهم أكمل من الأمتين ، مع أن دلائل هذا كثيرة جدًا ، وإنما المقصود التنبيه على ذلك ، وحينئذ ففضل الأمة ، يستلزم فضل متبوعها .

فصــل

ومما يبين أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن من دعا إلي مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام : ـ

إما أن يكون نبيًا صادقًا مرسلا من الله ، كما أخبر عن نفسه بمنزلة نوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وداود، وسليمان وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيمًا لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ﴾ ، [سورة النساء : ١٦٣ :١٦٦] .

وإما أن يكون ملكا عادلا وضع ناموسًا سياسيًا ، وقانونًا عدليًا ، ينتفع به الخلق ، ويحملهم به على السيرة العادلة ليبلغ علمه ، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس ،

مثل واضعي النواميس من اليونان ، والهند ، والفرس وغيرهم .

وإن كان واضع الناموس مختصًا بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة وله قوة نفسية « يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة » ويكون له قوة تخييلية « تمثل له في نفسه أشكالا نورانية » وأصواتًا يسمعها في داخل نفسه ، فإن هذه الخواص الثلاثة ، هي التي يقول « ابن سينا » وأمثاله من المتفلسفة إنها خواص النبي ، ومن قامت به كان نبيًا ، والنبوة مكتسبة عندهم .

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ، ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين ، أتباع الأنبياء ، كالخلفاء الراشدين ، وحواريي عيسى ، وأصحاب موسى ، جعلناها من هذا القسم ، إذ صاحب هذا ، قد يكون فيه عدل وسياسة ، بحسب ما معه من العلم والعدل ، فهذا القسم الثاني .

وإما أن يكون رجلا كاذبًا ، فاجرًا أفاكا أثيما يتعمد الكذب والظلم ، أو يتكلم بلا علم فيخطئ خطأ من يتكلم بلا علم .

ومن يظن الكذب صدقًا ، والباطل حقًا ، والضلال هدي ، والغي رشدًا ، والظلم عدلا ، والفساد صلاحًا وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والإيجاب ، بأن يصدقوه فيما أخبر ، ويطيعوه فيما أوجبه وأمر به باطنًا وظاهرًا ، من غير أن يخير أحدًا على اتباعه وتصديقه وطاعته ، ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه ، لا في الباطن ولا في الظاهر ، لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة .

وذلك لأنه ، إما أن يكون قصده الإثم والعدوان ، أو قصده البر والعدل فإن كان قصده الأول ، فهو ظالم فاجر ، ومثل هذا لا يكون إلا كاذبًا عمدًا أو خطأ .

وإن كان قصده البر والعدل ، فلا يخلو - مع ذلك - إما ، أن يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب ، جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض ، عالما بأن ما يأمر به هو عدل ، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه ، وإما أن لا يكون

جازما بذلك ٠

فإن كان جازما بذلك ، كان هذا هو النبي المعصوم ، الذي لا يخبر إلا بحق وصدق ، ولا يأمر إلا بعدل ﴿ وتمت كلمات ربك صدقًا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ ،[سورة الأنعام : ١١٥] ٠

بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه ، فإن هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل في خلافها ، ويخبر بأشياء باجتهاده يجوز أن تكون المصلحة والعدل في خلافها ، ويخبر بأشياء باجتهاده ، يجوز أن يكون الأمر بخلاف ذلك ، ولابد أن يغلط في بعض ما يخبر به من العلميات وما يأمر به من العمليات ، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ، ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيًا ، فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي ٠

قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ، [سورة البقرة : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ ،[سورة البقرة : ١٧٧] ٠

وإذا كان كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمداً ذكر أنه رسول كإبراهيم وموسى وعيسى ٠

بل أخبر أنه سيد ولد آدم ، وأن آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه لما أسرى به وعرج إلى ربه ، علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم ، وموسى وهارون ، وعيسى ، ويحيي وغيرهم ، وأخبر أنه لا نبي بعده ، وأن أمته هم الآخرون في الخلق ، السابقون يوم القيامة ، وأن الكتاب الذي أنزل إليه ، أحسن الحديث ، وأنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب ، مع تصديقه لذلك ٠

وحينئذ فإذا كـان عالمًا بصدق نفسه ، فهو نبـي رسول ، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كـاذب ، فهو من أظلـم الناس وأفجرهم قـال : ﴿ ومن أظلم ممن افتـرى على الله كذبًا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ﴾ ، [سورة الآنعام : ٩٣] .

وإن كان يظن صـدق نفسه وليس كذلك ، فـهو مخطئ غالط ملبـوس عليه ، وإذا كان كـذلك ، فلابد أن يخطئ فيـما يخبـر به من الغيـوب ، ويظلم فيمـا يأمر به من العـدل ، ولا يتصـور استـمراره على هذا ، بـل لابد أن يتبين له ولغيره أنه صـادق أو كاذب .

فإن من ظن صـدق نفسه في مـثل هذه الدعوى وليس بصـادق ، يكون من أجهل الناس وأظلمـهم وأبعدهم عن التـمييـز بين الحق والباطل ، والصـدق والكذب والخيـر والشر ، فإن هذا بمنزلة من اشتبـه عليه النبي الصادق بالنبي الكاذب ، وهذا من أجهل الناس .

وإذا اشتـبه عليـه حال غيـره ، فكيف بمن اشتـبه عليه حـال نفسه ولم يـعلم هو ما يقوله ، أصدق أم كذب ؟ .

ومن كان جاهـلا مع هذه الدعوى العظيمة التي لم يدع بشـر مثلها ، ومع كـثرة ما يخبـر به من الغيوب الماضـية والمستقـبلة ، ويأمر به وينهي عنه ، من الأمـور الكلية ، والسنن العامة ، والشـرائع والنواميس ، فلابد أن يكون فيهـا من الضلال والغي ما يبين لأكثر الخلق .

فإذا كان إخباره عن الماضي والمستقـبل ، يصدق بعضه بعضًا ، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم ، والكتاب الذي جاء به ، كتاب متشابه مثاني ، يشبه بعضه بعضًا في الصدق ، قـال تعالى : ﴿ أفلا يتـدبرون القرآن ولو كان من عند غـير الله لوجدوا فـيه اختلافًا كثيرًا ﴾ ، [سورة النساء : ٨٢] فإنه لو كـان من عند غير الله ، لوجب أن يكون فـيه تناقض ، لامـتناع قدرة البشـر على أن تخبـر بهذه الأخـبار ومـا فيـها من

الغيوب ، ويأمر بهذه الأوامر مع سلامة ذلك من التناقض ، ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك .

فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد علم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرى الصدق والعدل ، وأنه ما جرت عليه كذبة قط وعلم أنه كان جازمًا بما يخبر به مع عظم الأخبار وكثرتها ، وأنه ـ هو وحده ـ قام يدعو الناس إلى ما جاء به ، ومن عادة طالب الملك والرياسة ـ ولو كان عادلا ـ أن يستعين بمن يعينه ، كأقاربه وأصدقائه ونحوهم ، وأن يبذل للنفوس من العاجل ما يرغبها به ، كالمال والرياسة ويرهب من خالفه .

ومحمد صلى الله عليه وسلم دعا الناس وحده وهو بمكة ، فآمن به المهاجرون ثم آمن به الأنصار بالمدينة ، ثم آمن به أهل البحرين ، ولم يعط أحدًا منهم درهمًا ولا كان معه ما يخيفهم به ، لا سيف ، ولا غيره ، بل أقام بمكة بضع عشرة سنة ، وهو والمؤمنون به ، مستضعفون ، لم يكن له مال يبذله لهم ، ولا سيف يخيفهم به .

وكان أعظم من آمن به ، أبو بكر الصديق ، مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه ، ومحبتهم له وعلو قدره فيهم ، أنفق ماله كله في سبيل الله ، حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (١) « ما تركت لأهلك ؟ » قال : « تركت لهم الله ورسوله » ولم يعطه النبي صلى الله عليه وسلم درهمًا واحدًا يخصه به ، ثم تولى الأمر بعده ، وترك ما كان معه للمسلمين ، واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله ،

---

(١) «صحيح»

هذا اللفظ عزاه السيوطي في الدر المنثور (١ /٣٥٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب وابن عساكر عن الشعبي .

وجاء بلفظ « ما أبقيت لأهلك » وهو حديث صحيح

رواه ابو داود . في كتاب « الزكاة » باب (٤٠) الرخصة في ذلك » (٥/٩٤ ، ٩٥ ح ١٦٦٢)

ورواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب «مناقب أبو بكر رضى الله عنه » (١٠ /١٦١ ح٣٧٥٧)=

ومات وهو فقير من فقراء المسلمين .

وتولى بعده عمر بن الخطاب ، وفتح أعظم ممالك العالم ، مملكة فارس والروم ، فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر .

وأميره الكبير « أبو عبيدة » أزهد الخلق في ولايته الأموال ، وأعبدهم للخالق ، وأرحمهم للمخلوق ، وأبعدهم عن هوى النفس ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : (١) « إن لكل أمة أمينًا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

وأميره على فارس « سعد بن أبي وقاص » الذي كان مستجاب الدعوة ، وكان من أزهد الخلق ، وكان آخر من بقى من أهل الشورى والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق ، لا يزاحم أحدًا .

فقال له ابن عمر :(٢) « تركت الناس يتنازعون في الملك وجلست ههنا » فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي » .

فصل

= وقال : « هذا حديث حسن صحيح »

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب مناقب أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه (١١٦/٧ ح٣٧٤٤) ورواه أيضًا برقم (٤٣٨٢ ، ٧٢٥٥)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضائل أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه » (١٨٨١/٤ ح٢٤١٩)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه » (٥٧/٥ ح ٨٢٠٠)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب «الزهد » باب (٥٣) (٤/ ٢٢٧٧ ح ٢٩٦٥)

ورواه أحمد (١٦٨/١)

ومن آيات محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته في القرآن ، قصة الفيل ، قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ ، [سورة الفيل : ١:٥] .

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل ، وأن أهل الحبشة ، النصارى ، ساروا بجيش عظيم ، معهم فيل ليهدموا الكعبة ، لما أهان بعض العرب كنيستهم التي باليمن ، فقصدوا إهانة الكعبة وتعظيم كنائسهم .

فأرسل الله عليهم طيراً أهلكهم عامتهم ، وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان ، ودين النصارى خير من دينهم .

فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ ، بل كانت لأجل البيت ، أو لأجل النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي ولد في ذلك العام عند البيت ، أو لمجموعهما ، وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته .

فإنه إذا قيل : إنما كانت آية للبيت وحفظاً له ، وذباً عنه لأنه بيت الله الذي بناه إبراهيم الخليل ، فقد علم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلي إليه ، إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، هو الذي فرض حجه والصلاة إليه .

فإذا كان هذا البيت عند الله خير من الكنائس التي للنصارى ، حتى إن الله أهلك الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانة البيت ، علم أن أهل هذا البيت خير من دين النصارى ، والمشركون ليسوا خيراً من النصارى .

فتعين أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير من النصارى ، وذلك يستلزم أن نبيهم صادق ، وإلا فمن كانوا متبعين لنبي كاذب ، فليسوا خيراً من النصارى بل هم من شرار الخلق ، كأتباع مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي وغيرهما ، وقال في القرآن ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل ﴾ والأبابيل جماعات متفرقة فوج بعد فوج ترميهم

بحجارة من سجيل ، أي من طين مستحجرة ، وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية (سنكك) و (كل) بالفارسية هي الطين ، ويقولون في الجمع كيلان (أى أطيان) لأن الألف والنون في الفارسية للجمع ، فيقولون : مسلمان وفقيهان وعالمان . أى مسلمون وعلماء وفقهاء .

ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ، ويعرفون معناها ، والقرآن نزل بلغتهم العربية والمعرب عربى « فجعلهم كعصف مأكول » كالتبن الذي أكل وقوله : ﴿ ألم تر ﴾ استفهام فى معنى التقرير ، وهذا يقتضى أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه ، وقد قررهم على ذلك لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق .

فصـــل

ومن آياته الظاهرة التى فى القرآن ما ذكره من أن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا ، بخلاف ما كانت العادة جارية به ، قال تعالى : ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ﴾ ، [سورة الجن : ١، ٢] إلى قوله : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا ﴾ ، [سورة الجن : ٨ : ١٠]وقال تعالى : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ ، [سورة الشعراء: ٢١٠:٢١٢] وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه على الناس وهم يقرؤنه ، ولم ينكره أحد ، ولا ارتاب به مؤمن ، ولا احتج به عليه كافر ، فدل على أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن من أن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا ، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع .

ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم فإن امتلاء السماء بالشهب ، أمر يراه

الناس كلهم ، فلو لم يكن كذلك ، لكان الناس يكذبون بهذا ، مؤمنهم وكافرهم ، فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤا ، يمتنع اتفاقهم على الكذب ، وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب ، وعلى كتمان ما يعلمونه ، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب .

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة ، أدركوا مبعثه ، وشاهدوا أحوال السماء ، فلو لم يكن هذا كان موجودا ـ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له ، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ـ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت ، فلما لم ينكر ذلك أحد ، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر القرآن من الرمي العظيم بالشهب الذي لم يعهد مثله ، حتى صاروا يشكون : هل ذلك فى الكواكب التى فى الفلك أو في غيرها ؟ وقالوا : إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم ، فلما رأوه فيما دونها ، علموا أنه لأمر حدث . ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال :(١) « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين السماء ، أرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا عن شئ حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا : ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهي بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وكان الرسول يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا ياقومنا ﴿ إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ﴾ ،[سورة الجن : ٢.١] فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع

(١) سبق تخريجه .

نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا ﴾ ،[سورة الجن : ١] وفي لفظ البخارى بنخلة قريبًا من مكة ، وهو الصواب .

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال ، والصواب أنه كان يرمي بها كما هو الآن أحيانًا كما ثبت (١) في صحيح مسلم عن ابن عباس ورواه أيضًا أحمد فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو فى نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال لهم : « ما كنتم تقولون في هذا النجم الذى يرمى به في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول حين رأيناها يرمى بها ، مات ملك وولد مولود ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « ليس ذلك كذلك ، ولكن الله إذا قضى فى خلقه أمرًا يسمعه أهل العرش فيسبحون ، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم ، فيسبح من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهى إلي السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون ؟ سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون : ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا ؟ فيسألون فيقولون : قضى الله فى خلقه كذا وكذا ، الأمر الذى كان ، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم ، فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان .

---

(١) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « السلام » باب « تحريم الكهانة وإتيان الكهان » (٤/١٧٥٠ ، ١٧٥١ح٢٢٢٩)

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « و من سورة سبأ » (٩/٩١، ٩٢ ح ٣٢٧٧)

ورواه النسائى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى :« إلا من استرق » (٦/٣٧٤ح ١١٢٧٢)

ورواه أحمد (١/٢١٨)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : قلت يارسول الله ، إن الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشئ فيكون حقًا قال (١) : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقذفها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » .

وروى البخارى فى صحيحه عن عائشة أنها سمعت النبى صلي الله عليه وسلم يقول :(٢) « إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

وفي صحيح البخارى أيضًا عن أبي هريرة قال : إن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال(٣) : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعًا لقوله ،

---

(١)« متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الطب » باب « الكهانة » (٢٢٧/١٠ح ٥٧٦٢)ورواه أيضًا برقم (٦٢١٣، ٧٥٦١)

ورواه مسلم فى كتاب « السلام » باب « تحريم الكهانة وإتيان الكهان» (١٧٥٠/٤ ح٢٢٢٨)

(٢) سبق تخريجه

(٣) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى : « إلا من استرق السمع ... الآية »(٢٣١/٨، ٢٣٢ ح ٤٧٠١)

ورواه أيضًا فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى : (حتى إذا خرع عن قلوبهم .... الآية) (٣٩٨/٨ ح ..٤٨) ورواه أيضًا برقم (٧٤٨١)

ورواه أبو داود فى كتاب القراءات باب قوله تعالى « حتى إذا فزع عن قلوبهم » (١٩/١١ح ٣٩٧٠) مختصرًا

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « سورة سبأ » (٩٠/٩ ح ٣٢٧٦)
ورواه ابن ماجه فى « المقدمة » فيما أنكرت الجهمية » (٦٩/١ ، ٧٠ ح ١٩٤)

كأنه سلسلة على الصفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال (١) : « الحق وهو العلى الكبير » فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقوالسمع هكذا ، بعضهم فوق بعض ، فيسمع الكلمة فيلقيها إلي من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبه فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : « كذا وكذا » الكلمة التى سمعت من السماء ، فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء .

ورواه محمد بن إسحاق عن الزهرى (٢) ، وقال فى آخره « ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم ، فانقطعت الكهانة ، فلا كهانة » .

ورواه معمر عن الزهرى وقال : فقلت للزهرى : أو كان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم .

قلت : يقول الله : ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ﴾ الآية .

قال : غلظت واشتد أمرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبرى عن داود(٣) ، ثنا عاصم بن على ثنا على بن عاصم عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن عباس قال : « كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحى ، وكان الوحى إذا أوحي ، سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمى بها على

---

(١) رواه ابن إسحاق كما فى سيرة « ابن هشام » (١/٢٦٦)

ورواه البيهقى فى الدلائل (٢/٢٣٧)

(٢) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٣٧)

(٣) رواه الطبرى فى « تفسيره » (٢٢/٦٣)

الصنوان ، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي ، خروا لجباههم فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال : فينادون قال ربكم : « الحق وهو العلي الكبير » .

قال : فإذا نزل إلى السماء الدنيا قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتًا وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جدوبة ، وكذا وكذا خصبًا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدى تبارك وتعالى ، فنزلت الجن فأوحوا إلي أوليائهم من الإنس بما يكون في الأرض .

فبيناهم كذلك ، إذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ، ورموهم بالكواكب ، فمنعوا ، فجعل لا يصعد أحد إلا احترق وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب ، ولم يكن قبل ذلك فقالوا : أهلك من في السماء .

وكان أهل الطائف أول من فزع ، فينطلق الرجل إلي إبله فينحر كل يوم بعيراً لآلهتهم ، فينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة ، فينطلق صاحب البقر ، فيذبح كل يوم بقرة .

فقال لهم رجل : ويلكم لا تهلكوا أموالكم ، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شئ ، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم .

وكان إبليس قال : حدث في الأرض حدث ، فأتى من كل مكان في الأرض بتربة ، فجعل لا يؤتى بتربة أرض إلا شمها ، فلما أتى بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث فصرف الله إليه نفراً من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ حتى ختم الآية ، فولوا منذرين ورواه أبو زرعة عن موسى بن إسماعيل عن حماد ابن سلمة عن عطاء بنحوه ، ورواه البيهقي عن حماد بن سلمة عن عطاء أيضًا (١) .

(١) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٢/٢٤٠، ٢٤١)

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث ، ملئت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا ، وقبل ذلك لم يكن الحرس شديدًا ، بل كانت السماء مملوءة حرسًا وشهبًا كما هي ترمي بها أحيانًا وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع ، أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلى حديث غيره ، مختفيًا بسماعه ، مسترقا له ، فكانت الشياطين تسترق (أي تستمع) ما تقوله الملائكة .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم : صار أحدهم إذا استمع : وجد الشهاب قد أرصد له ، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك .

فصل

وقد ذكرنا بعض آياته التي في القرآن ، لأن من أهل الكتاب من يقول لا نصدق إلا بما في القرآن كما في التوراة والإنجيل ما فيهما من آيات موسى والمسيح ، إذ كان نقل القرآن عنه متواتر ًالا يستريب فيه أحد ، فنبهنا على بعض ما في القرآن ، مع أن آياته التي ليست في القرآن كثيرة جدًا . وليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون في القرآن ، بل كما تواتر عنه من شريعته ما ليس في القرآن وهو من الحكمة التي أنزلها الله عليه كذلك ، تواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس في القرآن ، وهو من آياته وبراهينه ، وقد قال تعالى في غير موضع : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾، [سورة النساء : ١١٣] فالحكمة منزلة عليه ، وهي منقولة في غير القرآن .

وقد تواتر عنه كون الصلاة خمسًا ، والفجر ركعتين ، والمغرب ثلاثا ، والباقي أربعًا أربعا ، والرباعية في السفر ركعتان ، وتواتر عنه سجود السهو .

وكذلك تواتر عنه أنواع من المعجزات والأخبار المأثورة في أصناف آياته ، وبراهينه كثيرة جدا لا يمكن إحصاؤها ، وهي مشتملة على جنسي العلم والقدرة على أنواع من الإخبار بالغيوب المستقبلة ، مفصلة ، كأنما رآها بعينه ، لم يأت منها خبر إلا كما أخبر به ، وهذا أمر لم يكن قط إلا لنبي .

أما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء ، فيكذبون كثيراً كما يصدقون أحياناً ويخبرون بجمل غير مفصلة .

وأما أهل الولاية والصلاح ، فأعظمهم كشفًا ، يخبر من ذلك بأمور قليلة ، لا تبلغ عشر معشار ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يخبرون بهامفصلة كخبره ، وعلى أنواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات . إما من باب العلم والخبرة والمكاشفة . وإما من باب القدرة والتأثير والتصرف .

وفي القرآن من الأخبار بالمستقبلات ، شئ كثير كقوله تعالى : ﴿ آلم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين * لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ ، [سورة الروم : ١: ٤] فغلبت الروم فارساً في بضع سنين وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى ، وكقوله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ﴾ ، [سورة النور : ٥٥] وكان كما أخبر .

وروى الدارمي عن أبي بن كعب قال (١) : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة وآواهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا ترون : أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل فنزلت : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ - إلى آخر الآية - وكان كذلك ، استخلف الله المؤمنين في الأرض ،

(١) رواه الحاكم (٤٠١/٢) وقال « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ورواه البيهقى فى « الدلائل »(٧٠٦/٣) وقال الهيثمى فى المجمع (٨٣/٧): رواه الطبرانى فى « الأوسط » ورجاله ثقات

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور » (٥٥/٥) لابن المنذر والطبرانى فى الأوسط والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقى فى الدلائل والضياء فى المختارة .

ومكن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها .

وقال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٨] وكان كما أخبر ووعد ، وقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ ، [سورة الإسراء : ٨٨] وكان كما أخبر ، وقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٣] إلى قوله : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين ﴾ [سورة البقرة : ٢٤] فأخبر أنهم لن يفعلوا ، وكان كما أخبر .

وأخبر أنه قال للمسيح : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ ، [سورة آل عمران : ٥٥] وكان كما أخبر .

وأنزل في مكة : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، [سورة القمر : ٤٤ ، ٤٥] فكان كما أخبر ، هزم الجمع وولوا الدبر .

وقال : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٢] فكان كما أخبر .

وقال : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ ، [سورة المائدة : ١٤] وكان كما أخبر .

وقال : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾ ، [سورة المائدة : ٦٤] إلي قوله : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ ، [سورة المائدة : ٦٤] وكان كما أخبر .

وقال : ﴿ لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون *

ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليه المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ، [سورة آل عمران : ١١١ ، ١١٢] .

وقال : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٢] وقال : ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ ، [سورة التوبة : ١٤] وكان كذلك ، فلم يقاتلوهم بعد نزول الآية إلا انتصر عليهم المسلمون ، وما زال الإسلام فى عز وظهور حتى ظهر على أهل المشرق والمغرب .

وقال تعالى خطاباً لليهود : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٤ : ٩٦] وقال : ﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ ، [سورة الجمعة : ٦ ، ٧] فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبداً ، وكان كما أخبر ، فلا يتمنى اليهود الموت أبداً ، وهذا دليل من وجهين من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً ، ومن جهة صرف الله لدواعى اليهود عن تمنى الموت ، مع أن ذلك مقدور لهم وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة ، وهم - مع حرصهم على تكذيبه - لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمنى الموت .

وقال في سورة المدثر : ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً ﴾ ، [سورة المدثر : ١١ : ١٣] إلي قوله : ﴿ سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر ﴾ ، [سورة المدثر : ٢٦ : ٢٨] .

وقال عن أبي لهب عمه : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما

كسب * سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ ، [سورة المسد : ١: ٣] فكان كما أخبر به ، مات الوليد كافرا ومات أبو لهب كافراً .

وقال في سورة الفتح : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ﴾ ، [سورة الفتح ٢٠] وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ ، [سورة الفتح :٢٧] وقال : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلي قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابًا أليمًا ﴾ ، [سورة الفتح : ١٦] وهذا كله وقع كما أخبر ، فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ، ودخلوا المسجد الحرام آمنين ، ودعيت الأعراب إلى قتال الروم والفرس ، يقاتلونهم أو يسلمون ، فلابد من القتال أو الإسلام ليس هناك هدنة بلا قتال ، ولا إسلام كما كان يكون قبل نزول آية الجزية .

وقال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ ، [سورة النصر : ١ : ٣] فدخل الناس فى دين الله أفواجًا بعد الفتح ، فما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى بلاد العرب ، موضع لم يدخله الإسلام .

وقال تعالى عن المنافقين : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ ، [سورة الحشر : ١١ ، ١٢] وكذلك كان ، فروى أهل التفسير والمغازى والسير ، أن هذه الآية نزلت فى المنافقين ، كعبد الله بن أبى ، وعبيد الله بن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ونحوهم ، كانوا يقولون لبنى النضير - وهم اليهود حلفاؤهم - : ﴿ لئن أخرجتم لنخرجن

معكم ﴾ [سورة الحشر ١١] . فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلك ، وكذلك كان .

وضرب الله لهم مثلا بالشيطان : ﴿ إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾ ، [سورة الحشر : ١٦] كذلك المنافقون وبنو النضير .

فصل

وآياته صلى الله عليه وسلم قد استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية ، فإخباره عن الغيب الماضى والحاضر والمستقبل بأمور باهرة ، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله ، فضلا عن غير النبيين ، ففى القرآن من إخباره عن الغيوب شئ كثير كما تقدم بعض ذلك ، وكذلك فى الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه ، فكان كما أخبر .

ففى الصحيحين عن حذيفة قال (١) : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشئ قد نسيته فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم رآه عرفه .

وفي صحيح مسلم عن أبى زيد عمرو بن أحطب قال (٢) : صلى بنا رسول الله

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « القدر » باب « وكان أمر الله قدراً مقدوراً (١١/٥٠٣ح ٦٦٠٤)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « إخبار النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة » (٢٢١٦/٤.٢٢١٧ح ٢٨٩١) رقم خاص (٢٣)

ورواه أبو داود فى كتاب « الفتن » باب « ذكر الفتن ودلائلها » (١١ /٣٠٣، ٣٠٤ ح ٤٢٢١)

(٢) « صحيح » رواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « إخبار النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة » (٢٢١٧/٤ح ٢٨٩٢)

صلى الله عليه وسلم الفجر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى بنا ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى بنا ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس ، قال : وأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأحفظنا أعلمنا .

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال (١) : بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجل فشكى إليه الفاقة ، ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل ، فقال ياعدي « هل رأيت الحيرة » فقلت : لم أرها وقد أنبئت عنها ، قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حين تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحداً إلا الله ، قال : قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين ذعارطي الذين سعروا البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » قال عدي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما

---

(١) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « الزكاة » باب « الصدقة قبل الرد »(٣/٣٣٠ح١٤١٣)

ورواه البخارى أيضًا فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧٠٦، ٧٠٧ ح٣٥٩٥)

ورواه أيضًا برقم (١٤١٧، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)مختصراً

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الرجل ملء كفه » . قلت : وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ، ظهر كما أخبر ، في زمن عمر بن عبد العزيز .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال (١) : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأتي النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليه ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمة ، فإنهم لقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد : قال : فقلت لنفسي : آتيهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه ، قال : ثم قلت لعله يجئ معهم ، فأتيتهم فقمت بينه وبينهم ، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال : « تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم تغزون فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله » .

وروى البخاري عن عوف بن مالك قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في « غزوة تبوك » وهو في قبة آدم . فقال (١) : أعدوا أشياء بين يدي الساعة موتي وفتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ، ثم استفاضة المال ، ثم يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيقدرون فيأتونكم تحت ثمانين غابة كل غابة اثنا عشر ألفًا .

قلت ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام (طاعون عمواس) في خلافة عمر أيضًا ، ومات فيه معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وخلق كثير وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام ، فكان مما أخبر به حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم ، ثم استفاض المال في خلافة

---

(١) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « الفتن » ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال » (٤/٢٢٢٥ح ٢٩٠٠)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن » باب « الملاحم » (٢/١٣٧٠ح٤٠٩١)

عثمان بن عفان ، حتى كان أحدهم يعطي مائة دينار فيسخطها ، حتى كانت الفرس تشتري بوزنهـا ، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق من العرب بيت إلا دخلته لما قتل عثمان واتسعت الفتنة بين المسلمين يوم الجمل وصفين .

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصرلنا ، قال فجلس محمراً وجهه ، ثم قال :(١) « والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويؤخذ فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه ، فيشق باثنتين ، ما يصرفه عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلي حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون » .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٢) : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، دلف الأنف كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر .

قلت : وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر النبي صلى الله عليه

---

(١) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « الجزية » باب « ما يحذر من الغدر » (٦/٣٢٠ح٣١٧٦)

ورواه أبو داود فى كتاب « الأدب » باب « ما جاء فى المزاح» (١٣/٣٤٥ح٤٩٧٩) مختصراً

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن » باب « أشراط الساعة » (٢/١٣٤٢، ١٣٤٣ح ٤٠٤٢)

(١) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧١٦ح ٣٦١٢)

ورواه أيضًا برقم (٣٨٥٢ ، ٦٩٤٣)

ورواه أبو داود فى كتاب « الجهاد » باب « فى الأسير يكره على الكفر » (٧/٣٠٨، ٣٠٩ ح٢٦٣٢)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « العلم » باب « الغضب عند الموعظة والتعليم إذا رأى العالم ما يكره » (٣/٤٥٠ح٥٨٩٣)

وسلم وأمر هذه الطوائف معروف ، فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين صفتهم معروف مشهور ، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة ، كبار وصغار من كتب المسلمين ، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق ، الذين هذه صفتهم ، التي لو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى » .

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ، ورآوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى ، وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر (٢) : « تقتله الفئة الباغية » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال (٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سبق تخريجه

(٢) « متفق عليه » عن أبى سعيد الخدرى

رواه البخارى فى كتاب « الصلاة » باب « التعاون فى بناء المسجد » (٦٤٤/١ح٤٤٧) ورواه أيضًا برقم(٢٨١٢)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت ... »(٢٢٣٥/٤، ٢٢٣٦ح ٢٩١٥)

وفى الباب عن أبى هريرة وأم سلمة وعبد الله بن عمرو وأبى اليسر وحذيفة

(٣) « متفق عليه »

رواه فى كتاب « فرض الخمس » باب « قول النبى صلى الله عليه وسلم « أحلت لكم الغنائم » (٢٥٣/٦ح٣١٢٠)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء » (٢٢٣٦/٤، ٢٢٣٧ ح ٢٩١٨)

=

« هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٢) : « لتفتحن عصابة من المسلمين ، أو قال المؤمنين ، كنز آل كسرى الذي في الأبيض » والأبيض قصر كان لكسرى ، وفتح هذا الكنز سعد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن

=ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « ما جاء فى ذهب كسرى فلا كسرى بعده (٦/٤٦٢ح٢٣١٣)

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « فرض الخمس » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « أحلت لكم الغنائم » (٦/٢٥٣ح ٣١٢١)

ورواه أيضاً برقم (٣٦١٩، ٦٦٢٩)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء » (٤/٢٢٣٧ح٢٩١٩) رقم خاص (٧٧)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء » (٤/٢٢٣٧ح ٢٩١٩) رقم خاص (٧٨)

الحسن ابن ابنته ، وهو يخطب على المنبر : (١) « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

قلت فوقع هذا كما أخبر به بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة ، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين ، صف عسكر على ، وصف عسكر معاوية .

وفي الصحيحين عن ابن عباس (٢) ، أن رجلا أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنى رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى

---

(١) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « الصلح » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم للحسن بن على رضى الله عنهما « ابنى هذا سيد ...» (٣٦١/٥ح ٢٧٠٤)
ورواه البخارى أيضًا برقم (٣٦٢٩، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩)
ورواه أبو داود فى كتاب « السنة » باب « ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة » (٤١٩/١٢ ح٤٦٣٧)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما » (٢٧٧/١٠ح٣٨٦٢)
ورواه النسائي فى الكبرى فى كتاب « المناقب» باب « فضائل الحسن والحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما » (٤٩/٥ح٨١٦٦)
ورواه أيضًا فى الكبرى فى كتاب « عمل اليوم والليلة » باب « ذكر إختلاف الأخبار فى قول القائل سيدنا وسيدى » (٧١/٦ح ١٠٠٨٠ ، ١٠٠٨١)
(٢) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « تعبير الرؤيا » باب « من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب » (٤٥٠/١٢ح٧٠٤٦)
ورواه مسلم فى كتاب « الرؤيا » باب « فى تأويل الرؤيا » (١٧٧٧/٤:١٧٧٩ح٢٢٦٩)
ورواه الترمذى فى كتاب « الرؤيا » با ب« ما جاء فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى الميزان والدلو » (٥٧٣/٦:٥٧٥ ح ٢٣٩٥)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التعبير » با ب « السمن والعسل » (٣٨٧/٤ح٧٦٤٠)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « تعبير الرؤيا » باب « تعبير الرؤيا » (١٢٨٩/٢، ١٢٩٠ح٣٩١٨)

الناس يتكففون منها بأيديهم ، فمنهم المستكثر والمستقل ، ثم إذا سبب واصل من الأرض إلى السماء ، فأراك أخذت به فعلوت ، ثم أخذ به رجل بعدك فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل له فعلا .

قال أبو بكر : يارسول الله بأبى أنت وأمـــى : لتدعنى فلأعبره فقال : عبر قال أبو بكر : أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذى تنطف من السمن والعسل فهو القرآن ، حلاوته ولينه ، وأما ما يتكفف ، فالمستكثر من القرآن والمستقل ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض ، فالحق الذى أنت عليه فأخذت به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو ، ثم يأخذ به رجل فيعلو ، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ، ثم يوصل له فيعلو به ، فأخبرنى رسول الله : أصبت أم أخطأت ؟ فقال : « أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا » قال : فوالله يارسول الله لتخبرنى بالذى أخطأ ؟ قال : لا تقسم .

وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (١) : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ، ذنوبا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ،

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « لو كنت متخذًا خليلاً » (٧/ ٢٣ح ٣٦٦٤)
ورواه أيضًا برقم (٧٠٢١، ٧٠٢٢ ، ٧٤٧٥)
ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل عمر » (٤/١٨٦٠، ١٨٦١ح٢٣٩٢)
وأشار إليه الترمذى فى كتاب « الرؤيا » باب « فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى الميزان والدلو (٥٦٩/٦) بقوله وفى الباب عن أبى هريرة
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التعبير» باب « نزع الذنـــوب والذنوبين »(٣٨٥/٤، ٣٨٦ح٧٦٣٥) ورواه النسائى أيضًا فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب «فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما »(٣٩/٥ح٨١١٦)
وفى الباب عن ابن عمر أيضًا

والله يغفر له ، ثم استحالت غربًا فأخذ ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » .

وفي رواية « فاستحالت الدلو غربا في يد عمر » .

قال الشافعي : (١) « رؤيا الأنبياء وحى » .

وقوله : « في نزعه ضعف » قصر مدته ، وعجله موته ، وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والمزيد الذى بلغه عمر في طول مدته .

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : (٢) أن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : يارسول الله ، أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ قال : أى كأنها تعني الموت .

قال : « فإن لم تجدينى فائتى أبا بكر » .

وروى أبو داود الطيالسى عن أبى ثعلبة الخشنى ، وعن أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٦/٣٤٥)

(٢) «متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « فضائل الصحابة » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً » (٧/٢٢ح٣٦٥٩)

ورواه أيضًا برقم (٧٢٢٠ ، ٧٣٦٠)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أبى بكر رضى الله عنه » (٤/١٨٥٦،١٨٥٧ح٢٣٨٦)

ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « من مناقب أبى بكر رضى الله عنه (١٠/١٦٢ح٣٧٥٨)

قال (١) : « إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكائنًا خلافة ورحمة ، وكائنًا ملكا عضوضًا ، وكائنًا عنوة وجبرية فسادًا في الأمة ، يستحلون الفروج والخمور والحرير ، وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبدًا حتى يلقوا الله عز وجل » .

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب أن رجلا قال (٢) : يارسول الله ، إنى رأيت كأن دلوًا دلى من السماء ، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منه شئ .

وفي السنن عن سفينة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (٣) : « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ، ثم تصير ملكا » فكان هذا العام تمام الثلاثين سنة من موته ، ودخل فى ذلك خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى .

قلت : وتمامها ستة أشهر ، التى استخلف فيها سيدنا الحسن السبط رضوان الله عليه وعلى سائر أصحاب رسول الله ، وأهل بيته الطاهرين.

---

(١) رواه أبو داود الطيالس « فى مسنده » (١/٣١ح٢٢٨)
ورواه البيهقى فى « الدلائل» (٦/٣٤٠)
(٢)« ضعيف »
رواه أبو داود فى كتاب « السنة » باب « فى الخلفاء » (١٢/٣٩٠ح٤٦١٣)
ورواه أحمد (٥/٢١)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٦/٣٤٩) وقد ضعفه الألبانى كما فى ضعيف ابن ماجه » (ص٤٦٤ح١٠٠٤)
(٣)« حسن صحيح»
رواه أبو داود فى كتاب « السنة » باب « فى الخلفاء » (١٢/٣٩٧ح٤٦٢٢)
ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « ما جاء فى الخلافة » (٦/٤٧٦ :٤٧٨ح٢٣٢٦)وقال : هذا حديث حسن قدرواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديثه » ورواه النسائى فى=

وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » .

وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(٢) « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتي أن لا يهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال لى : يا محمد ، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً » .

وهذا أخبر به في أول الأمر وأصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة ، وكان أخبر ، فإن ملك أمته انتشر فى الشرق والغرب ، ولم ينتشر فى الجنوب والشمال ، كانتشاره فى الشرق والغرب ، إذ كانت أمته أعدل الأمم ، فانتشرت دعوته في الاقاليم التى هى وسط المعمور من الأرض ، كالثالث والرابع ، والخامس ، وقد تقدم

=الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين » (٤٧/٥ح٨١٥٥)

ورواه أحمد (٢٧٣/٤)

ورواه البيهقى فى « الدلائل» (٦ /٣٤٢)

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

قوله (١) : « إذا هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده » وذاك كسرى بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين ، ثم ولي بعد ولاة مستضعفون ، فكان آخرهم « يزدجرد » وإليه الإشارة باللفظ الآخر (٢) : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وهذا أخبر به وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض ، وصدق الله خبره في خلافة عمر وعثمان ، فهلك كسرى وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان ، بأرض فارس ، ولم يبق بعده كسرى ، ولم يبق للمجوس والفرس ملك ، وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها ، ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ، ولا مصر ، ولا الجزيرة من النصارى ، وهو الذي يدعي قيصر .

قال الشافعي : كانت قريش تنتاب الشام انتيابا كثيراً ، وكان كثير من معايشها منه ، وتأتي العراق فيقال : لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم خوفها من انقطاع معايشها بالتجارة من الشام والعراق ، إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام ، وخلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (٣): « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » فلم يبق بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده .

وقال :(٤) « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » فلم يبق بأرض الشام قيصر ، فأجابهم على ما قالوا ، وكان كما قال ، قطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس وقيصر

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

عن الشام .

وقال في كسرى (١) : « مزق الله ملكه » فلم يبق للأكاسرة ملك ، وقال في قيصر : « ثبت ملكه » فثبت ملكه ببلاد الروم وتنحى عن الشام ، وكل هذا يصدق بعضه بعضاً .

وفي الصحيحين عن سفيان بن زهير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « تفتح اليمن ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق فيأتي قوم متحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .وفي رواية (٣) فيخرج من المدينة .

فأخبر صلى الله عليه وسلم بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون ، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم إلي هذه الأمصار ، ويطلبون الشرف وسعة الرزق ، قال : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) سبق تخريجه

(٢)« متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب« فضائل المدينة » باب« من رغب عن المدينة»

(١٠٧/٤ح١٨٧٥)

ورواه مسلم فى كتاب « الحج » باب « الترغيب فى المدينة عند فتح الأمصار »

(١٠٠٩.١٠٠٨/٢ح١٣٨٨)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الحج » باب الكراهية فى الخروج من المدينة »

(٤٨٢/٢ح٤٢٦٣)(٤٨٣.٤٨٢/٢ح٤٢٦٤)

(٣) هذه الرواية هى رواية مسلم السابقة

قال (١) : « ستفتح مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا».

وفي رواية (٢) : « فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحمًا ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها » .

فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة ، بابني شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها .

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى (٣) الأحزاب عنه « الآن نغزوهم ولا يغزونا » وكذلك كان .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٤): « إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم » .

قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو غير ذلك ؟ تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين ،

---

(١)« صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « وصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر » (٤/١٩٧٠ح٢٥٤٣)رقم خاص(٢٢٦)

(٢)« صحيح »
رواه مسلم فى نفس الموضع السابق برقم خاص (٢٢٧)

(٣) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « غزوة الخندق وهى الأحزاب » (٧/٤٦٧ح٤١٠٩ ، ٤١١٠)

(٤) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الزهد والرقاق »باب (١) (٤/٢٢٧٤ ,٢٢٧٥ح٢٩٦٢)
ورواه ابن ماجه فى كتاب «الفتن »باب « فتنة المال» (٢/١٣٢٤ح٣٩٩٦)

فتحملون بعضهم على رقاب بعض » .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ، أنه لما أنزل الله : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ ، [سورة الجمعة : ٢ ، ٣] .

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الآخرين فقال (١) : « لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس » وفي لفظ (٢) « لو كان الإيمان » وفي لفظ (٣) « العلم » وكان كما أخبر ، فإنه حصل في التابعين وتابعيهم وهلم جرا ، من أبناء فارس ، مثل الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبير ، وأضعاف هؤلاء ، من نالوا ذلك .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين

---

(١)« صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضل فارس» (١٩٧٢/٤ح٢٥٤٦) رقم خاص (٢٣٠)

ورواه أحمد (٣٠٨/٢، ٣٠٩)

(٢)« متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى : « وآخرين منهم لمايلحقوا بهم » (٥١٠/٨ح٤٨٩٧، ٤٨٩٨)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضل فارس » (١٩٧٢/٤ ، ١٩٧٣ح٢٥٤٦) رقم خاص (٢٣١)

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « سورة الجمعة »(٢٠٩/٩، ٢١٠ح٣٣٦٤) ورواه أيضاً برقم (٤٠٢٦)

(٣) رواه أحمد (٢٩٧/٢، ٤٢٠ ، ٤٦٩)

أعزة على الكافرين ﴾ ، [سورة المائدة :٥٤] سئل عنهم فقال (١) : (هم قوم هذا) وأشار إلى أبي موسى الأشعري ، وقال (٢) : (إني لا أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) .

وفي الصحيحين عنه أنه قال (٣) : « أتاكم أهل اليمن ، هم أرق قلوبًا وألين أفئدة ، الإيمان يماني ، والحكمة يمانية » .

فلما ارتد من ارتد عن الإسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه ، فقاتل الصديق بهم أهل الردة ، وغلب بهم أبو بكر وعمر ، كسرى وقيصر .وقال لعثمان بن عفان (٤) : « إن الله مقمصك قميصاً ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حوائط المدينة وهو متكئ يركز بعود في الماء والطين إذا استفتح رجل

- ورواه ابن حبان كما فى «الاحسان »(٢٩٩/١٦ح٧٣٠٩)

ورواه أبو نعيم فى « الحلية » (١/ ٤ ، ٦) (٦/ ٦٤)

وقال الهيثمى فى « المجمع » (٦٤/١٠) : « هو فى الصحيح غير قوله « العلم » .. رواه أحمد وفيه شهر وثقة أحمد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح » وللمزيد انظر الصحيحة » للألبانى » (٣/ ١٤)

(١) رواه ابن سعد فى « طبقاته(٤/١/٧٩)

ورواه الطبرانى فى « الكبير » (١٧ /٣٧١ح١٠١٦)

قال الحاكم (٣١٣/٢) : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى

ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٥/ ٣٥١ ، ٣٥٢)

وقال الهيثمى فى المجمع » (٧/ ١٦) : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح »

وزاد السيوطى فى نسبته فى الدر المنثور (٢/ ٢٩٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ وابن مردويه

(٢) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه

(٤) رواه أحمد (٦/ ٧٥) عن عائشة .

والحاكم (٣/ ٩٩، ١٠٠) وقال : هذا حديث صحيح عالى الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بقوله=

فقال : (١) « افتح وبشره بالجنة » فإذا هو أبو بكر ، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر فقال « افتح له وبشره بالجنة » فذهبت فإذا هو عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر فقال : « افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » فذهبت فإذا هو عثمان ، ففتحت له وبشرته الجنة ، وقلت له الذي قال ، فقال : اللهم صبرا ، والله المستعان .

وفى الصحيحين حديث حذيفه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الفتن التى تموج موج البحر ، وقال لعمر (٢) « ان بينك وبينها بابا مغلقا يوشك ذلك الباب

= « أنى له الصحة ومداره على « فرج بن فضالة » اهـ وقال الهيثمى فى « المجمع » (١٨٤/٥) رواه ابن ماجه باختصار رواه أحمد وفيه فرج بن فضالة وقد وثق وهو ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح

قلت : فرج بن فضاله » قال عنه ابن حجر فى « التقريب (٥٣٨٣): ضعيف من الثامنة »

ورواه الطبرانى فى « الكبير » (١٩٢/٥، ١٩٣ح٥٠٦١) من طريق زيد بن أرقم » وقال الهيثمى فى « المجمع » (٥٥/٩، ٥٦) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير باختصار وزاد فيه « إن الله مقمصك قميصاً فإذا أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه ، وفيه عبد الأعلى بن أبى المساور وقد ضعفه الجمهور ووثق فى رواية يحيى بن معين والمشهور عه تضعيفه

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري فى كتاب س فضائل الصحابة » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم س لو كنت متخذاً خليلاً (٢٥/٧، ٢٦ح٣٦٧٤)

ورواه أيضاً برقم (٣٦٩٣، ٣٦٩٥) ٦٢١٦، ٧٠٩٧، ٧٢٦٢)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل عثمان رضى الله عنه » (١٨٦٧/٤، ١٨٦٨ح٢٤٠٣)

ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « من فضائل عثمان رضى الله عنه (٢٠٧/١٠، ٢٠٨ح٣٧٩٤)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « فضائل » أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم » (٤٢/٥ح٨١٣١) ، (٤٣/٥ح٨١٣٣)

(٢) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « المواقيت » باب « الصلاة كفارة » (١١/٢ح٥٢٥)

ورواه أيضاً برقم (١٤٣٥، ١٨٩٥، ٣٥٨٦، ٧٠٩٦)

=

ان يكسر » فسأله مسروق من الباب فقال عمر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به » رواه أبو بكرة .

وقال فيه (٢) : « فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » .

قال : فقال رجل ، يارسول الله ، أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة ، اللهم هل بلغت ؟ » .

=ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ... » (١/١٢٨:١٣٥ح١٤٤)

ورواه أيضًا فى كتاب « الفتن » باب « فى الفتن التى تموج كموج البحر » (٤/٢٢١٨ح١٤٤) رقم خاص (٢٦)

ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب (٦١)(٦/٥٣٤:٥٣٦ح٢٣٥٩)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الصلاة » باب « تكفير الصلاة » (١/١٤٤ح ٣٢٧)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن »باب ما يكون فى الفتن » (٢/١٣٠٥، ١٣٠٦ح ٣٩٥٥)

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧٠٨ح٣٦٠١)

ورواه أيضًا برقم (٧٠٨١، ٧٠٨٢)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « نزول الفتن كمواقع القطر» (٤/٢٢١١، ٢٢١٢ح٢٨٨٦)وفى الباب عن أبى بكرة ونوفل بن معاوية .

(٢) « صحيح »

رواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « نزول الفتن كمواقع القطر » (٤/٢٢١٢، ٢٢١٣ح٢٨٨٧)

ورواه أبو داود فى كتاب « الفتن » باب « النهى عن السعى فى الفتنة » (١١/٣٣٣، ٣٣٤ح٤٢٣٦)

فقال رجل : يارسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو أحد الفئتين ، فضربني رجل بسيفه ، أو نحى سهم فيقتلني ؟ قال « يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار » .

وفي صحيح أبي حاتم قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، أو فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، ويل ، الساعة فيها من الله يوم القيامة » .

وفي الصحيحين عنه أنه قال (٢) : « إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم ، كمواقع القطر » .

وفي الصحيحين من غير وجه أنه لما قال له ذو الخويصرة : يا محمد ، اعدل فإنك لم تعدل ، فقال (٣) : « ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل » .

فقال بعض أصحابه : دعني أضرب عنق المنافق .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه يخرج من صئصئ هذا أقوام ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم يقرءون

---

(١) رواه ابن حبان كما فى « الاحسان » (١٥/٩٧، ٩٨ح٦٧٠٥)

(٢) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « فضائل المدينة » باب « آطام المدينة » (٤/١١٣ح١٨٧٨) ورواه أيضًا برقم (٢٤٦٧،٣٥٩٧،٧٠٦٠)

ورواه مسلم في كتاب « الفتن » باب « نزول الفتن كمواقع القطر »

(٣) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧١٤، ٧١٥ح٣٦١٠)

ورواه أيضًا برقم (٦١٦٣، ٦٩٣٣)

ورواه دون ذكر الشاهد برقم

(٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦٩٣١، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢)

=

القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، آيتهم أن فيهم رجلا مخدج اليد ، على عضده مثل البضعة من اللحم ، تدور عليها شعرات » .

وفي رواية في الصحيحين : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدين الطائفتين إلى الحق » .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما افترق المسلمون ، وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية ، وقتلهم علي ابن أبي طالب وأصحابه ، وهم أدنى الطائفتين إلى الحق ، والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر ، وهي الطائفة الباغية .

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم ، وطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه ، حتى قام علي بنفسه ، ففتش عليه ، فوجده مقتولا ، فسجد شكرًا لله .

وفي الصحيحين عنه أنه قال (١) : « ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن

=ورواه مسلم فى كتاب « الزكاة» باب « ذكر الخوارج وصفاتهم » (٧٤١/٢:٧٤٥ح ١٠٦٤) رقم خاص (١٤٨) ، ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « فضائل القرآن » باب « من قال فى القرآن بغير علم » (٣١/٥ح٨٠٨٧) ، ورواه أيضًا فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » (٣٥٥/٦ح١١٢٢٠) ، ورواه ابن ماجه فى « المقدمة » باب « فى ذكر الخوارج » (٦٠/١ح١٦٩) دون ذكر الشاهد .

(١) صحيح

رواه مسلم فى كتاب « المساجد ومواضع الصلاة » باب « كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ... » (٤٤٨/١، ٤٤٩ح٦٤٨)

ورواه النسائى فى كتاب « الإمامة » باب « إعادة الصلاة بعد ذهاب وقتها مع الجماعة »(١١٢/٢)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « إقامة الصلاة ...» باب « ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها » (٣٩٨/١ح١٢٥٧)

وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معها نافلة » .

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة فكانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر ، ويؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس .

وفي الصحيحين عنه أنه قال (١) : « إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » فلقوا بعده من استأثر عليهم ولم يعطهم حقهم .

وفي الصحيحين عنه أنه قال (٢) : « ستكون بعدي أمراء ، يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم » قالوا : فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : « أدوا إليهم حقهم واسئلوا الله حقكم » .

---

(١) صحيح عن « أنس »

رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « اصبروا حتى تلقونى على الحوض »

(١٤٦/٧ ح ٣٧٩٣)وقد جاء بلفظ « ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » عن أسيد بن حفيد

وهو حديث متفق عليه رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « اصبرواحتى تلقونى على الحوض » (١٤٦/٧ح٣٧٩٢)ورواه أيضًا برقم (٧٠٥٧)

ورواه مسلم فى كتاب « الإمارة » باب « الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم » (١٤٧٤/٣ح١٨٤٥)

ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « ما جاء فى الأثرة » (٤٢٧/٦ح٢٢٨٤)

ورواه النسائى فى كتاب « القضاة » باب « ترك استعمال من يحرص على القضاء »(٢٢٤/٨، ٢٢٥)
ورواه أيضًا فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « خير دون الأنصار »(٩١/٥ح٨٣٤٤)
(٢) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٧٠٨/٦ح٣٦٠٣)
ورواه أيضًا برقم (٧٠٥٢)

=

وفي الصحيحين عنه أنه سارَّ فاطمة فقال لها وهو في مرضه الذي توفي فيه (١) : « إني أقبض في مرضي هذا » ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقا به » .

وفي روراية « وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين » .

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : « أسرعكن لحاقًا أطولكن يدًا » قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا ، فكانت أطولنا يدا زينب لأنها تعمل بيدها وتصدق .

وفي صحيح البخاري وغيره عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٣) : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .

-ورواه مسلم فى كتاب « الإمارة » باب « وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول » (١٤٧٢/٣ح١٨٤٣)

ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « ما جاء فى الأثرة » (٤٢٨/٦ح٢٢٨٥)

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٧٢٦/٦ح٣٦٢٤) ورواه أيضًا برقم (٣٦٢٦، ٣٧١٦، ٤٤٣٤، ٦٢٨٦)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضائل فاطمة ..» (١٩٠٤/٤:١٩٠٦ح٢٤٥٠)

ورواه النسائي فى الكبرى فى كتاب « الوفاة » باب « ذكر ما استدل به النبى صلى الله عليه وسلم على اقتراب أجله » (٢٥١/٤، ٢٥٢ح٧٠٧٨)

ورواه أيضًا فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « مناقب فاطمة ..»(٩٥/٥ح٨٣٦٦)(٩٥/٥، ٩٦ح٨٣٦٧))(٩٦/٥ ح٨٣٦٨)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الجنائز » باب « ما جاء فى ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٥١٨/١ح١٦٢١)

(٢) صحيح

رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل زينب أم المؤمنين رضى الله عنها » (١٩٠٧/٤ح٢٤٥٢)

(٣) هذا جزء من الحديث التالى بلفظ « أول جيش يغزو قيصر مغفور لهم » عن أم حرام

وفي صحيح البخاري (١) ، عن أم حرام أيضًا ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا » .

قالت : يارسول الله ، أنا فيهم ؟ قال : « أنت فيهم » قالت : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » .

فقلت : يارسول الله « أنا فيهم ؟ » قال : لا .

وغزاها المسلمون في خلافة معاوية ، وكان يزيد أميرهم ، وكان في المعسكر ، أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته لما قدم المدينة مهاجرا ، ومات ودفن تحت سورها ، وذكروا أنهم كانوا إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون (٢) .

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية ، وفي خلافة عبد الملك ، غزاها ابنه مسلمة ، وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجداً .

وفي الصحيحين عن أنس قال (٣) : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته ، وجعلت تفلي رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : م تضحك ؟ قال : « عرض على ناس من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ، ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة » فقالت أم حرام : أدع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : م تضحك ؟ فقال : « عرض علي ناس من أمتي ، كما قال في

---

(١) صحيح

رواه البخاري فى كتاب « الجهاد » باب « ما قيل فى قتال الروم » (٦/١٢٠ ح ٢٩٢٤)

(٢) «صحيح » رواه البخاري فى كتاب « الجهاد » باب « ما قيل فى قتال الروم » (٦/١٢٠ ح ٢٩٢٤)

(٣) هذا كلام لا سند له وهو يخالف ما كان عليه شيخ الإسلام من عقيدة ، ولا ندرى كيف ذكره ؟؟

الأولى ، فقالت : يارسول الله أدع الله يجعلني منهم ، قال : « أنت من الأولين » .

قال أنس : فركبت البحر زمان معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت عن دابتها لما خرجت من البحر فماتت ، وهذا كان في خلافة عثمان ، ومعاوية نائبه .

وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر ، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان ، وفتحوا جزيرة قبرص ، وجاءوا بسببها إلى دمشق .

وكان أبو الدرداء (١) حيا بدمشق ، فجعل يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ياأبا الدرداء ؟ هذا يوم قد أعز الله فيه الإسلام ؟ فقال : إنما أبكي أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة ، فأضاعت أمر الله ، فأصارها الله إلي ماترون ، ما أهون العباد على الله إذا ضيعوا أمره ؟ .

وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (٣) : « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها » .

وثبت عنه في الصحيحين أنه قال (٢) : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على

---

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « الدعاء بالجهاد ... » (٦/١٣ح٢٧٨٨، ٢٧٨٩)

ورواه أيضاً برقم (٢٧٩٩ ، ٢٨٠٠ ، ٢٨٧٧ ، ٢٨٧٨ ، ٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥، ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، ٧٠٠١، ٧٠٠٢)

ورواه مسلم فى كتاب « الإمارة » باب « فضل الغزوفى البحر » (٣/ ١٥١٨: ١٥٢٠ح ١٩١٢)

ورواه أبو داود فى كتاب « الجهاد » باب « فضل الغزو فى البحر» (٧/١٦٧: ١٦٩ ح٢٤٧٣، ٢٤٧٤)

ورواه النسائى فى كتاب « الجهاد » باب « فضل الجهاد فى البحر » (٦/ ٤٠ : ٤٢)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الجهاد » باب « فضل غزو البحر » (٢/٩٢٧ح ٢٧٧٦)

(٢) رواه أحمد فى « الزهد » (ص ٢٠٦ ح ٧٦٢)

الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم ، حتي تقوم الساعة » .

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم ، فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها وكان كما أخبر به ، فإن هذه الأمة ـــ ولله الحمد والمنة ـ لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف ، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم ، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء ، بل إن غلبت طائفة في قطر من الأرض ، كان في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة ، ولم يسلط على مجموعها عدوا من غيرهم ، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١): « صنفان من أهل النار ، لم أرهما بعد ، قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة ، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة ، وعلى رءوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي ، يسمون العمائم سنام الجمل (٢) .

وفي حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٣) : « سيكون في ثقيف كذاب ومبير » .

وظهر الكذاب من ثقيف ، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي أظهر التشيع

---

(١) سبق تخريجة

(٢) سبق تجريخه

(٣) صحيح

رواه مسلم فى كتاب « الجنة وصفة نعيمها ...» (٢١٩٣،٢١٩٢/٤ح٢١٢٨)

ورواه أيضًا فى كتاب « اللباس والزينة » باب « النساء الكاسيات العاريات ...» (١٦٨٠/٣ح٢١٢٨)

والانتصار للحسين ، وقتل عبيدالله بن زياد وغيره من قتلة الحسين ، ثم أظهر أنه يوحى إليه ، وأنه ينزل عليه حتى قيل لابن عمر وابن عباس عنه ، قيل لأحدهما : إنه يوحى إليه ، وللآخر أنه ينزل عليه

فقال أحدهما : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلي أوليائهم ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٢١] .

وقال للآخر : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ ، [سورة الشعراء :٢٢١ ، ٢٢٢].وأما المبير ، فكان هو الحجاجً بن يوسف الثقفي ، وكان مبيراً سفاكًا للدماء بغير حق ، انتصارا لملك عبد الملك بن مروان ، الذي استنابه .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال (١) : لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « أيكم يبسط ثوبه ، فيأخذ من حديثي فيجمعه إلى صدره فإنه لن ينسى شيئًا سمعه » ، فبسطت بردة على حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلي صدري ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا سمعته منه .

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : « لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة ، كلهم من قريش

---

(١)كان هذا فى عصره ، أما اليوم فأصبحت النساء تفعل ذلك بشعرها كما ظهرت النساء الكاسيات العاريات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون !!

(٢)صحيح
رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « ذكر كذاب ثقيف ومبيرها » (١٩٧١/٤، ١٩٧٢ ح٢٥٤٥)
وفى الباب عن ابن عمر رواه الترمذى

وفي لفظ (١) « إلي اثنى عشر أميرًا » .

وفي رواية لأبي داود الطيالسى (٢) « كلهم يجتمع عليهم الأمة » .

وفي رواية فقالوا (٣) : ثم يكون ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهرج » .

قال أبو بكر البيهقي (٤) : وفي الرواية الأولى بيان العدد ، وفي الثانية بيان المراد بالعدد ، وقد بين وقوع الهرج ، وهو القتل بعدهم .

وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظمى ، وإنما يزيدون على العدد المذكور إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو أوعد معهم من كان بعد الهرج .

---

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « العلم » باب« حفظ العلم » (٢٥٩/١ح ١١٩) ورواه أيضًا برقم (٢٠٤٧، ٧٣٥٤،٣٦٤٨،٢٣٥٠)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أبى هريرة رضى الله عنه » (١٩٣٩/٤، ١٩٤٠ح٢٤٩٢)

ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب» باب « مناقب أبى هريرة رضى الله عنه » (٣٣٤/١٠ح٣٩٢٣)، (٣٣٤/١٠-٣٣٥ح٣٩٢٤)

(٢) صحيح

رواه مسلم فى كتاب « الإمارة » باب« الناس تبع لقريش والخلافة فى قريش » (١٤٥٢/٣:١٤٥٤ح١٨٢١) وهذا اللفظ برقم خاص (٧)

(٣) رواه أحمد (٩٧/٥.٩٨.١٠١)

(٤) صحيح

رواه أبو داود فى كتاب « المهدى » باب (١)(٣٦١/١١ :٣٦٣ح ٤٢٥٩) قلت : رواه أبو الجستانى فى سننه وليس هو بالطيالسى ، فتنبه !

وفي الصحيحين عن جابر قال (١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لك من أنماط ؟ قلت : يارسول الله ، وأني يكون لي أنماط ؟ فأنا أقول اليوم لامرأتي : نحي عنك أنماطك ، فتقول : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستكون لكم أنماط ؟ » .

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٢) : « بينما أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ، فقطعتهما فكرهتهما ، فأذن لي في نفختهما ، فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي » .

قال عبد الله : أحدهما العنسي الذي قتل فيروز الديلمي باليمن ، والآخر مسيلمة .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - وهو مستقبل المشرق (٣) - « ها إن الفتنة هاهنا ، ها إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وفي بعض طرق البخاري قام خطيبًا فأشار بيده نحو مسكن عائشة فقال (٤) :

---

(١) صحيح
رواه أبو داود في كتاب « المهدى » باب (١) (١١/ ٣٦٩ح ٤٢٦١)
ورواه أحمد (٥/٩٢)
(٢) قاله في « الدلائل » (٦/٥٢٠)
(٣) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٧٢٧ ح ٣٦٣١)
ورواه أيضًا برقم (٥١٦١)
ورواه مسلم فى كتاب « اللباس والزينة » باب« جواز اتخاذ الأغاط » (٣/١٦٥٠، ١٦٥١ح ٢٠٨٣)
ورواه أبو داود فى كتاب « اللباس » باب « فى الفرس »(١١/٢٠٣ح ٤١٢٧)
ورواه النسائى فى كتاب « النكاح » باب « الافاط» (٦/١٣٦)
(٤) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « وفد بنى حنيفة ..» (٧/٦٩٠، ٦٩١ ح ٤٣٧٤) ورواه =

وذكر الحديث .

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين ، ومنها يخرج مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، وهو أول حادث حدث بعده ، واتبعه خلائق ، وقاتله خليفته الصديق .

وروى أبو حاتم في صحيحه ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (١) : « إن بين يدي الساعة كذابين ، منهم صاحب اليمامة ، ومنهم صاحب صنعا العنسي .ومنهم صاحب حمير . ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة ، وصاحب اليمامة هو مسيلمة قال : وقال أصحابي : قال : « هم قريب من ثلاثين كذابًا » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

= أيضًا برقم (٤٣٧٩ ، ٧٠٣٤)

ورواه مسلم فى كتاب « الرؤيا » باب « رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم »(١٧٨١/٤ح ٢٢٧٤)

ورواه الترمذى فى كتاب « الرؤيا » باب « فى رؤيا النبى صلى اللع عليه وسلم » (٥٧١/٦ .٥٧٢ح ٩٢٣٩٤

ورواه النسائى فى الكبر ى فى كتاب « الرؤيا » باب « السوارين» (٣٨٩/٤ ح ٧٦٤٨)

ورواه ابن ماجه فى كتاب فى « الرؤيا » باب «تعبير الرؤيا» (١٢٩٣/٢ ح٣٩٢٢)

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « فرض الخمس » باب « ما جاء فى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ...» (٢٤٣/٦ح٣١٠٤)

ورواه البخارى فى كتاب « بدء الخلق » باب « وصفة إبليس وجنوده ... »(٣٨٧/٦ح٣٢٧٩)

ورواه البخارى أيضًا فى كتاب « المناقب » باب (٥) (٦٢٤/٦ح ٣٥١١)

ورواه أيضًا برقم (٥٢٩٦ ، ٧٠٩٢ ، ٧٠٩٣)

ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « الفتنة من المشرق ...» (٢٢٢٨/٤ : ٢٢٣٠ ح ٢٩٠٥)

ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « ٦٥»(٥٤٦/٦ح ٢٣٧٠)

قال (١) : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون ، دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يفيض المال ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج » قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال : « القتل القتل » .

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال (٢) : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وأردفني خلفه ثم قال : « يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلي مسجدك ، كيف تصنع ؟ » فقال : الله ورسوله أعلم قال : « تعفف » قال : « ياأبا ذر أرأيت إن أصابَ الناس موت شديد حتى يكون البيت بالوصيف ، كيف تصنع ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ،

---

(١) هذا اللفظ رواه أحمد (٢/٤٥٧)
وابن حبان فى صحيحه كما فى « الاحسان » (١٥/٢٧، ٢٨ح٦٦٥١)وأول الحديث متفق عليه :
البخاري فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام» (٦/٧١٢، ٧١٣ح ٣٦٠٩)
ورواه مسلم فى كتاب « الفتن » باب « لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء » (٤/٢٢٣٩، ٢٢٤٠ح ٨٤ رقم خاص)
ورواه أبو داود فى كتاب « الملاحم » باب « خبر ابن الصياد » (١١، ٤٨٥ ح ٤٣١١)
ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون » (٦/٤٦٥ح ٢٣١٥)
القسم الثانى من الحديث :
رواه مسلم فى كتاب « العلم » باب « رفع العلم وقبضه وظهور الجهل ...» (٤/٢٠٥٧، ٢٠٥٨ ح ١٥٧ رقم خاص » بلفظ يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج » قالوا: وما الهرج ؟ قال : القتل

(٢) صحيح
رواه ابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان » (١٣/٢٩٢، ٢٩٣ح ٥٩٦٠)
ورواه أيضًا برقم (١٥/٧٨، ٧٩ح٦٦٨٥)وهذا الحديث رواه أبو داود فى كتاب « الفتن » باب « فى النهى عن السعى فى الفتنة » (١١ / ٣٤٠ : ٣٤٣ح ٤٢٤١)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن » باب « التثبت فى الفتنة » (٢/ ١٣٠٨ح ٣٩٥٨) =

قال : « اصبر » ، « ياأبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال « اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك » فقال : أرأيت إن لم أترك ؟ قال : « فائت من أنت منه فكن فيهم » قال : فإن أخذ سلاحي ؟ قال : « إذا تشاركهم فيه ، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك ، يبوء بإثمك وإثمه » .

وفيه عن ابن مسعود قال (١) : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من أدم ، فيها أربعون رجلا ، فقال : « إنكم فاتحون ومنصورون ، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وأما الفتوح التي فتحت عليهم ، والنصرة التي نصروا ، فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدم ذكره ، ووقع ما أخبر به .

= ورواه أحمد (٥ /١٤٩)

ورواه الحاكم (٤ /٤٢٣) أيضاً وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه البخارى من حديث همام عن أبى عمران ، وقد زاد فى إسناده بين أبى عمران الجونى وعبد الله بن الصامت : المشعث بن طريف بزيادة فى المتن وحماد بن زيد أثبت من حماد بن مسلمة وصححه الألبانى كما فى صحيح بن ماجه (٢ /٣٥٥ ح ٣١٩٧) ووافقه الذهبى

ورواه الحاكم (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لأن حماد بن زيد رواه عن أبى عمران الجونى قال : حدثنى المشعث بن طريق وكان قاضياً بهراة عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وتعقبه الذهبى بقوله : وعلته أن حماد بن زيد رواه عن أبى عمران الجونى عن المشعث بن طريق عن عبد الله بن الصامت وكان المشعث قاضى هراة .

(١) « لم أقف عليه »

وروى أبو حاتم في صحيحه عن ابن عباس قال (١) : مرض أبو طالب فأتته قريش ، وأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل فقعد فيه ، فشكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أبي طالب ، فقالوا : إن ابن أخيك يقع في آلهتنا .

قال : ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي ؟

قال : « ياعم إنما أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم بها العرب وتؤدى لهم بها العجم الجزية » فقال : وماهي ؟ « قال لا إله إلا الله » .

فقاموا فقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾ ، [سورة ص :٥] قال : ونزلت ﴿ ص والقرآن ذي الذكر - إلى قوله - إن هذا لشئ عجاب ﴾ ، [سورة ص:١.٥] .

وفي صحيح ابن حبان عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال (٢) : لما أقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر ، طرقتهم ليلا ، فسمعت نباح الكلاب ، فقالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب ، قالت : ما أظنني إلا راجعة ، قالوا مهلا يرحمك الله تقدمين ، فيراك المسلمون ، فيصلح الله بك ، قالت : ما أظنني إلا راجعة ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف بإحداكن ينبح عليه كلاب الحوأب ؟ .

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه كما فى « الاحسان (١٥/٧٩.٨٠ ح ٦٦٨٦)
وهذا الحديث رواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة ص » (٩/٩٩ : ١٠١ح ٣٢٨٥)
ورواه النسائى فى « التفسير » فى الكبرى باب « ومن سورة ص» (٦/٤٤٢ح١١٤٣٦)
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه كما فى الاحسان » (١٥/١٢٦ح ٦٧٣٢)
ورواه أحمد (٦/٥٢ ، ٩٧)
ورواه أبو يعلى فى « مسنده » (٨/٢٨٢ ح ٤٨٦٨)
ورواه البزار كما فى «كشف الأستار» (٤/٩٤ ح ٣٢٧٥)

=

وفيه أيضًا عن علي بن أبي طالب قال : قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغزو وأنا أريد العراق (١) : لا تأت العراق ، فإنك إن تأتهم أصابك ذنب السيف .

قال علي : وايم الله لقد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو الأسود : فقلت في نفسي ، ما رأيت كاليوم رجلا محاربًا يحدث الناس بمثل هذا .

وهذا وأمثال مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المستقبلات ، فوقع بعده كما أخبر ، ورأى الناس ذلك .

وأما ما أخبر به ، مما لم يقع الآن فكثير .

وقد أخبر بأشياء من المغيبات ، ووقعت في زمانه ، ووجد كما أخبر ، كما في الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يوم خيبر (٢) : « لأعطين هذه الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله

=والبيهقى فى « الدلائل » (٦/٤١٠ ، ٤١١)
وقال الهيثمى في « المجمع (٧/ ٢٣٤)
ورواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح »
(١) رواه ابن حبان فى صحيحه كما فى « الإحسان » (١٥/١٢٧ح ٦٧٣٣)
ورواه الحميدى فى « مسنده » (/٣٠ح ٥٣)
ورواه أبو يعلى فى « مسنده » (١/٣٨١ح ٤٩١)
ورواه البزار كما فى كشف الأستار (٣/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ح ٥٧١) وقال البزار : لا نعلم رواه إلا على ولا نعلم رواه إلا عبد الملك عن أبى حرب ولا نعلم رواه عن عبد الملك إلا ابن عيينه
وقال الهيثمى في المجمع (٩ /١٣٨) : رواه أبو يعلى والبزاربنحوه ، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبى إسرائيل وهو ثقة مأمون »
(١) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « فضل من أسلم على يديه رجل » (٦/١٦٨ح ٣٠٠٩) ورواه أيضًا بنفس اللفظ برقم (٤٢١٠)
ورواه أيضًا دون ذكر لفظ « يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله برقم (٩٤٢، ٣٧٠ ، ٣٧٠١) =

يفتح الله على يديه » فكان كذلك .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعي الإسلام (١) : « هذا من أهل النار » فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل : يارسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفا : إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالا شديداً ، فأصابته جراحة وقد مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » فكاد بعض المسلمين أن يرتاب .

فبينما هم على ذلك إذ قيل : فإنه لم يمت ، ولكن به جرحاً شديداً .

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس ، إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ،

=ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضائل على رضى الله عنه » (١٨٧٢/٤ح٢٤٠٦) بلفظ الكتاب

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « المناقب » باب « فضائل على رضى الله عنه » (٤٦/٥ح٨١٤٩)

ورواه أيضًا فى كتاب «السير فى الكبرى» باب «فضل من أسلم على يده رجل » (١٧٣/٥ح ٨٥٨٧ ٩

وفى الباب عن : سلم بن الأكوع وبريدة بن الحصيب وأبى هريرة وعمران بن حصين

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (٢٠٧/٦، ٢٠٨ ح٣٠٦٢) ورواه أيضًا برقم (٤٢٠٣ ، ٤٢٠٤ ، ٦٦٠٦)

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ... » (١٠٥/١، ١٠٦ ح١١١)

ورواه سهل بن سعد (١) .

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا مرثد الغنوي ، والزبير بن العوام ، والمقداد وكلنا فارس فقال (٢) : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة ظعينة ، معها كتاب من حاطب إلي المشركين » فأدركناها تسير على بعيرها خبب ، فقلنا لها : أين الكتاب ؟ فقالت : ما معي كتاب ، قال : فأنخنا بها ، فالتمسنا الكتاب في رحلها ، فلم نر كتاباً ، قال : قلنا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك ،

---

(١) حديث « سهل بن سعد » متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « لايقوم خلان شهيد » (١٠٥/٦-١٠٦ ح ٢٨٩٨)
ورواه أيضًا برقم (٤٢٠٢، ٤٢٠٧، ٦٤٩٣، ٦٦٠٧)
ورواه مسلم فى «الإيمان » باب « غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ...» (١٠٦/١ ح ١١٢)
ورواه أيضًا فى كتاب « القدر » باب « كيفية الخلق الآدمى ... » (٢٠٤٢/٤ ح ١٢ رقم خاص)
(٢) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « الجاسوس » (١٦٦/٦، ١٦٧ ح ٣٠٠٧) ورواه أيضاً برقم (٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤ ، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)
ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أهل بدر رضى الله عنهم ...» (١٩٤١/٤، ١٩٤٢ح ٢١٩٤)
ورواه أبو داود فى كتاب « الجهاد » باب « فى حكم الجاسوس إذا كان مسلماً » (٣١٠/٧: ٣١٢ح ٢٦٣٣)
ورواه مختصراً برقم (٢٦٣٤)
ورواه الترمذى فى كتاب التفسير » باب « ومن سورة الممتحنة » (١٩٨/٩: ٢٠١ ح ٣٣٦٠) وقال : « هذا حديث حسن صحيح وفيه عن عمرو جابر بن عبد الله »
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير» باب قوله تعالى ﴿ لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ (٤٨٧/٦ ح ١١٥٨٥)

قال : فلما رأت أني أهويت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء ، أخرجت الكتاب من عقاصها ، فأخذنا الكتاب ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه « من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم » .

فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياحاطب ، ما حملك على هذا ؟ » قال : لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من كان معك من المهاجرين لهم قربات يحمون أهلهم بمكة ، فأحببت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذ يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه قد صدقكم » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : « قد شهد بدراً وما يدريك ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد غزوهم فأعلمه الله بذلك » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال (١) : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات .

وفي رواية عن جابر قال (٢) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على أصحمة النجاشي .

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

وفي لفظ من رواية أبي هريرة قال (١) : قد مات اليوم عبد الله الصالح أصحمة فأمّنا وصلى عليه ، وفي رواية عمران بن حصين قال (٢) : إن أخًا لكم قد مات ، فصلوا عليه ، يعني النجاشي .

وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب قصة الصحيفة (٣) ، ورواها عروة بن الزبير (٤) ، ومحمد بن إسحاق بمعناه قال (٥) : ثم إن المشركين اشتدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأشد ما كانوا حتى بلغ بالمسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء وأجمعت قريش مكرها ، على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية .

فلما رأى أبو طالب عمل القوم ، جمع بني عبد المطلب ، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ، ويمنعوه ممن أراد قتله ، فاجتمعوا على ذلك ، مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمعوا على ذلك ، واجتمع المشركون من قريش ، أجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق ، لا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) رواه كاملاً البيهقى فى « الدلائل » (٢/٣١١ : ٣١٤)

ورواه ابن سعد فى « طبقاته » (١/١٣٩:١٤١)والطبرى (٢/٣٣٥) وانظر ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/٨٤)

(٤) أشار إليها البيهقى فى « الدلائل » (٢/٣١٤)

(٥) رواه ابن إسحاق كما فى سيرة ابن هشام (٢/١٦: ٢٤)

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلم يتركوا طعامًا يقدم مكة ، ولا بيعًا إلا بادرهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زاد ابن إسحاق في روايته قال : حتى كان تسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، وغدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالا شديدا .

قال : قال موسى بن عقبة في تمام حديثه : وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكرًا به واغتياله فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه ، أو أخوته ، أو بني عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه .

فلما كان رأس ثلاث سنين ، تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم ، واستخفوا بالحق ، واجتمع أمرهم ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه .

وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق ، ويقال كانت معلقة في سقف البيت ، فلم تترك إسمًا لله عز وجل فيها إلا لحسته ، وبقى ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم .

وأطلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب .

فقال أبو طالب : « لا والثواقب ما كذبني » فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد

المطلب حتى أتى المسجد ، وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين بجماعتهم ، أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم ، لم نذكرها لكم فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها ، فلعله أن يكون بينكم وبيننا صلح .

وإنما قال ذلك ، خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن الرسول مدفوع إليهم فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد ، جعلتموه خطراً ، لهلكة قومكم وعشيرتكم وفساد دينكم .

فقال أبوطالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نصف فإن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ، أن الله عز وجل بريءٌ من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم له فيها ، ترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا ، وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي ، كما قال ، فأفيقوا ، فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتموه .

قالوا : قد رضينا بالذي تقول ، ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا سحراً من صاحبكم ، فارتكسوا وعادوا شراً مما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وعلى رهطه ، والقيام بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن أولى بالسحر والكذب غيرنا كيف ترون ، فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الخبث والسحر من

أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر ، لم تفسد صحيفتكم ، وهي في أيديكم ، طمس الله ما كان فيها من اسم وما كان فيهامن بغي تركه .أفنحن السحرة أم أنتم ؟ .

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف ، وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم ، منهم أبو البختري ، والمطعم بن عدي ، وزهير ابن أبي أمية بن المغيرة ، وزمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده ، وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن برّاء مما في هذه الصحيفة .

فقال أبو جهل : هذا أمر قد قضي بليل .

وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر في شأن صحيفتهم ، ويمتدح النفر الذين تبرءوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ، ويمتدح النجاشي .

قال موسى بن عقبة : فلما أفسد الله صحيفة مكرهم ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه فعاشوا وخالطوا الناس .

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود قال (١) : انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، فنزل على أمية بن خلف بن أبي صفوان ، وكان أمية بن خلف إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذ فقال سعد لأمية : « انظر لي ساعة خلوة ، لعلي أن أطوف بالبيت » ، قال : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت .

قال : فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : ياأبا صفوان من الذي معك ؟ قال : هذا سعد . فقال له أبو جهل : « ألا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد

---

(١) سبق تخريجه

آويتم الصباه ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلي أهلك سالمًا » .

فقال له سعد ـ وقد رفع صوته عليه ـ : « لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك إلى المدينة » .

قال فقال له أمية : لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي .

فقال سعد : « دعنا منك ياأمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه قاتلك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا وقال : « والله ما يكذبك محمد » فلما رجع أمية إلي أهله قال : « ياأم صفوان ألم تري إلي ما قال لي سعد ؟ » قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ فقال : لا أدري ، فقالت : والله ما يكذب محمد ، فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس فقال : أدركوا غيركم ، قال : فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : ياأبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلفت ـ وأنت سيد أهل الوادي ـ تخلفوا معك ، فلم يزل أبو جهل حتى قال : إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة .

قال أمية : ياأم صفوان جهزيني ، فقالت له : ياأبا صفوان أو قد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا .

قال : فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله رسول الله ببدر .

وعن كعب بن مالك قال : كان أبيٌّ بن خلف أخوبني جمح ، قد حلف وهو بمكة ، ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : « بل أنا أقتله إن شاء الله عز وجل » .

فأقبل أبي مقنعًا في الحديد وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فجعل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدريقي رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عميرٌ .

وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها بحربته ، فوقع أبي عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدش ، فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أقتل أبيا ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار ـ ورواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب ، وذكره

---

(١) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » (١٢٢/٣، ١٢٣)وقد صرح فيها بالسماع وسنده منقطع

ورواه الطبرى فى تاريخه » (٥١٨/٢، ٥١٩) من طريق ابن اسحاق وابن سعد فى الطبقات » (٣٢/١/٢) مرسلاً عن سعيد بن المسيب وموسى بن عقبه فيما نقله عن البيهقى فى « الدلائل » (٢١١/٣)

ورواه البيهقى أيضاً فى «الدلائل » من غير طريق ابن إسحاق مرسلاً عن عروة وفى سنده ابن لهيعة وفيه كلام فيكون الحديث ضعيفًا

ورواه أيضًا عن « الواقدى » فى الدلائل (٢٥٩/٣)

الواقدي بإسناده ، وهذا لفظه وهو مما ذكره عروه بن الزبير في مغازيه ، وابن إسحاق وغيرهما .

ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن عمير (١) بن وهب الجمحي لما رجع فَلّ المشركين إلي مكة وقد قتل الله من قتل منهم ، أقبل عمير حتى جلس إلى صفوان ابن أمية في الحجر . فقال صفوان : قبح الله العيش بعد قتلى بدر . قال : أجل والله ما في العيش خير بعدهم ولولا دين علي لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئًا ، لرحلت إلى محمد فقتلته . إن ملأت عيني منه ، فإن لي عنده علة أعتل بها ، أقول قدمت على أنني أفدي هذا الأسير .

ففرح صفوان بقوله وقال له : على دينك ، وعيالك أسوة عيالي في النفقة فحمله صفوان وجهزه ، وأمر بسيف عمير فصقل وسم .

فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد ، وعقل راحلته ، وأخذ السيف فعمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فنظر إليه عمر بن الخطاب وهو في نفر من الأنصار يتحدثون .

فقال عمر : عندكم الكلب هذا عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر ، وحزرنا للقوم ، ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرالحديث إلي أن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أقدمك ؟ قال أسيري عندكم ففادنا في أسرائنا ، فإنكم العشيرة والأهل قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال عمير : قبحها الله من سيوف ، فهل أغنت عنا شيئًا ؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصدقني ما أقدمك ؟ » قال : ما قدمت إلا في أسيري ، قال : « فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ » ففزع عمير وقال : ماذا شرطت ؟ قال : « تحملت له بقتلي على أن يعول بيتك ويقضي دينك

والله حائل بينك وبين ذلك » .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأن لا إله إلا الله ، كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء ، وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر ، لم يطلع عليه أحد غيري وغيره ، فأخبر الله به ، وذكر بقية الحديث .

وفي صحيح البخاري عن أنس قال (١) : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامًا من بين سليم إلى بني عامر في سبعين ، فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلاّ كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه .

فبينما هو يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال : فزت ورب الكعبة ، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل وآخر معه ، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسل أنهم قد لقوا

---

(١) رواه ابن سحاق كما فى سيرة ابن هشام (٣٧١/٢: ٣٧٤) وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده مرسل عن عروة

ورواه البيهقى فى « الدلائل » (١٤٧/٣ : ١٤٩) فيما نقله عن موسى بن عقبة فى كتاب « المغازى »

رواه الطبرانى فى « الكبير » (١٧ / ٥٦ ، ٥٧ ح ١١٧) من طريق ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة

وقال الهيثمى فى « المجمع » (٨ / ٢٨٦) : وروى عن عروة بن الزبير نحوه مرسلا وقال فيه ففرح المسلمون حين هداه الله وقال عمر بن الخطاب لخنزير كان أحب إلى من حين اطلع وهو اليوم أحب إلى من بعض بنى وإسناده حسن

ورواه أيضًا فى « الكبير » (١٧ / ٦١ ، ٦٢ ح ١٢٠) وررواه الطبرانى من طريق ابن إسحاق (١٧/ ٥٨ ،٥٩ ح ١١٨) وقال الهيثمى فى « المجمع » (٨ / ٢٨٦)

ورواه الطبرى مرسلاً وإسناده جيد » ، ورواه أيضًا (١٧ /٥٩ : ٦١ ح ١١٩) عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب »

وقال الهيثمى فى « المجمع » (٢٨٧/٨) : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح من طريق أبى عمران وقال لا أعلمه إلا عن أنس !!

وقال الحافظ فى « الإصابة » (٣٧/٥) : « ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلاً وأورده ابن اسحاق فى

ربهم فرضي الله عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ : « أن بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم نسخ بعد ، فدعا عليهم أربعين صباحا علي رعل وذكوان وعصية ، وبني لحيان الذين عصوا الله ورسوله .

وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بن الطفيل : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إليه بين السماء والأرض .

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي قال (١) : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرصوها » فخرصناها ، وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق ، قال : « احصها حتى نرجع إليك إن شاء الله تعالى » فانطلقنا حتى قدمنا « تبوك » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ستهب عليكم - الليلة - ريح شديدة ، فلا يقم فيها أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله » فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طي » .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال (٢) : كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو ، وهو كعب بن عمرو ، أحد بني سلمة .

فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : « كيف أسرته ياأبا اليسر ؟ » فقال :

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « من تكب فى سبيل الله » (٢٣/٦ ح ٢٨٠١)

ورواه أيضًا برقم (٢٨١٤ ، ٤٠٨٩ : ٤٠٩٢)

ورواه مسلم مختصرًا فى كتاب « المساجد ومواقع الصلاة باب استحباب القنوت فى جميع الصلاة ...» (٤٦٨/١ ح ٦٧٧)

(٢) « متفق عليه »

=

لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا وكذا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أعانك عليه ملك كريم » .

وقال للعباس : « ياعباس إفد نفسك ، وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن فهر » .

قال : « فإني قد كنت مسلمًا قبل ذلك وإنما استكرهوني » .

قال : « الله أعلم بشأنك ، إن يك ما تدعي حقًا فالله يجزيك بذلك ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافد نفسك » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية ذهبًا .

فقال : « يارسول الله ، احسبها لي من فداي قال : « لا ذلك شئ أعطانا الله منك » قال : فإنه ليس لي مال : « فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل وليس معك أحد غيركما ؟ فقلت : إن أصبت في سفري هذا ، فللفضل كذا ، ولقثم كذا ، ولعبد الله كذا ؟ » .

= رواه البخاري في كتاب « الزكاة » باب « خرص التمر » (٣/٤٠٢ ، ٤٠٣ ح ١٤٨١)وروى بعضه برقم(١٨٧٢، ٣١٦١، ٣٧٩١، ٤٤٢٢)

ورواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب« في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٤١/١٧٨٥، ١٧٨٦ح١٣٩٢)

وروى بعضه أيضًا في كتاب « الحج » باب « أحـد جبل يحبنا ونحبه» (٢/١٠١١ح ٥٠٣ رقم خاص)

ورواه أبو داود في كتاب « الخراج والإمارة » باب في إحياء الموتى » (٨/٣٣١:٣٣٣ح ٣٠٦٣)

(١) إسناده ضعيف

رواه أحمد (١/٣٥٣)

ورواه ابن سعد في طبقاته (٤/١/٧، ٨)

وقال الهيثمي في المجمع (٦/٨٥، ٨٦) : « رواه أحمد ، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات »

وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٥/١٠٥ ح ٣٣١٠): « إسناده ضعيف لجهالة راويه عن عكرمه »

قال : فوالله الذي بعثك بالحق ماعلم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها ، وإني أعلم إنك لرسول الله .

وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر قال (١) : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة « مؤته » زيد بن حارثة ، فإن قتل زيد « فجعفر » وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة .

قال ابن عمر (٢) : كنت معهم ، ففتشته - يعني ابن رواحة - فوجدنا فيما أقبل من جسده بضعًا وسبعين ، ما بين طعنة ورمية .

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال (٣) : نعى رسول الله صلي الله عليه وسلم زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، فأصيب ، وإن عيني رسول الله صلي الله عليه وسلم لتذرفان ثم أخذها خالد ابن الوليد سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم »

فصـــل

آياته صلى الله عليه وسلم المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع الأول منها : ما هو

---

(١) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب« غزوة مؤتة من أرض الشام » (٥٨٣/٧ ح ٤٢٦١)

(٢) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « غزوة مؤتة من أرض الشام » (٥٨٣/٧ ح ٤٢٦٠ ، ٤٢٦١) بلفظ « فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا مافى جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية .

(٣) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « الجنائز » باب « الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه » (١٣٩/٣، ١٤٠ ح ١٢٤٦)

ورواه أيضًا برقم (٢٧٩٨ ، ٣٠٦٣ ، ٣٦٣٠ ، ٣٧٥٧ ، ٤٢٦٢)

ورواه النسائى فى « الجنائز » باب « النعى » (٢٦/٤)

في العالم العلوي ، كانشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ، الحراسة التامة لما بعث ، وكمعراجه إلى السماء ٠

فقد ذكر الله انشقاق القمر ، وبين أن الله فعله ، وأخبر به لحكمتين عظيمتين :

إحداهما : ـ كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية ، فأراهم انشقاق القمر ٠

والثانية : ـ أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النذر * فتول عنهم يوم يدع الداعي إلى شئ نكر * خشعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ ، [سورة القمر : ١ : ٧] ٠

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر ، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب ، لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه ، لكل من يراه ظهورًا لا يتمارى فيه ، وأنه ـ نفسه ـ إذا قبل الانشقاق فقبوله محله أولى بذلك قد عاينه الناس وشاهدوه ٠

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار ، مثل صلاة الجمعة والعيدين ، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها ، والاعتبار بما فيها ، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره ، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة ٠

وفي صحيح مسلم : أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي (١) : ما كان يقرأ

---

(١) صحيح
رواه مسلم في كتاب « صلاة العيدين » باب « ما يقرأ به في صلاة العيدين » (٢/٦٠٧ح٨٩١) =

به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر ؟ فقال : كان يقرأ فيها بـ « ق » والقرآن المجيد ، و« اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك ، فضلا عن أعدائه الكفار والمنافقين .

ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم إياه .

فلو لم يكن انشق ، لما كان يخبر به ويقرأه على جميع الناس ، ويستدل به ، ويجعله آية له .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال (١) : إن أهل مكة سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين .

وعنه قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين .

=ورواه أبو داود فى كتاب « الصلاة » باب « ما يقرأ فى الأضحى والفطر » (١٥/٤ ح ١١٤٢)
ورواه الترمذى فى كتاب « الصلاة » باب « القراءة فى العيدين » (٧٩/٣ ح ٥٣٢)
ورواه النسائى فى كتاب « صلاة العيدين » باب « القراءة فى العيدين بقاف واقتربت » (٣/ ١٨٣، ١٨٤)
ورواه أيضًا فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب سورة « اقتربت الساعة » (٤٧٥/٦ ح ١١٥٥٠) (٤٧٥/٦ ، ٤٧٦ ، ١١٥٥١)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « إقامة الصلاة ...» باب « ما جاء فى القراءة فى صلاة العيدين » (٤٠٨/١ ح ١٢٨٢)

(١) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « سؤال المشركين أن يريهم النبى صلى عليه وسلم آية » (٦/ ٧٣٠ ح ٣٦٣٧) ،
ورواه أيضًا برقم (٣٨٦٨ ، ٤٨٦٧ ، ٤٨٦٨)
ورواه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين » باب« انشقاق القمر » (٢١٥٩/٤ ح ٢٨٠٢)

زاد الترمذي (١) : فنزلت ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر - إلى قوله - سحر مستمر ﴾ يقول : ذاهب .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال (٢) : انشق القمر علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشهدوا » .

وعن ابن مسعود أيضًا قال (٣) : رأيت القمر منشقًا شقتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على جبل أبي قبيس ، وشقة على السويداء ، فقال كفار قريش - أهل مكة - هذا سحر ، سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السفار فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم ، فقد صدق ، وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم فهو سحر .

قال فسئل السفار ، وقدموا من كل وجه ، فقالوا : « رأينا » رواه البخاري ومسلم .

---

(١) صحيح
رواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « سورة القمر » (١٧٤/٩ ح ٣٣٤٠)
ورواه النسائى فى كتاب « التفسير » باب « انشق القمر » (٤٧٦/٦ح ١١٥٥٤) وصححه الإلبانى كما فى صحيح الترمذى (١١١/٣ح ٢٦٢٠)

(٢) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « سؤال المشركين أن يريهم النبى صلى الله عليه وسلم آية ...» (٧٣٠/٦ح٣٦٣٦)
ورواه أيضًا برقم (٣٨٦٩، ٣٨٧١ ، ٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥)
ورواه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين » باب « انشقاق القمر » (٢١٥٨/٤ح ٢٨٠٠)
ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « سورة القمر » (١٧٥/٩ح ٣٣٤١)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب « انشق القمر » (٦/ ٤٧٦ ح ١١٥٥٣)

(٣) صحيح
رواه البخارى « تعليقا » (٢٢١/٧)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢٦٦/٢ ، ٢٦٧)
ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٣٧٠/١ ح ٢١٢)
ورواه أبو داود الطيالسى فى « مسنده » (٣٨/١ح ٢٩٥)

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال (١) : انشق القمر على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى مسلم عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال (٢) : قد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انشق القمر فلقتين ، فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اشهد » .

وعن جبير بن مطعم قال (٣) : انشق القمر ونحن بمكة ، حتى صار فرقتين على هذا الجبل ، فقال : وعلى هذا الجبل .

فقال الناس : سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقال رجل : إن كان سحركم فلم لم يسحر الناس كلهم ، رواه الترمذي .

وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السماوات ، وهذا مما تواترت به الأحاديث ، وأخبر به القرآن ، أخبر بمسراه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد

---

(١) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار » باب « انشقاق القمر » (٢٢١/٧ح ٣٨٧٠)
ورواه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين ..» باب « انشقاق القمر »(٢١٥٩/٤ ح ٢٨٠٣)
(٢) صحيح
رواه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين » باب « انشقاق القمر » (٢١٥٩/٤ ح ٢٨٠١)
ورواه الترمذى فى كتاب « الفتن » باب « انشقاق القمر » (٤١٠/٦ ح ٢٢٧٣)
ورواه أيضًا فى كتاب « التفسير » باب « سورة القمر» (١٧٥/٩ح ٣٣٤٢)
(٣) صحيح
رواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة القمر» (١٧٦/٩ح ٣٣٤٣) وقال : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير ابن مطعم نحوه ، ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٢٦٨/٢) ، وصححه الألبانى كما فى « صحيح الترمذى » (١١٢/٣ ح ٢٦٢٢)

الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وفي موضع آخر بصعوده إلى السماوات فقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ ، [سورة الإسراء ١] فأخبر - هنا - بمسراه ليلا بين المسجدين ، وأخبر أنه فعل ذلك ، ليريه من آياته .

ومعلوم أن الأرض قد رأى الناس ما فيها من الآيات ، فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس ، كما قال في السورة الأخرى : ﴿ أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ، [سورة النجم : ١٢ : ١٨] .

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ، [سورة الإسراء : ٦٠] قال (١) : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به .

كان في إخباره بالمسرى ليريه من آياته ، بيان أنه رأى من آياته مالم يره الناس ، وقد بين ذلك في السورة الأخرى ، وأنه رأى جبريل عند السدرة المنتهى ﴿ عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ ، [سورة النجم : ١٥ ، ١٦]وأنه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى .

---

(١) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار » باب « المراج » (٢٤٢/٧ح ٣٨٨٨) ورواه أيضًا برقم (٤٧١٦، ٦٦١٣)

ورواه الترمذي فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة بنى إسرائيل » (٥٦٧/٨، ٥٦٨ح ٥١٤١)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير »باب قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾ (٣٨١/٦ ح ١١٢٩٢)

وذكر في تلك السورة المسرى ، لأنه أمكنه أن يقيم عليه برهانًا .

فإنه لما أخبرهم به ، فكذبه من كذبه ، وتعجبوا من ذلك ، سألوه عن نعته وصفاته ، فنعته لهم ، لم يخرم من النعت شيئًا ، وأخبر خبر عيرهم التي كانت في الطريق ، فظهر لهم صدقه في هذا ، آية علي صدقه فيما غاب عنهم ، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما رآه من آيات التي تختص برؤيتها الأنبياء .

وبهذا تميز عمن قعطع المسافة كرامة لولي أو تسخيراً لجن كما في قصة بلقيس حيث : ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ، [سورة النمل : ٣٩ ، ٤٠] فإن قطع الجسم الثقيل للمسافة البعيدة إنما كان لما أوتيه سليمان من الملك . كما كانت الريح : ﴿ تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ ، [سورة ص : ٣٦ : ٣٨] وهذا تسخير ملكي .

وقطع محمد صلى الله عليه وسلم كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين ، وكان ذلك فتنة (أي محنة وابتلاء) للناس ، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه .

وأحاديث المعراج وصعوده إلى ما فوق السماوات ، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ ، ورؤيته لما رآه من الآيات ، والجنة والنار ، والملائكة والأنبياء في السماوات ، والبيت المعمور ، وسدرة المنتهى وغير ذلك معروف متواتر في الأحاديث ، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله ، يظهر به تحقيق قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٥٣] .

فالدرجات التي رفعها محمد ليلة المعراج وسيرفعها في الآخرة كالمقام المحمود

الذي يغبطه به الأولون والآخرون الذي ليس لغيره مثلها .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وأبي ذر ومن رواية ابن عباس ، وأبي حبة الأنصاري وغيرهم .

فروى أنس (١) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى بصره ، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء . قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : اخترت الفطرة » ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . قال : ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، قال : ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ، ويحيي بن زكريا عليهما السلام ، فرحبا بي ودعوا لي بالخير .

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى

---

(١) صحيح

رواه مسلم في كتاب « الايمان » باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ...» (١/١٤٥: ١٤٨ ح ١٦٢) رقم خاص ٢٥٩

شطراً من الحسن ، قال : فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أوقد بعث إليه : قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس صلى الله عليه وسل فرحب بى ودعا لى بخير : قال الله عز وجل : ﴿ ورفعناه مكاناً عليًّا ﴾ .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، فقيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون عليه السلام . فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسند ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها .

فأوحى الله ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة .

فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين

صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك . فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربى فقلت : رب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمساً

فرجعت إلى موسى عليه السلام ، فقلت : حط عنى خمساً . قال : فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم أزل أرجع بين يدى ربى تبارك وتعالى وبين يدى موسي عليه السلام حتى قال لى : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها : كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

وفى رواية قال : (١) فأتيت فانطلق بى إلى زمزم فشرح عن صدرى ثم غسل بماء زمزم ، ثم أنزلت طست من ذهب ، مملوءة حكمة وإيماناً ، فحشى بها صدرى .

---

(١) من رواية أنس عن « مالك بن صعصعة » وهو حديث متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار» باب « المعراج » (٢٤١/٧، ٢٤٢ ح ٣٨٨٧)

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ...» (١٤٩/١ : ١٥٠ ح ١٦٤) رقم خاص ٢٦٤

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الصلاة » باب « فرض الصلاة » (١٣٨/١ : ١٤٠ ح ٣١٣)

وفى رواية(١) « فشق من النحر إلى مرافق البطن » وقال عن البيت المعمور فقلت : ما هذا ؟ قال بناء بناه الله لملائكته يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يقدسون الله ويسبحونه ؛ لا يعودون إليه .

وفى حديث أبى ذر(٢) « فنزل جبريل فشرح صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئنا إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا افتح ، قال من هذا ؟ قال جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما علونا السماء ، فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، قال فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى . قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، قال : قلت يا جبريل من هذا ؟ قال آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار .

قال الزهرى : وأخبرنى ابن حزم عن ابن عباس وأبى حبة الأنصارى يقولان :

---

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « بدء الخلق » باب « ذكر الملائكة » (٣٤٨/٦ : ٣٥٠ ح ٣٢٠٧)

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ...» (١٤٩/١: ١٥١ ح ١٦٤) رقم خاص ٩٦٥

(٢) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « الصلاة » باب « كيف فرضت الصلاة » (٥٤٧/١، ٥٤٨ح ٣٤٩)

ورواه أيضًا برقم (١٦٣٦ ، ٣٤٣٢)

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ...» (١٤٨/١.١٤٩ح١٦٣)

ورواه النسائى فى كتاب « الصلاة » باب « فرض الصلاة » (١٤٠/١ ح ٣١٤)

قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام .

وفى صحيح مسلم ، عن عبد الله بن مسعود قال (١) : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السابعة ، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها ، فيقبض منها قال : ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال : فراش من ذهب ، قال : فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : ١ - أعطى الصلوات الخمس ، ٢ - وأعطى خواتيم سورة البقرة ، ٣ - وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات وعنه فى قوله عز وجل : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى جبريل فى صورته وله ستمائة جناح .

وفى الصحيحين ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٢) : « لما كذبتنى قريش ، قمت فى الحجر ، فجلى الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

---

(١) صحيح
رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « فى ذكر سدرة المنتهى » (١/١٥٧ ح ١٧٣)
ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة النجم » (٩/ ١٦٣ : ١٦٥ ح ٣٣٣٠)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الصلاة » باب « فرض الصلاة » (١/١٤٠ ، ١٤١ ح ٣١٥)
(٢) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « مناقب الأنصار » باب « حديث الإسراء ...» (٧/٢٣٦ ح ٣٨٨٦)
ورواه أيضاً برقم (٤٧١٠)
ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « ذكر المسيح بن مريم المسيح الدجال » (١/١٥٦ح ١٧٠)
ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة بنى إسرائيل » (٨/٥٦٦ح ٥١٤٠)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة الإسراء » (٦/٣٧٧ ح ١١٢٨٢)

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتنى فى الحجر ، وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ، ما كربت مثلها قط » قال « فرفعه الله إلى أنظر إليه ، ما يسألونى عن شئ إلا أنبأتهم به » .

قلت : وصعود الآدمى ببدنه إلى السماء قد ثبت فى أمر المسيح ، عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه صعد إلى السماء ، وسوف ينزل إلى الأرض .

وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين ، فإنهم يقولون : إن المسيح صعد إلى السماء ببدنه وروحه ، كما يقوله المسلمون ، ويقولون : إنه سوف ينزل إلى الأرض أيضاً ، كما يقوله المسلمون ، كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الصحيحة .

لكن كثيراً من النصارى يقولون : إنه صعد بعد أن صلب ، وأنه قام من القبر وكثيراً من اليهود يقولون : إنه صلب ، ولم يقم من قبره .

وأما المسلمون ، وكثير من النصارى ، يقولون : إنه لم يصلب ، و لكن صعد إلى السماء بلا صلب .

والمسلمون ومن وافقهم من النصارى ، يقولون : إنه ينزل إلى الأرض قبل القيامة ، وإن نزوله من أشراط الساعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكثيراً من النصارى يقولون : إن نزوله هو يوم القيامة ، وإنه هو الله الذى يحاسب الخلق .

وكذلك إدريس صعد إلى السماء ببدنه ، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلى السماء ببدنه .

---

(١) صحيح

رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال » (١/ ١٥٦ ، ١٥٧ ح ١٧٢)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير» باب « ومن سورة الإسراء (٦/ ٣٧٧ ح ١١٢٨٤)

ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان : أحدهما : أن الجسم الثقيل لا يصعد ، وهذا فى غاية الضعف ، فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار فى أمور متعددة ، مثل عرش بلقيس الذى حمل من اليمن إلى الشام فى لحظة ، لما قال سليمان : ﴿ يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين * قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم * قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ [سورة النمل : ٣٨ : ٤١] ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره ، لما كان يحمل البساط فى الهواء ، وهو جالس عليه بأصحابه .

ومثل حمل قرى « لوط » ثم إلقائها فى الهواء ، ومثل المسرى إلى بيت المقدس الذى ظهر صدق الرسول بخبره .

ورجال كثيرون فى زماننا وغير زماننا يحملون من مكان إلى مكان فى الهواء ، وهذا مما تواتر عندنا ، وعند من يعرف ذلك .

وأيضاً فمعلوم أن النار والهواء الخفيف تحركه قسرية ، فيهبط ، والتراب والماء الثقيلان ، يحركان حركة قسرية ، فيصعد ، وهذا مما جرت به العادة .

والشبهة الثانية : ظن بعض المتفلسفة ، كأرسطوا وشيعته ، أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق ، وحجتهم على ذلك فى غاية الضعف ، فإنهم قالوا : لو كانت تقبل الانشقاق ، لكان المحدد للأفلال المحرك لها ، يتحرك حركة مستقيمة والحركة المستقيمة تحتاج إلى خلاء خارجة العالم ، ولا خلاء هناك .

وهذه الحجة فاسدة من وجوه :

منهما : أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى ، لا فيما دونه ، كفلك القمر وغيره ، وهذا مما أجابهم به الرازي وغيره .

ومنها : أن وجود الأجسام خارج الفلك ، كوجود الفلك في حيزه .

فقول القائل : إن ذلك يحتاج إلى خلاء ، كقوله : إن وجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء ، وقوله بنفي الخلاء على حيزه .

فإن كان الخلاء عدماً محضاً ، فهو منتف في الجانبين وإن قيل : أنه أمر وجودي ، ولزم أن يحتاج إليه في الموضعين ، وحينئذ فيبطل القول بنفيه وبهذا يظهر جوابهم عن إنكارهم انشقاق القمر ، فإن عمدتهم فيه ، أن الفلك لا يقبل الانشقاق ، وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا ، وتواترت عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات وإيضاح الرد على هؤلاء ، أن ما يثبتونه من أن الحركة لا بد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات ، إنما يدل على الافتقار إلى جنس المحدد لا يدل على الاحتياج إلى محدد معين .

فإذا قدر أنه خلق وراء المحدد محدداً آخراً وخرق الأول ، حصل به المقصود .

وهكذا عامة أدلتهم إنما تدل على شيء مطلق ، ولكن يعينونه بلا حجة ، فيغلطون في التعيين ، كدليلهم على دوام الفاعلية أو الحركة أو زمانها فإن ذلك لا يدل على الحركة الفلكية ، وأن الزمان هو مقدار الحركة ، بل إذا كان الله قد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل ، لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض هي مقدار حركة الشمس التي هي مما خلق في تلك الأيام .

بل قد أخبر أنه كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض ، وأخبر أنه خلق السموات من دخان ، وهو بخار الماء .

فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة ، حركات أخر لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة ، لم يكن هذا مناقضاً لما دل عليه العقل .

وكذلك ما يذكرونه من قدم العالم .

فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما أخبرت به الرسل ، ولكن قد تناقض بعض ما يظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل ، كما قد بسط في غير هذا الموضع.

والنوع الثاني : آيات الجو ، كاستسقائه صلى الله عليه وسلم واستصحائه وطاعة السحاب في حصوله ، وذهابه بدعائه صلى الله عليه وسلم ، ونزول المطر بدعائه .

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك : أن رجلا دخل المسجد في يوم جمعة ، من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، ثم قال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : (١) « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » .

قال أنس : ولا والله ، ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وإن السماء لمثل الزجاجة ، وما بيننا وبين سلع من دار ، فوالذى نفسى بيده ، ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته .

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الجمعة » باب « الإستقاء فى الخطبة يوم الجمعة » (٤٧٩١/٢ ، ٤٨٠ ح ٩٣٣)

ورواه أيضابرقم (٩٣٢ مختصراً ، ١٠١٣ : ١٠١٩ ، ١٠٢١ ، ١٠٣٣ ، ٣٥٨٢، ٦٠٩٣ ، ٦٣٤٢)

ورواه مسلم فى كتاب « صلاة الإستسقاء » باب « الدعاء فى الإستسقاء »(٦١٢/٢ : ٦١٥ ح ٨٩٧)

ورواه أبو داود فى كتاب « الصلاة » باب « رفع اليدين فى الاستسقاء » (٤ / ٣٧ ، ٣٨ ح ١١٦٢)

ورواه النسائى فى كتاب « الاستسقاء » باب « حتى يستسقى الامام » (١٥٤/٣, ١٥٥) (١٥٩/٣:١٦٢)

وفى رواية أخرى : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ، ثم أمطرت ، قال : فلا والله ما رأيت الشمس سبتاً .

قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله أن يمسكها عنا .

قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » .

قال : فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة فى مثل الجوبة ، وسال الوادى قناة شهراً ، ولم يجئ أحد إلا أخبر بجود » .

ومن هذا الباب نصر الله له بالريح التى قال فيها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليكم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٩] .

قال مجاهد :(١) يعنى ريح الصبا ، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورها على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم جنوداً لم تروها (يعنى الملائكة) .

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (٢) :

---

(١) رواه ابن جرير فى « تفسيره » (٨١/٢١) ، ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٤٤٨/٣)
وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٨٥/٥) للفريانى وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والشيخ فى العظمة والبيهقى فى الدلائل »

(٢) متفق عليه
رواه البخارى فى كتاب « الاستسقاء » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا » (٦٠٤/٢ ح ١٠٣٥)
ورواه أيضاً برقم (٣٢٠٥ ، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)

=

« نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور » .

وفى المغازى والسير والتفسير قصة الأحزاب ، كيف أرسلت عليه الريح الملائكة وانهزموا بغير قتال معروف .

والنوع الثالث : تصرفه فى الحيوان - الإنس والجن والبهائم .

فروى عن عبد الله بن جعفر قال :(١) أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأسر إلى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس .

قال : وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل ، فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح رأسه وذفراه فسكن ، ثم قال : « لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار فقال هو لى يا رسول الله . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلى تجيعه وتذييه » روى مسلم بعضه ، وبعضه على شرطه ، ورواه أبو داود وغيره .

=ورواه مسلم فى كتاب « صلاة الاستسقاء » باب « فى ريح الصبا والدبور » (٦١٧/٢ ح ٩٠٠)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ (٤٥١/٦ ح ١١٤٦٧) ورواه أيضاً برقم (١١٥٢٦، ١١٥٥٦)

(١) صحيح
رواه مسلم فى كتاب « الحيض » باب « ما يستتربه لقضاء الحاجه » (١//٢٦٨، ٢٦٩ح ٣٤٢) مختصراً
ورواه مسلم أيضًا مختصر ًا فى كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضائل عبد الله بن جعفر » (١٨٨٦/٤ح٢٤٢٩)
ورواه أبو داود فى كتاب « الجهاد » باب « ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٢٢١/٧، ٢٢٢ ح ٢٥٣٢)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الطهارة » باب « الارتياد للغائط والبول » (١/ ١٢٢ ، ١٢٣ ح ٣٤٠)

وروى الإمام أحمد ، والدارمى وغيرهما عن جابر قال :(١) أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر ، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه ، فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير ، فجاء واضعاً مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه .

قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطامه ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه » قال : ثم التفت إلى الناس فقال : « إنه شئ بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس » .

وروى الطبرانى عن جابر قال : خرجنا فى غزوة ذات الرقاع ، حتى إذا كنا بحرة واقم ، عرضت امرأة بدوية بابن لها فجاءت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان قال (٢) « فادنيه منى » فأدنته منه . فقال : « افتحى فمه » ففتحته ، فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اخسأ عدو الله وأنا رسول الله » قالها ثلاث مرات ، ثم قال « شأنك بابنك ، ليس عليه بأس ، فلن يعود إليه شئ مما كان يصيبه » .

وذكر قصة الشجرتين ، إلى أن قال : ثم خرجنا ، فنزلنا منزلا صحراء ديمومة ،

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣١٠)
ورواه الدارمى فى « المقدمة » باب « ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من ايمان الشجر به والبهائم والجن » (١/ ٢٤ ح ١٨) ورواه البزار كما فى «كشف الأستار» (٣/ ١٥٠ح ٢٤٥٢) ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٢/ ٤٩١، ٤٩٢ح ٢٧٩)
وقال الهيثمى في « المجمع » (٩/ ٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات وفى بعضهم ضعف .
(٢) قال الهيثمى فى « المجمع » (٩/ ٧: ٩) : قلت فى الصحيح بعضه رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار باختصار كثير ، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات »

ليس فيها شجرة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر « يا جابر انطلق فانظر لى مكاناً ، يعنى للوضوء فخرجت أنطلق فلم أجد إلا شجرتين مفرقتين لو أنهما اجتمعتا سترتاه » .

فرجعت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ، والله ما رأيت شيئاً سترك إلا شجرتين مفرقتين ، ولو أنهما اجتمعتا سترتاك .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انطلق إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اجتمعا » .

قال : فخرجت فقلت لهما ، فاجتمعتا حتى كأنهما فى أصل واحد .

ثم رجعت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى حاجته ، ثم رجع فقال ائتهما فقل لهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما : ارجعا كما كنتما كل واحدة إلى مكانها .

فرجعت فقلت لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما « ارجعا كما كنتما » فرجعتا .

ثم خرجنا فنزلنا فى واد بنى محارب ، فعرض له رجل من بنى محارب يقال له « غورث بن الحارث » والنبى صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه ، فقال يامحمد أعطنى سيفك هذا ، فسله إياه ونظر إليه ساعة ، ثم أقبل على النبى صلي الله عليه وسلم فقال : يامحمد من يمنعك منى ؟ فارتعدت يده حتى سقط السيف من يده ، فنازله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا غورث من يمنعك منى ؟ » قال لا أحد .

قال ثم أقبلنا راجعين ، فجاء رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعش طير يحمله ، وفيه فراخ وأبواه يتبعانه ويقعان على يد الرجل ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على من كان معه ، فقال « أتعجبون بفعل هذين الطيرين بفراخهما ؟ »

زاد فى رواية « فربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفراخه » .

ثم أقبلنا راجعين ، حتى إذا كنا بحرة واقم ، عرضت لنا المرأة التى جاءت بابنها برطب ولبن شاه ، فأهدته له فقال « ما فعل ابنك ، هل أصابه شئ كما يصيبه ؟ » قالت : لا ، والذى بعثك بالحق ، ما أصابه شئ مما كان يصيبه وقبل هديتها .

ثم أقبلنا حتى إذا كنا بمهبط من الحرة ، أقبل جمل يرفل ، فقال : « أتدرون ما قال هذا الجمل ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « هذا جمل جاء يستعدى على سيده ، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين ، حتى أجربه وأعجفه ، وكبر سنه أراد نحره ، اذهب معه يا جابر إلى صاحبه فائت به » فقلت : ما أعرف صاحبه يارسول الله . قال « إنه سيدلك عليه » .

قال فخرج بين يدى معنقا ، حتى وقف بى فى مجلس بنى خطمة ، فقلت : أين رب هذا الجمل ؟ قالوا : فلان .

فجئته فقلت : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معى حتى جاء إلي النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « إن جملك هذا يستعدى عليك ، يزعم أنك حرثت عليه زماناً حتى أجربته وأعجفته ، وكبر سنه ، ثم أردت نحره » .

فقال : والذى بعثك بالحق ، إن ذلك لكذلك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبيعنيه » قال نعم ، يارسول الله فابتاعه منه ، ثم سيبه فى الشجر حتى نصب سناما ، فكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شئ أعطاه إياه ، فمكث بذلك زماناً .

وهذا الحديث له شواهد ، أخرج أهل الصحيح منه قصة الشجرتين ، وقصة الذى شهر السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة الطير رواه أبو داود الطيالسى ، وقصة الصبى ، ذكرها غير واحد .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن يعلى بن مرة الثقفى قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بينما نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ، ووضع جرانه بالأرض ، فوقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال :(١) « أين صاحب هذه البعير ؟ » فجاءه فقال : « بعنيه » فقال : بل أهبه لك يا رسول الله .

فقال : « لا ، بل بعنيه » فقال : بل نهبه لك ، وهو لأهل بيت ، ما لهم معيشة غيره .

فقال : « أما إذا ذكرت هذا من أمره ، فإنه يشتكى إلى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه » وفى رواية « أنهم أرادوا نحره » .

ثم سرنا من منزلنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل لهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما أن تجتمعا » .

فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها ، فالتفتا جميعاً فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته من ورائهما ، ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بأمره .

وأتته امرأة بصبى لها به لمم فقالت يارسول الله ، إن ابنى هذا ، به لمم منذ سبع سنين ، يأخذه فى كل يوم مرتين ، فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى فيه ، وقال «

---

(١) رواه أحمد (٤/١٧٠، ١٧١ ، ١٧٢، ١٧٣)
ورواه الطبراني فى الكبير (٢٢/٢٦١ ، ٢٧٢ ح ٦٧٢)
ورواه أيضًا برقم (٦٧٩ ، ٦٨٠) بإسنادين والطبرانى بنحوه .
وقال الهيثمي في « المجمع » (٦١٩) : « رواه أحمد بإسنادين والطبرانى بنحوه ، وأحمد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح ، وقال الطبرانى في إحدى رواياته فمر عليه بعير ما بجرانه ...»
ورواه ابن ماجه مختصراً فى كتاب « الطهارة » باب « الارتياد للغائط والبول » (١/١٢٢ ح ٣٣٩)

أخرج عدو الله ، أنا رسول الله » فبرئ .

فلما رجعنا ، جاءت أم الغلام بكبشين وشئ من أقط ، قالت : والذى بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً ، فأخذ أحد الكبشين والأقط ، ورد الكبش الآخر .

وروى هذه القصة ، أبو يعلى الموصلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنه (١) ، ورواه الحاكم فى صحيحه قال فيه :(٢) سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت منه عجباً ، وذكر الحديث .

وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمرأة لما أخرج الشيطان من ابنها : « إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع » رواه الدارمى أيضاً .

وروى الدارمى عن ابن عباس (٣) أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت يا رسول الله إن ابنى به جنون ، وإنه يأخذه عند غدائنا

---

(١) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٦/٢٤:٢٦)
ورواه أبو نعيم « فى الدلائل » (٢/٥٠٧ ، ٥٠٨ ح ٢٩٨)وقال ابن هجر فى « المطالب » (٤/١٠ ح ٣٨٣٠) : رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن ، فيه ضعف ، ولكن له شاهد عن طريق يعلى عند أحمد »
(٢) رواه الحاكم (٢/٦١٧، ٦١٨) وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة » ووافقه الذهبى
(٣) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب« ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه سلم من إيمان الشجر به ...» (١/٢٤ح ١٩)
رواه أحمد (١/٣٣٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨)
ورواه الطبرانى فى « الكبير » (١٢ /٥٧ح ١٢٤٦٠)
وقال الهيثمى فى « المجمع » ٩/٢/ رواه أحمد والطبرانى وفيه فرقد السبخى وثقة ابن معين والعجلى وضعفه غيرهما .
والحديث له شواهد من حديث جابر وأسامه بن زيد ويعلى بن مرة

وعشائنا فيخبث علينا ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، فثع ثعة خرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي .

وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فدخل رجل غيطه فأخرج منها بيض حمره ، فجاءت الحمره ترف على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال :(١) « أيكم فجع هذه » فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها ، فقال : « رده رحمة لها » .

وروى الحاكم في صحيحه عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٢) ركبنا البحر في سفينة ، فانكسرت السفينه ، فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني في أجمة فيها أسد ، فلم يرعني إلا به فقلت : « يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فطأطأ رأسه وغمر بمنكبه شقي ، فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق ، فلما وضعني على الطريق همهم فظننت أنه يودعني .

وروى الإمام أحمد في مسنده ، وأبو يعلى الموصلي عن عائشة قالت :(٣) « كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، إذا خرج رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح
ورواه أبو داود في كتاب « الجهاد » باب « في كراهية حرق العدو بالنار » (٣٣٤/٧، ٣٣٥ ح ٢٦٥٨)
ورواه أيضاً في كتاب « الأدب » باب « في قتل النذر » (١٧٩/١٤: ١٨١ ح ٥٣٤٦)
رواه أبو داود الطيالس في « مسنده » (٤٤/٢ ح ٣٣٦)
ورواه البيهقي في « الدلائل » (٣٢/٦ ، ٣٣) وصححه الألباني كما في « صحيح أبي داود » (٢ / ٥٠٨ ، ٥٠٩ ح ٢٣٢٩)
(٢) رواه الحاكم (٢/ ٦١٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي
ورواه أيضاً (٦٠٦/٣) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي
.ورواه البيهقي في « الدلائل »(٤٥/٦ ، ٤٦)
(٣) رواه أحمد (١١٢/٦، ١١٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٩)
ورواه أبو يعلى في « مسنده » (٧ / ٤١٨ ح ٤٤٤١)

عليه وسلم اشتد ولعب وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض ، فلم يترمرم كراهية أن يؤذيه » ولفظــه للإمام أحمــد ، ورواه أبو نعيم .

وروى عنها أحمد أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من المهاجرين والأنصار ، فجاء بعير فسجد له فقال : (١) « اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنتقل من جبل أصفر إلى جبل أسود و ومن جبل أسود إلى جبل أبيض ، كان ينبغي لها أن تفعله » رواه الإمام أحمد عن عفان ، وابن ماجة (٢) ، بعضه عن أبى بكر بن أبي شيبة عن عفان قال : ثنا حماد بن سلمه ثنا أبى ثنا على بن يزيد ثنا سعيد عن عائشة ، وقصة هذا الجمل رواها جماعة من الصحابة (٣) .

=ورواه أيضًا برقم (٤٦٦٠) ، ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٢/ ٤٩١ح ٢٧٧)
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٣١/٦) ، ورواه البزار كما فى « كشف الأستار » (١٥٠/٣ ح ٢٤٥)
وقال الهيثمي في « المجمع » (٤/٩) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح »

(١) رواه أحمد (٧٦/٦)
ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٤٩١/٢ح ٢٧٨) مختصراً وقال الهيثمى فى « المجمع » (٤/ ٣١٠) : « قلت روى ابن ماجه بعضه بغير سياقه - رواه أحمد وفيه على بن زيد وحديثه حسن وقد ضعف »

(٢)رواه ابن أبي شيبة فى « مسنده »(٣٩٨/٣ح ١٣)
ورواه ابن ماجه عن ابن أبى شيبه فى كتاب « النكاح » باب« حق الزوج على المرأة (١/ ٥٩٥ح ١٨٥٢)
وقال البوصيرى فى الزوائد : (٦٧/٢ ح ٦٥٦)
« هذا إسناد ضعيف لضعف على بن زيد بن جدعان رواه أبو بكر بن أبى شعيبه فى مسنده بزيادة فى أوله وله شاهد من حديث طلق بن على رواه الترمذى والنسائى وشاهد آخر من حديث أم سلمة رواه الترمذى وابن ماجه »

(٣) هذه القصة رواها جماعة من الصحابة مثل « جابر بن عبد الله وعبد الله أبى أوفى وأنس وابن عباس . وانظر فى ذلك « دلائل النبوة للبيهقى» (٢٨/٦ : ٣٠)ودلائل النبوة لأبى نعيم (٤٩١/٢ : ٤٩٨)

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال :(١) عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال « ألا تتقى الله تنزع منى رزقًا ساقه الله إلى ؟ فقال : ياعجبًا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ؟

فقال الذئب : « ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق » .

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزارها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال

---

(١) رواه أحمد (٨٣/٣ : ٨٤)
ورواه الترمذى مختصراً فى كتاب « الفتن » باب « ما جاء فى كلام السباع » (٤٠٩/٦ ح ٢٢٧٢)
وقال :
هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم من الفضل والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى.
ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٤١/٦:٤٣) : وقال « هذا إسناد صحيح وله شاهد من وجه آخر عن أبى سعيد رضى الله عنه وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى » (٢٣٦/٢ح ١٧٧٢)
ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٤٨٢/٢، ٤٨٣ ح ٢٧٠) وذكر له شاهداً من حديث أبى هريرة
ورواه البزار كما فى « كشف الأستار » (١٤٣/٣ ح ٢٤٣١) وقال : لا نعلم رواه هكذا إلا القاسم وهو بصرى مشهورا وقد رواه عن أبى سعيد شهر بن حوشب وزاد فيه على أبى نضرة »
ورواه ابن حبان فى صحيحه كما فى « الإحسان » (١٤ / ٤١٨ /٤١٩ ح ٦٤٩٤)
ورواه الحاكم (٤٦٧/٤ ، ٤٦٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى
وقال الهيثمى فى المجمع (٢٢٩/٨) رواه أحمد والبزار بنحوه باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح »

للأعرابى : « أخبرهم » فأخبرهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق والذى نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، ويخبره فخذه ما أحدث أهله بعده » .

وروى الترمذى آخره وصححه ، قال البيهقى : إسناده صحيح وله شاهد من وجه آخر .

ورواه أحمد عن أبى هريرة قال :(١) وكان الراعى يهوديًا فأسلم .

وقال فيه : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى ، وبما هو كائن بعدكم.

وفى الصحيحين عن أنس قال :(٢) كان بالمدينة فزع فاستعار النبى صلى الله عليه وسلم فرسًا لأبى طلحة وكان يقطف فلما رجع قال إن وجدنا فرسكم هذا بحرا

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٠٦)

ورواه أبو نعيم فى « الدلائل » (٢/٤٨٣ ، ٤٨٤ح ٢٧١) وقال الهيثمى فى « المجمع » (٨/٢٩٢) : رواه أحمد ورجاله ثقات وهو فى الصحيح باختصار »

(٢) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « الهبة »باب « من استعار من الناس الفرس » (٥/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ ح ٢٦٢٧)

ورواه أيضًا برقم (٢٨٢٠، ٢٨٥٧، ٢٨٦٢، ٢٨٦٦ ، ٢٦٧، ٢٩٠٨، ٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٣٠٤٠، ٦٠٣٣، ٦١٢)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب» (٤/١٨٠٢ ، ١٨٠٣ ح ٢٣٠٧)

برقم خاص (٤٩)

ورواه أبو داود فى كتاب « الأدب » باب ما روى فى الترخيص فى ذلك » (١٣/٣٣٢ ح ٤٩٦٧)

ورواه الترمذى فى كتاب « الجهاد » باب « ما جاء فى الخروج عند الفزع » (٥/٣٣٢ح ١٧٣٦) –

وكان بعد ذلك لا يجارى.

وفى الصحيحين ، عن سلمة بن الأكوع (١) ، وسهل بن سعيد (٢) ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر : أنه أرسل إلى على وهو أرمد العين فقال : « لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » فبصق فى عينيه فبرئ ، كأن لم يكن به وجع قط ، أعطاه الراية فقال على : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيهم فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه قتادة بن النعمان :(٣) أنه أصيبت عينه فى الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فسالت على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : « لا » ودعاه وغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

—وقال وفي الباب عن عمرو بن العاص

(١) متفق عليه

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « ما قيل فى لواء النبى صلى الله عليه وسلم » (١٤٧/٦ ح ٢٩٧٥)

ورواه أيضاً برقم (٣٧٠٢، ٤٢٠٩)

ورواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » (١٨٧٢/٤ ح، ١٨٧٣ ح٢٤٠٧)

(٢) سبق تخريجه واللفظ « لسهل بن سعد »

(٣) رواه ابن إسحاق كما فى « سيرة ابن هشام » (١١٩/٣) وهذا الخبر صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع

ورواه الحاكم (٢٩٥/٣) وقال « محمد بن عمر وسكت عنه الذهبى

ورواه البيهقى فى « الدلائل » : (٩٩/٣ ، ١٠٠ ، ٢٥١، ٢٥٢)

ورواه الطبرانى فى « الكبير » (٨/١٩ح ١٢)

وقال الهيثمى فى « المجمع (١١٣/٦) : « رواه الطبرانى وفيه لم أعرفه »

وفى رواية « فرفع حدقته حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته وقال « اللهم اكسبها جمالا ، فمات وما يدرى من لقيه أى عينيه أصيبت » رواه عنه أهل المغازى

وأنشد (١) ولده بحضرة عمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، وأقره من حضر ولم ينكره

أنا ابن الذى سالت على الخد عينيه ‏ ‏ ‏ وردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأحسن حالها ‏ ‏ ‏ فياحسن ما عين وياحسن مارد

فلو أنه كان معروفًا عند التابعين لم يقروه ، وهم إنما تلقوا هذا عن الصحابة .

وفى صحيح البخارى عن البراء بن عازب قال :(٢) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل .

قال : فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأن يقضى حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل ، فإنى أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت .

فلما دخل الناس أغلق الباب ثم أغلق الأغاليق على ودخل .

---

(١) ذكره ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٢٩١/٣) وأعاده (٣٤/٤)

(٢) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد » باب « قتل النائم المشرك » (١٧٩/٦ ، ١٨٠ ح ٣٠٢٢)

ورواه أيضًا برقم (٤٠٣٩ ، ٤٠٤٠) كاملاً

ورواه مختصراً برقم (٣٠٢٣ ، ٤٠٣٨)

قال فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده ، وكان فى علالى له ، فلما ذهبت عنه أهل السمرة ، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت على من داخل قلت : إن القوم لو نذروا بى لم يخلصوا إلى حتى أقتله فانتهيت إليه ، فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله ، لا أدرى أين هو من البيت .

قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنت شيئًا وصاح .

فخرجت من البيت ، فمكثت غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟.

فقال : لأمك الويل ، وإن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف .

قال فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله ،ثم وضعت صيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره ، فعلمت أنى قد قتله ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا ، حتى انتهيت إلى درجة ، فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامتى ، ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت : لا أبرح حتى أعلم ، أقتلته أم لا ؟ فلما صاح الديك قام الناعى على السورينعى أبا رافع فانطلقت إلى أصحابى فقلت : النجا النجا قتل الله أبا رافع .

قال فانتهينا إلي النبى صلى الله عليه وسلم وحدثناه فقال : « أبسط رجلك » فبسطها فمسحها فكأنما لم يشكها قط .

وفى البخاري عن يزيد بن أبى عبيدة قال :(١) رأيت فى ساق سلمة بن ألاكوع أثر ضربة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتنى يوم خيبرفقال الناس : أصيب سلمة ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « غزوة خيبر» (٥٤٢/٧ ح ٤٢٠٦)

عليه وسلم فنفث فيه ثلاثة نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة .

وفى الترمذى وغيره عن عثمان بن حنيف :(١) أن رجلا ضريراً أتى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : ادع الله تعالى أن يعافينى . قال : « إن شئت صبرت فهو خير لك ، وإن شئت دعوت الله » قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلى ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه اللهم فشفعه فى .

وفى رواية قال :(٢) « يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق على » وذكر الحديث فقال عثمان : « والله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط » . قال : الترمذى : حديث صحيح .

وفى النوع الثالث آثاره فى الأشجار والخشب

---

(١) « صحيح»

رواه الترمذى فى كتاب « الدعوات » باب (١٢٣) (١٠ / ٣٢ ،٣٣ح٣٦٤٩) وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى جعفر وهو غير الخطمى »

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب «عمل اليوم والليلة » باب « ذكر حديث عثمان بن حنيف » (٦/١٦٨،٦٩) ١٠٤٩٤:١٠٤٩٦)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الصلاة » باب « ما جاء فى صلاة الحاجة » (١/٤٤١ح ١٣٨٥) وصححه الألباني كما فى « صحيح ابن ماجه » (١/٢٣١،٢٣٢ح ١١٣٧)

(٢) هذه الرواية بلفظها رواها البيهقى فى الدلائل (٦/١٦٧) ورواها النسائى فى إحدى رواياته السابقه دون ذكر الشاهد .

ورواه الحاكم (١/١٥٦،٥٢٧) وقال :« هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال :(١) كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع المنبر وكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت

وفى رواية (٢) « فصاحت النخلة صياح الصبى » .

وفى الصحيحين عن جابر : أن امراة من الأنصار قالت:(٣) يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه ، فإن لى غلامًا نجارا ؟ قال : « إن شئت » قال : فعملت له المنبر.

فلما كان يوم الجمعة ، قعد النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر الذى صنع له فصاحت النخلة التى كان يخطب عليها ، حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبى الذى أخذ يسكت حتى استقرت .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر قال :(٤) سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديًا أفيح ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته

---

(١) « صحيح»

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الاسلام» (٦/٦٩٦ح٣٥٨٥)

ورواه مختصراً فى كتاب « الجمعة » باب « الخطبة على المنبر» (٢/٤٦١ ح ٩١٨)

(٢) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٦٩٦ح٣٥٨٤)

(٣)نفس الرواية السابقة

(٤)«صحيح»

رواه مسلم فى كتاب « الزهد» باب «حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر » (٤/ ٢٣٠٦، ٢٣٠٧ ح ٣٠١٢)

، فاتبعته بأدواة من ماء ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ير شيئًا يستر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصنين من أغصانها فقال : « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف فيما بينهما فلئم بينهما حتى جمع بينهما ، فقال « التئما على بإذن الله تعالى » فالتأمتا عليه فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربى ، فتباعدت فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة ، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق ، وذكر الحديث .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل من بنى عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :(١) يا رسول الله ، أرنى الخاتم الذى بين كتفيك ، فإننى من أطب الناس قال « ألا أريك آية ؟ » : قال : بلى فنظر إلى نخلة فقال : « ادع ذلك العذق » فجاء ينفر حتى قام بين يديه . فقال له « ارجع » فرجع .

فقال العامرى يا آل بنى عامر ، « ما رأيت أسحر منه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، ورواه الدارمى أيضًا قال :(٢) فجاءت النخلة تنفر بين يديه ثم قال لها « ارجعى » فعادت إلى مكانها .

وفى رواية الترمذى :(٣) جـــاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣/١) ورواه أيضاً البيهقى فى الدلائل (١٦/٦) وانظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢٤/٦)

(٢)رواه الدارمى فى « المقدمة» باب « ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم »(٢٦/١ح٢٤)

(٣) رواه الترمذى فى كتاب « المناقب» باب (٢٨) (١٠١/١٠-١٠٢ح٣٧٠٧) وقال :« هذا حديث حسن غريب صحيح »

=

فقال : بم أعرف إنك نبى ؟ قال « إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة ، أتشهد أنى رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال : نعم ، فـدعـاها رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فـجعل ينزل مـن النخلة حتى سـقط إلى النبى صلى اللـه عليه وسلم ثم قـال « ارجع » فعادت فأسلم الأعرابى .

وروى الدارمى عن عبـد الله بن عمـر قال :(١) كنا مع رسول الله صـلى الله عليه سلم فى سفر فأقبل أعرابى ، فلما دنا منه ، قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أين تريد ؟

قال : إلى أهلى . قال : « هل لك فى خير ؟ » قال : وما هو ؟ قـال : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محـمداً عـبده ورسوله » قـال : ومن يشهـد على ما تقـول ؟ قال هذه السلمة» فـدعاها رسول الله صلى عليـه وسلم بشاطئ الوادى فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثـلاثا ، فشهدت ثلاثا أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتـها ، ورجع الأعرابى إلى قـومه ، فقـال : إن اتبعونى أتيـتك بهم وإلا رجعت فكنت معك .

= ورواه الحاكم (٢/ ٦٢٠) وقال :« هذاحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى وصححه الألبانى كما فى صحيح الترمذى »(٣/١٩٣ح٢٨٦٨)

(١) رواه الدارمى فى المقدمة باب « ما أكرم الله به النبي صلى الله عليه وسلم ...»(١/٢٢ح١٦)

ورواه الطبرانى فى «الكبير» (١٢/٤٣١، ٤٣٢ح١٣٥٨٢)

ورواه أبو يعلى فى « مسنده »(١٠/٣٤ح٥٦٦٢)

ورواه البزار كما فى « كشف الأستـار»(٣/١٣٣، ١٣٤ح٢٤١١) وقال :«لا نعلم رواه عن ابن عمر بهذا اللفظ وهذا الإسناد إلا محمد بن فضيل ، ولا نعلم أسند أبو حبان عن عطاء إلا هذا الحديث .

ورواه ابن حبان فى «صحيحه » كما فى الإحسان (٤١ / ٤٣٤ ح ٦٥٠٥).

ورواه البيهقى فى « الدلائل » (٦/١٤، ١٥) وقـال الهيثمى فى المجمـع (٨/٢٩٢)

رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

ورواه أبو يعلى أيضاً والبزار

وفى الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن قال : سمعت أبى يقول :(١) سألت مسروقًا من آذن النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال حدثنى أبوك (يعنى عبد الله بن مسعود) أنه قال آذنته بهم شجرة .

وفى الترمذى عن على قال :(٢) كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول : « السلام عليك يا رسول الله » رواه الحاكم فى صحيحه .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال :(٣) جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة ،

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب »باب «ذكر الجهر ..» (٧ / ٢٠٨ ح ٣٨٥٩)
ورواه مسلم فى كتاب «الصلاة » باب «الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجهر» (١/٣٣٢،٣٣٣ ح ٤٥٠ رقم خاص ١٥٣)
(٢) رواه الترمذى فى كتاب « المناقب» باب (٢٧) (١٠/٩٩، ١٠٠ ح ٣٧٠٥) وقال : « هذا حديث من حسن غريب » .
وقد روى غير واحد عن الوليد بن أبى ثور وقالوا عن عباد بن أبى يزيد منهم فروة بن أبى المغراء .
ورواه الدارمي فى « المقدمة » باب « ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ...» (١/٢٥ح٢١)
ورواه الحاكم (٢/٦٢٠) وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .» ووافقه الذهبى .وقد ضعفه الألبانى كما فى « ضعيف سنن الترمذى » (ص ٤٨٦ح٧٤٧)
(٣) رواه أحمد (١١٣/٣)
ورواه ابن ماجه فى كتاب «الفتن » باب« الصبر على البلاء (١٣٣٦/٢ ح ٤٠٢٨) » وقال البوصيرى فى « الزوائد » ٢٤٨/٣٠ح ١٤١٩) :« هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان واسمه طلحة بن نافع سمع من جابر .»
ورواه أبو يعلى الموصلى فى« مسنده » (٣٥٨/٦ح٣٦٨٥)
ورواه أيضاً برقم ،(٣٥٨/٦، ٣٥٩ ح٦٨٦) وقد صححه الألبانى كما فى «صحيح ابن ماجة » (٢ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ ح ٣٢٥٤)

فقال له : « مالك ؟ » فقال « فعل هؤلاء وفعلوا » .

قال : فقال له جبريل : « أتحب أنى أريك آية ؟ » قال : « نعم »

فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال : « ادع تلك الشجرة » فدعاها ، فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال « مرها فلترجع إلى مكانها » فقال لها : « ارجعى »فرجعت حتى عادت إلى مكانها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حسبى » ورواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده

فصــل

والنوع الرابع : الماء والطعام والثمار الذى يكثر ببركته فوق العادة وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر .

أما الماء ، ففى الصحيحين عن أنس (١) أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بماء فأتى بقدح رحراح ، فجعل القوم يتوضئون قال : فحزرت ما بين السبعين إلى الثمانين .

وفى رواية عنه :(٢) أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض مخارجه ،معه أناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون ، فحضرت الصلاة فلم يجدوا ما يتوضئون به فانطلق رجل من القوم ، فجاء بقدح فيه ماء يسير ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح ثم قال : « قوموا فتوضؤا » وكانوا سبعين أو نحوه .

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب « الوضوء » باب« الوضوء من التور» (١ / ٣٦٤ ح ٢٠٠)

ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم » (٤ / ١٧٨٣ح ٢٢٧٩) رقم خاص ٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٦٧٢ح ٣٥٧٤)

وفيهما عن أنس أيضاً :(١) أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء. (والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد ثمة) دعا بقدح فيها ماء ، فوضع فيه كفه فجعل يتبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه قال قلت كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة ، وفى رواية (٢) « بماء لا يغمر أصابعه » .

وفى الصحيحين عنه قال :(٣) رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع فى ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم .

وفى الصحيحين عن جابر قال :(٤) رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حضرت صلاة العصر ، وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل فى إناء فأتى النبى

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب» باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦ /٦٧١، ٦٧٢ ح٣٥٧٢)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم » (٤/١٧٨٣ ح٢٢٧٩رقم خاص٦)

(٢) رواه مسلم فى كتاب «الفضائل » باب « فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم »(٤/١٧٨٣ ح٢٢٧٩رقم خاص ٧)

(٣) « متفق عليه »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام »(٦/٦٧٢ح٣٥٧٣)
ورواه مسلم فى كتاب « الفضائل » باب « فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم » (٤/١٧٨٣ ح٢٢٧٩ رقم خاص٥)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « ٣١ » (١٠ / ١٠٨ ح٣٧١٠) وقال : « وفى الباب عن عمران بن حصين وابن مسعود وجابر .»

(٤)« صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « الأشربة » باب « شرب البركز ...» (١٠/١٠١ح٥٦٣٩)

صلى الله عليه وسلم فأدخل يده فيه ، وفرج أصابعه ثم قال : « حى على الوضوء والبركة من الله» فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه فعلمن إنه بركة .

قلت لجابر : كم كنتم يؤمئذ ؟ قال ؟ ألف وأربعمائة .

وفى صحيح البخارى عن جابر أيضًا قال :(١) عطش الناس يوم الحديبية والنبى صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ ، فجهش الناس نحوه قال : « مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يدَه في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشر مائة .

وفى البخارى عن البراء بن عازب قال :(٢) تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشر مائة و الحديبية بئر ، فنزحناها ،فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء ، فتوضأ ، ثم تمضمض ، ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شيئا نحن وركابنا ، وكنا ألفًا وأربعمائة ، أو أكثر من ذلك .

وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال :(٣) قدمنا الحديبية مع رسول الله

---

(١) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٦٧٢ح٣٥٧٦)
ورواه أيضاً برقم (١٥٢)
ورواه مختصراً برقم (٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠)

(٢) « صحيح »
رواه البخارى فى كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام »(٦/٦٧٣ح٣٥٧٧)
ورواه أيضاً برقم (٤١٥٠، ٤١٥١)

(٣) « صحيح » رواه مسلم فى كتاب «الجهاد والسير » باب « غزوة ذى قرد » (٣ / ١٤٣٣ح ١٨٠٧)

صلى الله عليه سلم ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا ترويها ، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية فإما دعا ، وإما بصق فيها .قال : فجاشت فسقينا واستقينا .

وعن ابن عباس قال :(١) دعا النبى صلى الله عليه وسلم بلالا ، فطلب بلال الماء ، ثم جاء فقال : لا والله ما وجدت الماء ، فقال صلى الله عليه وسلم «فهل من شن ماء » فأتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت من يده عين : فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ .

وعن جابر عن عبد الله قال : (٢) غزونا أو سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن يؤمئذ بضع عشرة ومائتين فحضرت الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل فى القوم من طهور ؟ فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شئ من ماء ، ليس فى القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدح ، ثم توضأ

---

(١) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب « ما أكرم الله النبى صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه » (١/٢٦ح٢٥)

ورواه البزار كما فى كشف « الأستار» (٣/١٣٦، ١٣٧ح٢٤١٥) وقال: « لانعلم أحداً حدث به عن عطاء عن الشعبى إلا خلف ولا نعلم أسند عطاء عن الشعبى إلا هذا »

ورواه أبو كدينة عن عطاء أبى الصحب عن ابن عباس

ورواه الطبرانى فى « الكبير » و «الأوسط » عن عامر الشعبى عن ابن عباس (١٢ / ٨٧ ح١٢٥٦٠) والبزار وأحمد باختصار وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.»

وقال الهيثمى فى« المجمع » (٨/٢٩٩، ٣٠٠): « ورواه أحمد (١/٢٥١، ٣٢٤) وقال أحمد شاكر رحمه الله (٤ /٧٠ ح ٢٢٦٨) :« إسناده ضعيف نصف حديث الأشقر»

ورواه البيهقى فى «الدلائل »(٤/١٢٧، ١٢٨)

(٢) رواه الدارمى فى « المقدمة » باب « ما أكرم الله النبى صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه » (١/٢٧ح٢٦)

ورواه أحمد (٣/٢٩٢، ٣٥٨)

ورواه البيهقى فى الدلائل (٤/١١٧، ١١٨)

فأحسن الوضوء ، ثم انصرف وترك القدح ، فركب الناس ذلك القدح وقالوا : تمسحوا تمسحوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على رسلكم » حين سمعهم يقولون ذلك ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه فى الماء والقدح وقال « بسم الله » ثم قال : « أسبغوا الطهور » فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت العيون الماء تخرج من بين أصابعه ، فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون » رواه الدارمى فى مسنده .

وفى صحيح البخارى عن عبدالله بن مسعود قال :(١) كنا نعد الآيات وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء : « فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : « حى على الطهر المبارك والبركة من الله » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

وروى مسلم فى صحيحه عن معاذ بن جبل ، قال :(٢) خرجنا مع رسول الله

---

(١) رواه البخارى فى كتاب «المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام » (٦/٦٧٩ح٣٥٧٩)
ورواه الترمذى فى كتاب «المناقب » باب «٣٣» (١٠ / ١١٠ ، ١١١ح٣٧١٢)

(٢) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب «الفضائل » باب «فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم » (٤/١٧٨٤، ١٧٨٥ح٧٠٦)
ورواه مختصراً فى كتاب « صلاة المسافرين وقصرها » باب « الجمع بين الصلاتين فى الحضر»(١/٤٩٠ح٧٠٦)
ورواه أبو داود فى كتاب الصلاة » باب « الجمع بين الصلاتين » (٤/٧٢، ٧٣ح١١٩٤)
ورواه النسائى مختصراً فى كتاب « الصلاة » باب « الوقت الذى يجمع فيه المسافر بين الظهر والعصر »(١/٢٨٥)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « إقامة الصلاة ..» باب « الجمع بين الصلاتين فى السفر » (١/٣٤٠ح ١٠٧٠) مختصراً .

صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك ، فكان بجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعًا ، حتى إذا كان يوم أخر الصلاة ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا ، ثم قال : « إنكم ستأتون غدًا - إن شاء الله - عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من ماءها شيئاً حتى آتى » .

فجئناها ، وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل مستما من مائها شيئًا ؟ » قالا : نعم فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ، قال : وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر ، أو قال غزير فاستقى الناس ثم قال : « يوشك - يا معاذ إن طالت بك حياة - أن ترى ماء هاهنا قد ملأ جنانا » .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر الذى رواه عبادة بن الوليد وقد تقدم أوله فى قصة الشجرتين وانقيادهما ثم افتراقهما ووضع الغصن على القبرين ، وقال فى آخره : فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى عليه وسلم (١) « يا جابر ناد بوضوء » فقال : ألا وضوء ، ألا وضوء . قال : قلت يا رسول الله : ما وجدت فى الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فى أشجاب له ، فقال لى : انطلق إلى فلان الأنصارى ، فانظر هل فى أشجابه من شئ ؟ قال : فانطلقت إليه ، فنظرت فيها ، فلم أجد إلا قطرة فى عزلا شجب ، لو أنى أفرغه لشربه يابسه .

---

(١) « صحيح »
رواه مسلم فى كتاب « الزهد » باب «حديث جابر الطويل ..»(٤/٢٣٠٧، ٢٣٠٨ح٣٠١٣)

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عزلا شجب ، لو أني أفرغه لشربه يابسة . قال اذهب فائتني به ، فأتيته فأخذه بيده ، فجعل يتكلم بشئ لا أدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه ، ثم قال يا جابر ، ناد لجفنة الركب ، فقلت يا جفنة الركب ، فأتيت بها تحمل ، فوضعتها بين يديه . فقال رسو ل الله صلى الله عليه وسلم بيده فى الجفنة هكذا ، فبسطها ، وفرق بين أصابعه ، ثم وضعها فى قعر الجفنة فقال : خذ يا جابر فصب علي وقل : بسم الله » فصببت عليه وقلت : بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت . فقال : « يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء » قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ، قال : فقلت : هل بقى أحد له حاجة ؟.

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى .

وفى الصحيحين عن عمران بن حصين قال : (١)كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له ،.فأدلجنا ليلتناحتى إذا كان وجه الصبح ، عرسنا فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس فكان أول من استيقظ منا أبو بكر الصديق ، وكنالا نوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يكون هو الذى يستيقظ ، لأنا لا ندرى ما يحدث له فى نومه ، ثم استيقظ عمر ، فجعل يكبر استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال : ارتحلوا ، فسار بنا حتى ابيضت الشمس . نزل ، فصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا ، فلما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه سلم « ما منعك أن تصلى معنا ؟

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخارى فى كتاب «المناقب » باب « علامات النبوة فى الإسلام »(٦٧١/٦ ح٣٥٧١)

ورواه مسلم فى كتاب « المساجد » باب « قضاء الصلاة الفائتة » (٤٧٤/١ ح :٤٧٦ ح٦٨٢)

» قال أصابتني جنابة ولا ماء . قال له : « عليك بالصعيد فإنه بكفيك » فتيمم بالصعيد فصلى ، ثم عجلني فى ركب بين يديه يطلب الماء ، وقد عطشنا عطشاً شديدا .

فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين ، فقلنا لها : أين الماء ؟ فقالت إيهاه إيهاه ، لا ماءلكم . فقلت : كم بين أهلك و بين الماء ؟ قالت مسيرة يوم وليلة ، قلنا : انطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وما رسول الله ؟فلم نملكها من أمرها شيئًا حتى انطلقنا بها ، فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها فأخبرته مثل الذى أخبرتنا وأخبرته أنها مويمة لها صبيان أيتام .

فأمر براويتها فأنيخت ، فمج فى العزلاوين العلياوين ، ثم بعث براويتها فشربنا ، ونحن أربعون رجلا عطاشا حتى روينا ، وملأنا كل راوية ، وملأنا كل قربة معنا وإداوة ، وغسلنا صاحبنا ، وغير أنا لم نسق بعيراً وهى تكاد تتضرج من الماء يعنى المزادتين ، ثم قال : « هاتوا ما عندكم » فجمعنا لها من كسر وتمر وصرلها صرة ، وقال لها ، اذهبى فأطعمى عيالك ، واعلمى أنا لم نرزأ من مائك شيئًا .

فلما أتت أهلها قالت رأيت أسحر البشر ، أو أنه النبى كما زعم كان من أمره زيت وزيت ، فهدى الله عز وجل هؤلاء القوم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا .

وفى الصحيحين عن أبى قتادة قال :(١) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، تأتون الماء غداً إن شاء الله فانطلق لا يلوى أحد على أحد ، وذكر حديث النوم فى الوادى فقال : ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وضوءا ، دون وضوء وبقى فيها شئ من ماء ، ثم قال : لأبى قتادة : « احفظ علينا ميضأتك فستكون لها نبأ » ، ثم قال : أصبح الناس فقدوا نبيهم

---

(١) رواه مسلم فى كتاب « المساجد » باب « قضاء الصلاة الفائته »(١/٤٧٢:٤٧٤ح٦٨١)

فقال : أبو بكر وعمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم يكن ليخلفكم .

وقال الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم ، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا .

قال : فانتهينا إلى الناس حتى امتد النهار وحمى كل شئ ، وهم يقولون يا رسول الله هلكنان عطشاً فقال : « لا هلك عليكم » ثم قال « اطلقوا لى غمرى » قال : ودعا بالميضأة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن أرى الناس ما في الميضأة تكابوا عليها .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أحسنوا الملاء ، كلكم سيروى » قال : ففعلوا ، فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يصب ، وأسقيهم حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صب رسول الله صلى الله عليه سلم فقال لى : « اشرب » فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال : « إن سا قى القوم آخرهم شربا » فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

قال : فأتى الناس الماء جامين رواء .

قال عبد الله بن رباح إنى لا أحدث بهذا الحديث فى مسجد الجامع إذ قال لى عمران بن حصين انظر كيف تحدث ، فأنا أحدث الركب تلك الليلة فقلت : أنت أعلم . فقال : ممن أنت ؟ قلت من الأنصار . قال أنتم أعلم بحديثكم .

قال عمران : لقد شهدت تلك الليلة ، وما شعرت أحداً حفظه كما حفظتة وفى مسند الإمام أحمد ورواه أبو يعلى الموصلى عن البراء بن عازب قال : (١) « كنا مع

---

(١) رواه أحمد (٢٩٢/٤، ٢٩٧) من طريق «يونس» عن «البراء» .

وروى أبو يعلى نحوه فى « مسنده » من طريق أبى إسحاق عن البراء (٢١٥/٣، ٢١٦ح١٦٥٥)

ورواه الطبرانى فى الكبير من نفس طريق «أحمد» (٢٦/٢ح١١٧٧)

وقال الهيثمى فى « المجمع »(٣٠٠/٨): قلت هو فى الصحيح باختصار كثير فى غزوة الحديبية رواه أحمد والطبرانى ورجالهما « رجال الصحيح » قلت : الحديث الذى يشير إليه الهيثمى تقدم تخريجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا على ركى زمه ، قال : فنزل ستة ، أنا سابعهم ، أو سبعة أنا ثامنهم . قال فأدليت إلى دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفتى الركى ، فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فكدت بإنائى آخذ سقياً أجعله فى حلقى فما وجدت ، قال فغمس رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فيها ما شاء الله أن يقول ، فاعيدت إلينا الدلو وما فيها ، قال : فقد رأيت آخرنا أخرج مخافة الغرق ، قال : وساخت » .

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وأبو دواود ، وابن ماجة طرف منه ، عن زيادة بن الحارث الصداى ، قال فى آخره : ثم قلنا : يانبى الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا وقد أسلمنا وكل من حوالينا عدو ، فادع الله فى بئرنا أن يسعنا ماؤها ، فنجتمع ولا نتفرق .

فدعا بسبع حصيات فعركهن فى يده ، ودعا فيهم ثم قال (١) « اذهبوا بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة ، واذكر اسم الله عز وجل » .

قال الصداى : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها .

---

(١) « ضعيف »

ورواه أبو داود مختصراً في كتاب « الصلاة » باب « الرجل يؤذن ويقيم الآخر » (٢/٢٠٨، ٢٠٩ح٥١٠)

ورواه ابن ماجه في كتاب : « الآذان » باب « السنة في الآذان » (١/٢٣٧ ح ٧١٧)

ورواه أحمد (٤/١٦٩)

ورواه الترمذى فى كتاب « الصلاة » باب « ما جاء أن من أذن فهو يقيم » (١/٥٩٦ ح ١٩٩) وقال : « و فى الباب عن ابن عمر » .

و حديث زياد إنما نعرفه من حديث الإفريقى والإفريقى هو ضعيف عند أهل الحديث .ضعفه يحيى بن سعيد القطان و غيره و قال أحمد : «لا أكتب حديث الإفريقى » . =

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال (١) : اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وليس في العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ليس في العسكر ماء . قال : « هل عندك شئ ؟ » قال : نعم . قال : « فائتني به ، قال فأتاه بإناء فيه شئ من ماء قليل ، قال : فجعل رسول الله صلى اله عليه وسلم أصابعه على الإناء وفتح أصابعه ، قال فانفجرت من بين أصابعه عيون ، وأمر بلالا فقال : « نادى في الناس : الوضوء المبارك » .

فصــل

وأما تكثير الطعام ، ففى الصحيحين عن جابر قال (٢) : لما حفر الخندق رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا ، فانكفأت إلى امرأتى فقلت لها : « هل عندك شئ ؟ فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً ، فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن » قال فذبحت وطحنت ففرغت إلى فراغى فقطعتها فى برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه».

قال : فجئت فساورته فقلت : « يا رسول الله ، إنا ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير عندنا ، فتعال أنت ونفر معك » .

=ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره و يقول هو مقارب الحديث . » وقد ضعفه الألبانى كما فى الضعيفة » (١/٥٣ح٣٥)

(١) تقدم تخريجه

(٢) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « غزوة الخندق »(٤٥٧/٧ ح ٤١٠٢)

و رواه مختصراً برقم (٣٠٧٠)

و رواه مسلم في كتاب « الأشربة » باب « جواز إستتباعه غيره إلي دار من يثق برضاه بذلك »

(٣/١٦١٠.١٦١١ح٢٠٣٩)

صنع صورا فحيلا بكم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ » .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امراتى فقالت : « بك وبك » قال : « قد فعلت الذى قلت لى » .

فأخرج له عجيناً ، فبصق فيه وبارك ،ثم عمد إلى برمتها فبصق فيها وبارك ثم قال :« ادعى لى خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف .

فأقسم بالله ، لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو » .

وفى رواية ، قال جابر(١) : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : « هذه كدية عرضت » فقال « أنا نازل » .

فقال وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثاً لا يذوق ذواقاً فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول ، فضرب فعاد كثيباً أهيل .

فقلت : يا رسول الله ، ائذن لى إلى البيت ، فقلت لامرأتى : إنى رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما فى ذلك ضير .

قالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى قد كادت أن تنضج فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله ورجل ورجلان . قال : « كم هو » فذكرت له . فقال : « كثير طيب » قال : « قل لها ، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى » ، قال : « قوموا » فقام المهاجرون

(١) رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « غزوة الخندق » (٤٥٦/٧ ، ٤٥٧ ح ٤١٠١)

والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .

قالت هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال « ادخلوا ولا تضاغطوا »

فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم تنزع ، فلم يكسر ويفرق حتى شبعوا وبقى بقية قال « كل هذا وأهد فإن الناس أصابتهم مجاعة » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال (١) : قال أبو طلحة لأم سليم : قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شئ فقالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخذت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبى وردتنى ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت به ، فوجدته جالساً فى المسجد والناس معه فقمت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه « قوموا » .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة في الإسلام » (٦/٦٧٨ ، ٦٧٩ ح ٣٥٧٨)
و رواه أيضا برقم (٥٣٨١ ، ٦٦٨٨)
و رواه مختصراً برقم (٤٢٢ ، ٥٤٥٠)
و رواه مسلم في كتاب «الأشربة » باب « جواز استتباعه غيره إلي دار من يثق برضاه بذلك ...» (٣/١٦١٢، ١٦١٣ ح ٢٠٤٠)
و رواه النسائي في الكبري في كتاب « الوليمة » باب « إستقبال قد من دعي » (٤/١٤٢ ، ١٤٣ ح ٦٦١٧)
ورواه الترمذى فى كتاب « المناقب » باب « ٣٠» (١٠/٣١٠ك١٠٧ ح ٣٧٠٩)

قال : فانطلقت معهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : ياأم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة : حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « هلمى يا أم سليم ما عندك » فأتت بذلك الخبز فقمت ، وعصرت عليه أم سليم هكة لها فأدمته ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، حتى أكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون ،

وفى طريق البخارى ثمانون وقال فى رواية (١) : ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة وأم سليم وأنس وفضل فضلة ،فأهديناها لجيراننا .

وفى صحيح مسلم عن سلمة قال (٢) : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر ، فأمرنا أن نجمع ما فى أزوادنا ، يعنى من التمر - فبسط نطعا فنثرنا عليه أزوادنا قال : فطيت فتطاولت فنظرت فحرزته كربضة شاة ، ونحن أربع عشرة مائة قال : فأكلنا ثم تطاولت فنظرته فحرزته كربضة شاة .

---

(١) « صحيح »
و رواه مسلم في نفس الموضع السابق (٣/١٦١٤ ح ٢٠٤٠)
(٢) « صحيح »
رواه مسلم في كتاب « اللقطة » باب « استحباب خلط الأزوار » (٣ / ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ح ١٧٢٩)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة (١) وأبى سعيد (٢) وسلمة بن الأكوع ، واللفظ لمسلم ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير ، قال : فنفدت أزواد القوم حتى هموا بنحر بعض حمائلهم ، قال : فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل ، فجاء ذو البر ببره ، وذو التمر بتمره ، وذو النوى بنواه .

قيل : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال يمصونه ويشربون عليه الماء قال : فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوادهم .

قال : فقال عند ذلك « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ولا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة » .

قال : لما كان يوم « غزوة تبوك » أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعلوا .

قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلت قل الظهر ، وفى رواية : ما بقاؤهم بعد إبلهم ، لكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع لهم البركة ، لعل الله أن يجعل البركة فى ذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل

---

(١)« صحيح »
رواه مسلم في كتاب «الإيمان » باب « الدليل علي أن من مات علي التوحيد دخل الجنة قطعا » (١/٥٥ ، ٥٦ ح ٢٧) رقم خاص (٤٤)
ورواه النسائي في الكبري في كتاب « السير » باب « جمع زاد الناس إذا فني ...» (٥/٢٤٥ ح ٨٧٩٤)

(٢) « صحيح » رواه مسلم في كتاب « الإيمان » باب « الدليل علي أن من مات علي التوحيد دخل الجنة قطعاً » (١/٥٥ ، ٥٦ ح ٢٧) رقم خاص ٤٥

أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجئ بكف ذرة ، وجعل الآخر يجئ بكف تمر ، وجعل الآخر يجئ بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير .

قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ، ثم قال : « خذوا فى أوعيتكم » قال فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة (الحديث) .

وروى البخارى من حديث سلمة بن الأكوع بنحوه قال (١) : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأصبنا جهد حتي هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمر نبى الله صلي الله عليه وسلم ، فجمعنا مزاودنا ، فبسطنا له نطعاً ، فاجتمع زاد القوم على النطع ، قال : فتطاولت لأحزره كم هو ؟ فحزرته كربضة العنز ، ونحن أربع عشر مائة ، قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشينا جروبا ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « فهل من وضوء ؟ » قال : فجاء رجل بأداوة فيها نطفة ، فأفرغها فى قدح ، فتوضأنا كلنا بدعفقة دعفقة ، أربع عشرة مائة ، ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا:هل من طهور؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغ الوضوء » .

وفى صحيح مسلم عن جابر(٢) : أن أم مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شئ ، فتعمد إلى الذى كانت تهدى فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فتجد فيه سمناً ، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فقال « عصرتيها » ؟

---

(١)«صحيح »

رواه البخاري في كتاب « الشركة » باب « الشركة في الطعام و النهد و العروض » (٥/١٥٢ ، ١٥٣ ح ٢٤٨٤) و رواه أيضاً برقم (٢٩٨٢)

(٢)صحيح

رواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب « في معجزات النبي صلي الله عليه و سلم » (٤/١٧٨٤ ح ٢٢٨٠)

فقالت : نعم . قال : « لو تركتيها ما زال قائماً » .

وروى مسلم في صحيحه عن جابر أيضاً ، قال (١) : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر ونبق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال (٢) : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب فدخل بأهله ، قال : فصنعت أم سليم حيساً فجعلته في تور من حجارة ، فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل : بعثت بهذا أمي إليك وهي تقرئك السلام ، وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله .

قال فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أمي تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل . فقال : « ضعه » ثم قال : اذهب فادع فلاناً وفلاناً ومن لقيت » وسمى رجالا ، قال فدعوت من سمى ومن لقيت ، قال الجعد - وهو الراوي عن أنس : عددكم كم كانوا : قال كانوا زهاء ثلاثمائة ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنس هات التور » قال : فدخلوا حتى امتلأت الصفة

---

(١)« صحيح »

رواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب «في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم » (١٧٨٤/٤ح ٢٢٨١)

(٢) « صحيح »

ذكره البخاري تعليقا في كتاب « النكاح » باب « الهدية للعروس » (١٣٤/٩ ، ١٣٥ ح ٥١٦٣)

و رواه مسلم في كتاب « النكاح » باب « زواج زينب بنت جحش » (١٠٤٨/٢ : ١٠٥٢ ح ١٤٢٨ رقم خاص ٩٤ ، ٩٥)

و رواه الترمذي في كتاب « التفسير » باب « و من سورة الأحزاب » (٨٢/٩ : ٨٤ ح ٣٢٧٢)

و رواه النسائي في الكبري في كتاب « النكاح » باب « الهدية من عرس » (٣٣٦/٣ ح ٥٥٧٩)

و رواه أيضا برقم (٦٦١٨)

والحجرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليتحلق عشر عشرة ، وليأكل كل إنسان مما يليه » . قال : فأكلوا حتى شبعوا ، قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم . فقال : « يا أنس ارفع » فرفعت فما أدرى حتى وضعت كان أكثر أم حين رفعت ؟ قال : وجلس طوائف منهم يتحدثون ، وذكروا نزول آية الحجاب .

وروى البخارى عن أنس أيضاً (١) : أن أم سليم عمدت إلى مد من شعير ، جشته وجعلت منه خطيفة ، وعصرت عكة عندها ، ثم بعثتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته هو وأصحابه ، فدعوته . قال : « ومن معى ؟ » فجئت فقلت : إنه يقول « ومن معى ؟ » فخرج إليه أبو طلحة فقال يا رسول الله : إنما هو شئ صنعته أم سليم ، فدخل فجئ به وقال : « أدخل عشرة » حتى عد أربعين ، ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قام ، فجعلت أنظر ، هل نقص منها شئ ؟ .

عن سمرة بن جندب قال (٢) : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول قصعة من غدوة من الليل ، يقوم عشرة ، ويقعد عشرة ، فقلنا : ما كانت تمد ؟ قال . فمن أى شئ تعجب ؟ ما كانت تمد إلا من ههنا ، وأشار بيده إلي السماء . رواه النسائى

---

(١) «صحيح»
رواه البخاري في كتاب « الأطعمة » باب « من أدخل الضيفان عشرة عشرة » (٤٨٦/٩ ح ٥٤٥٠)
(٢) « صحيح »
رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب «٢٦» (١٠/ ٩٨ ، ٩٩ح ٣٧٠٤)
و رواه النسائي في الكبري في كتاب « آداب الأكل » باب «كم يجتمع علي مائدة » (٤/ ١٧٠ ، ١٧١ ح ٦٧٤٠)
و رواه الدارمي في « المقدمة » باب « ما أكرم النبي صلي الله عليه و سلم بنزول الطعام من السماء » (٤٣/١ ح ٥٦)
و رواه الحاكم (٦١٨/٢) و قال : « هذا حديث صحيح الاسناد علي شرط الشيخين و لم يخرجاه » و وافقه الذهبي
و رواه أحمد (١٨/٥) . و صححه الألباني كما في « صحيح الترمذي » (١٩٢/٣ ح ٢٨٦٦)

والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الدارمى والحاكم فى صحيحه .

وفى البخارى عن أبى هريرة (١) : أنه كان يقول : والله الذى لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعنى ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : « يا أباهر » . قلت : لبيك يارسول الله قال : « الحق » ومضى ، فاتبعته فدخل فاستاذن ، فأذن لى ، فدخلت ، فوجدت لبنا فى قدح فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة قال : « يا أباهر » .

قلت : لبيك يا رسول الله قال « الحق أهل الصفة فادعهم لى » قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، وإذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة : كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُد فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت فقال « يا أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح . حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال : « يا أباهر »

---

(١) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « الرقاق » باب « كيف كان عيسي النبي صلي الله عليه و سلم وأصحابه...» (١١/٢٨٦ ح ٦٤٥٢)

قلت : لبيك يا رسول الله ، قال « بقيت أنا وأنت » قلت : صدقت يا رسول الله . قال : « اقعد فاشرب » فقعدت فشربت ، فما زال يقول « اشرب » حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال « فأرنى » فأعطيت القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة .

وفى الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال (١) : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل مع أحد منكم طعام ؟ » فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن . ثم جاء رجل منفش الرأس ، ثائر الرأس طويل ، بغنم يسوقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أبيعا أم أعطية » أو قال : « هبة » ؟ قال : بل بيع فاشترى منه شاه فصنعت وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى وأيم الله ما فى الثلاثين ومائة إلا من قد حز له النبى صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه ، وإن كان غائباً أخبأ له ، فجعل منها قصعة فأكلوا أجمعون وشبعنا ، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير » أو كما قال .

فصل

وأما تكثير الثمار ففى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله أن أباه استشهد وترك ديناً ، وترك ست بنات ، فلما حضر جداد النخل قال (٢) : أتيت النبى صلى

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة في الإسلام » (٦٧٩/٦ ح ٣٥٨١)

ور واه مسلم في كتاب « الأشربة » باب « إكرام الضيف... » (١٦٢٦/٣ ، ١٦٢٧ ح ٢٠٥٦)

(٢) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « البيوع » باب « الكيل علي البائع و المعطي » (٤٠٣/٤ ح ٢١٢٧)

و رواه أيضــــاً برقـم (٢٣٩٥ ، ٢٤٠٥ ، ٢٦٠١ ، ٢٧٠٩ ، ٢٧٨١ ، ٣٥٨٠ ، ٤٠٥٣) (٦٢٥٠) مختصراً

و رواه النسائي في سننه في كتاب « الوصايا » باب « الوصية بالثلث » (٢٤٤/٦) ، (٢٤٥/٦)

الله عليه وسلم فقلت : قد علمت أن والدى قد استشهد يوم أحد ، وترك ديناً كثيراً وإنى أحب أن يراك الغرماء : قال : « اذهب فبيدر كل تمر على ناحية » ففعلت ، ثم دعوته . فلما نظروا إليه ، كأنهم اغروا بى تلك الساعة ،فلما رأى ما يصنعون ، أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ثم قال : « ادع لى أصحابك » فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدى أمانته ، وأنا أرضى أن يؤدى الله عن والدى أمانته ولا أرجع إلى أخواتى بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها ، حتى إنى لأنظر إلى البيدر الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، كأنها لم تنقص تمرة واحدة .

وفى رواية (١) : أن أباه ترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود ، فاستنظره جابر ، فأبى أن ينظره ،فكلم جابر النبى صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه ، فجاءه وكلم اليهودى ليأخذ تمر نخلة بالذى له فأبى ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل ، فمشى فيها ، ثم قال لجابر : « جدله فأوف له » فجدله بعد ما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا ، وفضل له سبع عشرة وسقا ، فجاء جابر ليخبره بالذى كان فوجده يصلى العصر ، فلما انصرف أخبره بالفضل ، فقال : « أخبر بذلك ابن الخطاب » فذهب جابر إلى عمر فأخبره فقال عمر : لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها .

وروى الإمام أحمد والترمذى وغيرهما ، حديث مزود أبى هريرة ، قال ، أحمد : ثنا يونس ثنا حماد بن زيد عن المهاجر ، عن أبى العالية ، عن أبى هريرة قال (٢) أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرات وقلت : ادع الله لى فيهن بالبركة ،

---

(١) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « الاستقراض » باب « إذاقاضى أو جازفه في الدين » (٥/٧٣ ح ٢٣٩٦)

(٢) « صحيح »
رواه الترمذي في كتاب « مناقب » باب « مناقب أبي هريرة » (١٠/٣٣٨ ح ٣٩٢٨) و قال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه و قد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة »
و رواه أحمد (٢/٣٥٢) . و صححه الألباني كما في « صحيح الترمذي » (٣/٢٣٥ ح ٣٠١٥)

قال فصفهن بين يديه قال : ثم دعا فقال لى : « اجعلن فى مزودك ، وادخل يدك ولا تنثره » قال : فحملت منه كذا وكذا وسقا فى سبيل الله ونأكل ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان انقطع من حقوى فسقط » رواه الترمذى عن عمران ابن موسى الفرار ، عن حماد ، بنحوه ، وقال :حديث حسن غريب من هذا الوجه .

ورواه الحافظ عبد الغني وغير من طريق أخرى ، عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال (١) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأصابهم عوز من الطعام فقال : « يا أبا هريرة عندك شئ ؟ » قال : قلت : لا ، إلا شئ من التمر فى مزودى ، قال : « جئ به » فجئت بالمزود وقال : « هات نطعا» فجئت بالنطع فبسط ، فأدخل يده فقبض على التمر فإذا هو إحدى وعشرون تمرة قال : ثم قال : « بسم الله » فجعل يضع كل تمرة ويسمى ، حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال : « ادع فلاناً وأصحابه » فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، ثم قال « ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، قال : وفضل تمر فقال لى « اقعد » فقعدت فأكل وأكلت ، قال : وفضل تمر فأخذه فأدخله في المزود ، فقال : « يا أبا هريرة إذا أردت شيئاً فأدخل يدك فخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك . قال : فما كنت أريد تمراً إلا دخلت يدى ، فأخذت منه خمسين وسقا فى سبيل الله عز وجل وكان معلقاً خلف ظهرى فوقع زمان عثمان ، فذهب .

ورواه من طريق يزيد بن أبى منصور عن أبيه عن أبى هريرة قال (٢) : أصبت بثلاث بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكنت صويحبه وخويدمه ، وبقتل عثمان والمزود ، وما المزود !! كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الناس

---

(١) رواه البيهقي في « الدلائل » (٦/١٠٩ ، ١١٠)
و نقله ابن كثير في « البداية و النهاية » (٦/١١٧)
(٢) رواه البيهقي في « الدلائل » (٦/١١٠ ، ١١١)
و نقله عنه ابن كثير في « البداية و النهاية » (٦/١١٧)

مخمصة ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل من شئ يا أبا هريرة ؟ » فقلت : نعم ، شئ من تمر فى مزودة قال : « فائتنى به » فأتيته به فأخذ يده ، فأخرج قبضة فبسطها ، ثم قال : « ادع لى عشرة » فأكلوا حتى شبعوا ، فما زال يصنع كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم قال : « خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض ، ولا تكفه » .

قال أبو هريرة : قبضت على أكثر مما جئت به ، ثم قال أبو هريرة : ألا أحدثكم عما أكلت منه ؟ أكلت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمتُ ، وحياة أبى بكر وأطعمت ، وحياة عمر ، وأطعمت ، وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب بيتى وذهب المزود .

وروى الإمام أحمد فى مسنده : ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا إسماعيل عن قيس عن دكين بن سعيد المدنى قال (١) : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وأربعمائة ، نسأله الطعام فقال لعمر : « اذهب فأعطهم » ، فقال : يارسول الله ما بقى إلا آصع من تمر ما أرى تقبضنى ، قال : « اذهب فأعطهم » ، قال سمعاً وطاعة ، قال : فأخرج عمر المفتاح من حجزته ففتح الباب ، فإذا شبه الفصيل الرابض ، وكأنا لم نرزأ تمرة .

ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرق عن عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبى خلد ، عن قيس أبى حازم ، (٢) عن دكين ، قال أبو عبد الله المقدسى : وإسناده

---

(١) رواه أحمد (١٧٤/٤)

و رواه البيهقي في « الدلائل » (٣٦٦/٥ ، ٣٦٧)و قد ورد من طريق آخر نحوه و هو من طريق « النعمان بن مقرن »

و رواه أحمد (٤٤٥/٥) ، البيهقي (٣٦٥/٥ ، ٣٦٦)

(٢) « صحيح الإسناد»

رواه أبو داود في كتاب « الأدب » باب « في اتخاذ الغرف » (١٥١/١٤ ح ٥٢١٦)

و أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٥٥/١/٢) و ذكر فيه سماع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس

على شرط الصحيح .

فصـــل

وأما النوع الخامس ، تأثيره فى الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له .

ففى صحيح البخارى عن أنس قال (١) : صعد النبى صلى الله عليه وسلم أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجمت بهم الجبل فقال : « اسكن » وضربه برجله « فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » .

وفى الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » .

=بن أبي حازم و سماع قيس بن أبى حازم من دكين . و قال الألباني في «صحيح أبي داود »(٣/٩٨٣ ح ٤٣٦٣) : «صحيح الإسناد »

(١) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضل أبي بكر رضي الله عنه » (٧/٢٦ح ٣٦٧٥)

ورواه أيضاً برقم (٣٦٨٦ ، ٣٦٩٩)

ورواه أبو داود في كتاب « السنة » باب « في الخلفاء » (١٢/٤٠٤ ح ٤٦٢٦)

ورواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب (٧٤) (١٠/١٨٥ ، ١٨٦ ح ٣٧٨٠)

ورواه النسائي في الكبري في كتاب « المناقب » باب « فضائل أبي بكر وعمر و عثمان رضي الله عنهم » (٥/٤٣ ح ٨١٣٥)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب « فضل نسب النبي صلي الله عليه و سلم تسليم الحجر عليه » (٤/١٧٨٢ ح ٢٢٧٧)

و رواه الترمذي في كتاب «المناقب » باب « ما جاء في آيات نبوة النبي صلي الله عليه و سلم » (١٠/٩٨ ح ٣٧٠٣)

وفى الترمذى عن على قال (١) : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله » ورواه الحاكم فى صحيحه وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع فقال (٢) : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا ، فلما واجهنا العدو تقدمته فأعلوا ثنية ، فاستقبلنى رجل من العدو ، فرميته بسهم فتوارى عنى فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقوا هم وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فولى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فرجعت منهزما ،وعلى بردتان ، متزراً بإحداهما ، مرتدياً بالأخرى ، فاستطلق إزارى فجمعتهما جميعاً ، ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً وهو على بغلته الشهباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأى ابن الأكوع فزعا» فلما غشوا النبى صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ، ثم قبض من الأرض واستقبل بها وجوههم فقال : « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ،فولوا مدبرين ، فهزمهم الله .

وفى صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال (٣) : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى المسلمون والكفار وولى المسلمون مدبرين ، طفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا

---

(١) سبق تخريجه

(٢) « صحيح »
رواه مسلم في كتاب « الجهاد و السير » باب « في غزوة حنين » (١٤٠٢/٣ ح ١٧٧٧)

(٣) « صحيح »
رواه مسلم في كتاب « الجهاد و السير » باب « في غزوة حنين » (١٣٩٨/٣ : ١٤٠٠ ح ١٧٧٥)

تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى عباس ، نادى أصحاب السمرة » فوالله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها ، يالبيك يالبيك .

قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا حين حمى الوطيس » ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صيات فرمى وجوه الكفار ثم قال : « انهزموا ورب الكعبة » قال فذهبت أنظر . فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، فوالله ما هو إلا رماهم بصياته فما زلت أرى أحدهم كليلا ، وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله ، وقد قال الله تعالى عن يوم بدر ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

وروى ابن إسحاق عن جماعة ، منهم عروة ، والزهرى ، وعاصم بن عمرو وغيرهم قالوا (١) : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، هو وأبو بكر ما معهما غيرهما ، وقد تدانى القوم بعضهم من بعض ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ، ما وعده من نصره ويقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ، وأبو بكر يقول : بعد مناشدتك ربك يارسول الله فإن الله سينجز لك وعدك من نصره ، وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم هب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله عز وجل هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع (يقول الغبار) » ثم خرج رسول الله

---

(١) ذكره إبن اسحاق كما في « سيرة ابن هشام (٢/٣٢١ : ٣٢٣)معلقاً.
و رواه البيهقي في « الدلائل » (٣/٨٠ ، ٨١)
و رواه الطبري عن « ابن إسحاق في تفسيره » (٩/١٢٧)

صلى الله عليه وسلم فعبأ أصحابه وهيأهم وقال : « لا يعجلن منكم بقتال حتى يؤذنه فإذا أكثبكم القوم - يقول قربوا منكم - فانضحوا عنكم بالنبل » ثم تزاحم الناس ، فلما تدانى بعضهم من بعض ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من حصباء » ثم استقبل بها قريشاً فنفخ بها وجوههم وقال : « شاهت الوجوه » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احملوا عليهم يا معشر المسلمين » فحمل المسلمون وهزم الله قريشاً ،وقتل من قتل من أشرافهم ، وأسر من أسر منهم .

وفى حديث ابن أبي طلحة الوالبى ، عن ابن عباس قال له جبريل (١) ، « خذ قبضة من تراب » فأخذ قبضة من تراب ، ورمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين .

فصل

النوع السادس : من آياته ، تأييد الله له بملائكته ، قال الله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ ، [سورة الأنفال : ٩] وقال تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسومين ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥] ، وقال تعالى فى الخندق : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٩] ، وقال تعالى فى حنين : ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴾ ،

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٣٦/٩)من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
و رواه البيهقي في « الدلائل » مطولاً (٧٨/٣ ، ٧٩) من نفسق الطريق
و عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٩/٣)
لابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه

[سورة التوبة : ٢٦] ، وقال تعالى فى الهجرة : ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ﴾ ، وقال تعالى فى بدر : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ ، [سورة الأنفال : ١٢]

وفى الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال (١) : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آتنى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض » ، فما زال يهتف بربه ماداً ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداءه عن منكبيه .

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، فألقاه عن منكبيه ، ثم التزمه من ورائه فقال : « يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك » فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل : فحدثنى ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاريفنضرا في كتاب « الجهاد » باب « ما قيل في درع النبي صلي الله عليه و سلم ...» (١١٦/٦ ح ٢٩١٥)

و رواه أيضاً برقم (٣٩٥٣ ، ٤٨٧٥ ، ٤٨٧٧)

و رواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب « الإمداد بالملائكة في غزوة بدر » (١٣٨٣/٣ : ١٣٨٥ ح ١٧٦٣) واللفظ له

و رواه أبو داود مختصراً في كتاب « الجهاد » باب « في فداء الأسير » (٣٥٤/٧ ح ٢٦٧٣)

و رواه الترمذي في كتاب « التفسير » باب « و من سورة الأنفال » (٤٦٨/٨ : ٤٧١ ح ٥٠٧٥)

أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة سوط فوقه ، وسوط الفارس يقول : « أقدم حيزوم » فنظر إلى المشركين أمامه ، فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه ، وشق وجهه ، كضربة بالسوط ، فاخضر ذلك أجمع .

فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين ، وذكر الحديث .

وذكر البخارى فى هذا الحديث : فخرج - يعنى النبى صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » .

وقال ابن إسحاق (١) : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن بعض بنى ساعدة قال : سمعت أبا أسد مالك بن ربيعة - بعدما أصيب بصره - يقول : لو كنت معكم ببدر الآن ، ومعى بصرى ، لأخبرتكم بالشعب الذى خرجت منه الملائكة ، ولا شك ولا أتمارى ، فلما نزلت الملائكة رآها إبليس ، وأوحى الله إليهم : ﴿ أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ ، إن الملائكة تأتى الرجل فى صورة الرجل تعرفه وتقول له : أبشروا ، فإنهم ليسوا بشئ ، والله معكم ، كروا عليهم .

فلما رأى إبليس الملائكة ، نكص على عقبيه ، وقال : (إنى برئ منكم إنى أرى مالا ترون) ، وهو فى صورة سراقة .

وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم فإنه على موعد مع محمد وأصحابه ، ثم قال: « واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه فى الحبال ، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً » .

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في « سيرة ابن هشام » (٣٣٠/٢) وقد صرح بالسماع و سنده منقطع و رواه البيهقي في « الدلائل » (٥٢/٣ ، ٥٣) و اللفظ له و قال الهيثمي في « المجمع » (٨٤/٦) : رواه الطبراني و فيه سلامة بن روح وثقه بن حيان و ضعفه غيره لغفلة فيه »

وفى الصحيحين ، عن سعد بن أبى وقاص قال (١) : رأيت يوم « أحد » عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن يساره ، رجلين عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ؟ يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام .

وفى الصحيحين عن عائشة قالت (٢) : أصيب سعد يوم الخندق ، ورماه رجل من قريش بن العرقة ، ورماه فى الأكحل ، فضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة فى المسجد يعوده من قريب .

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، ووضع السلاح ، فاغتسل فأتاه جبريل عليه السلام ، وهو ينفض عن رأسه من الغبار ، فقال : « وضعت السلاح ، فوالله ما وضعناه ، اخرج إليهم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأين » فأشار إلى بنى قريظة ، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنى أحكم فيهم أن يقتل المقاتلة ، وأن تسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم .

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « غزوة أحد » (٤١٤/٧ ، ٤١٥ ح ٤٠٥٤)

و رواه أيضاً برقم (٥٨٢٦) و رواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب « في قتال جبريل و ميكائيل » (١٨٠٢/٤ ح ٢٣٠٦)

(٢) «متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « الصلاة » باب « الخيمة في المسجد للمرضي وغيرهم » (٦٦٣/١ ح ٤٦٣)

ورواه أيضا برقم (٢٨١٣ ، ٣٩٠١ ، ٤١١٧ ، ٤١٢٢)

ورواه مسلم في كتاب « الجهاد »باب « جواز قتال من نقض العهد » (١٣٨٩/٣ ، ١٣٩٠ ح ١٧٦٩)

ورواه أبو داود مختصراً في كتاب « الجنائز » باب « في العيادة مراراً» (٣٦٤/٨ ح ٣٠٨٥)

ورواه النسائي مختصراً أيضاًفي كتاب « المساجد » باب « ضرب الخباء في المساجد »(٤٥/٢)

وفى بعض طرق البخارى (١) : فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار .

وروى البخارى عن أنس قال (٢) : كأنى أنظر إلى الغبار ساطعاً فى زقاق بنى غنم ، موكب جبريل صلوات الله عليه ، حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة .

وفى المغازى من طريق : أن الصحابة رأوا جبريل فى صورة « دحية الكلبى » وأنه معتم بعمامة أرخى طرفها بين كتفيه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (٣) : بعثه الله إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويلقى الرعب فى قلوبهم .

وروى البخارى عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر (٤) « هذا جبريل ، أخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب » .

وفى الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا

---

(١) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « مرجع النبي صلي الله عليه وسلم من الأحزاب » (٧/٤٧٥ ح٤١٢٢)
(٢) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « بدء الخلق » باب « ذكر الملائكة » (٦/٣٥١ ح ٣٢١٤)
و رواه أيضاً برقم (٤١١٨)
(٣) رواه ابن إسحاق معلقاً كما في « سيرة ابن هشام » (٣/٣٢٥ ، ٣٢٦) و قد صرح بالسماع و حديثه مرسل عن الزهيري
و رواه عبد الرزاق ضمن حديث طويل مرسلاً عن الزهيري (٥/٣٦٧ : ٣٧٢ ح ٩٧٣٧) و رواه البيهقي في « الدلائل» (٤/١١)
و رواه أبو نعيم مرسلاً في « الدلائل » (١/٦٤٦ ، ٧٤٧ ح ٤٣٦) من طريق عبد الرزاق
و رواه الطبري في « تاريخه » (٢/٥٨٢)من طريق ابن إسحاق
(٤) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « شهود الملائكة بدراً » (٧ / ٣٦٣ ح ٣٩٩٥)
ورواه أيضاً برقم (٤٠٤١)

رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال (١) « لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فنادانى ملك الجبال وسلم على ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بأمرك فيماشئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً » .

النوع السابع : فى كفاية الله له أعداءه ، وعصمته له من الناس ، وهذا فيه آية لنبوته من وجوه :

منها : ـ أن ذلك تصديق لقوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ﴾ ، [سورة الحجر : ٩٤ : ٩٦] ، فهذا إخبار من الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين .

وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « بدء الخلق » باب « إذا قال أحدكم آمين » (٦/٣٦٠ ح ٣٢٣١)

و روراه أيضاً برقم (٧٣٨٩)

و رواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب « ما تلقى النبي صلي الله عليه و سلم من أذي المشركين و المنافقين » (٣/١٤٢٠ ، ١٤٢١ ح ١٧٩٥)

و رواه النسائي في الكبري في كتاب « النعوت » باب « السميع » (٤/٤٠٥ ، ٤٠٦ ح ٧٧٠٦)

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، [سورة البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧].

فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء المشاقين له من أهل الكتاب ، وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ ، [سورة المائدة : ٦٧] فهذا خبر عام ، بأن الله يعصمه من جميع الناس .

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة ، قد وقع كما أخبر ، وفى هذا عدة آيات .

منها : أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة .

ومنها : أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم ، وأنه كان وحده جاء هو بمعاداتهم ، وسب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، والطعن فى دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة .

والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش ، وعظماء العرب ، وكان أهل مكة أعز الناس وأشرفهم ، يعظمهم جميع الأمم .

أما العرب فكانوا يدينون لهم ، وأما غيرهم من الأمم ، فكانوا يعظمونهم به ، ولا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى ، كما كانت الأمم تعظم بنى إسرائيل ، لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر .

وهؤلاء بنو إسماعيل ابن خليل الله ، وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله ، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم فى التوراة فيهم بما وعده ، من إنعام الله عليه النعمة التى ينعم بها علي غيرهم .

فكان أهل مكة معظمين لأنهم جيران البيت ، ولأنهم أشراف بنى إسماعيل .

فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفى محمداً من بنى هاشم .

وكان قد عاداه أشراف هؤلاء ، كما عادى المسيح أشراف بنى إسرائيل وبدّل هؤلاء نعمة الله فراً وأحلوا قومهم دار البوار .

وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ، ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم .

وكذلك كفى الله محمداً من عاداه ، وانتقم منهم ، ولم ينفعهم انتسابهم ولا فضل مدينتهم .

فإن الله إنما يثيب بالإيمان والتقوى ، لا بالبلد والنسب ، فقال تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون ﴾ [سورة الأنعام : ٦٦ ، ٦٧] ، وقال : ﴿ وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ ، [سورة محمد : ١٣] ، وقال : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ ، [سورة النحل : ١١٢ ، ١١٣] ، وقد سمى أهل العلم بعض من كفاه الله من المستهزئين ، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة ، فى الدنيا ، فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم ، الذى أكرم الله نبيه به .

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال (١) : قال أبو جهل : « هل يعفر محمدوجهه

---

(١) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « المنافقين » باب قوله تعالي (إن الإنسان ليطغى...) (٢١٥٤/٤ ، ٢١٥٥ ح ٢٧٩٧) و رواه أحمد (٣٧/٢)

و رواه النسائي في الكبري في كتاب « التفسير » باب قوله تعالي ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ (٥١٨/٦ ح ١١٦٨٣)

بين أظهركم ؟ » قيل نعم . قال : « واللات والعزى ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته » ، فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه . فقيل له : مالك ؟ قال : « إن بينى وبينه لخندقاً من نار ، وهؤلاء أجنحة » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دنا منى لا ختطفته الملائكة عضواً عضواً » .

وأنزل الله تعالى : ﴿ أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أوأمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى* كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ ، [العلق ٩ : ١٩] .

وفى الصحيحين من حديث البراء بن عازب ، حديث هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر إلى المدينة قال فيه سراقة بن مالك بن جعشم ، ونحن فى جددمن الأرض فقلت : يارسول الله أتينا ، قال (١) : « لا تحزن إن الله معنا » ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال : « إنى قد علمت أنكما دعوتما على فادعوا لى ، والله لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا ، فرفع لا يلقى أحداً إلا قال : قد كفيتم ما ههنا فلا يلقى أحداً إلا رده » .

وفى لفظ (٢)« فساخ فرسه فى الأرض إلى بطنه ، ووثب عنه فقال : يا محمد ،

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « المناقب » باب «علامات النبوة صلي الله عليه و سلم في الإسلام » (٧١٩/٦ ، ٧٢٠ ح ٣٦١٥)

و رواه مختصراً برقم (٢٤٣٩ ، ٣٦٥٢ ، ٣٩٠٨ ، ٣٩١٧، ٥٦٠٧)

و رواه مسلم في كتاب « الزهد » باب « في حديث الهجرة » (٢٣٠٩/٤ : ٢٣١٠ ح ٢٠٠٩ رقم خاص ٧٥)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « الزهد » باب « في حديث الهجرة ...» (٢٣٠٩/٤ : ٢٣١١ ح ٢٠٠٩)

قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن يخلصنى مما أنا فيه ، ولك على لأهمين على من ورائى » .

وفى الصحيحين عن ابن شهاب ، من رواية سراقة نفسه قال (١) : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره .

فبينما أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج ، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إنى رأيت آنفاً أسودة بالساحل ، أراهما محمداً وأصحابه .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً ، ثم لبثت ساعة ، ثم قمت فدخلت بيتى ، فأمرت جاريتى أن تخرج فرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها ، فرفعتها تقرب حتى دنوت منهم وعثرت فى فرسى ، فخررت عنها ، فقمت عنها ، فأهويت بيدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام ؛ فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ، فيخرج الذى أكره ، فركبت وعصيت الأزلام ، فقربت بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ،فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ لا تريد بها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر

---

(١) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « مناقب الأنصار » باب « هجرة النبي صلي الله عليه وسلم و أصحابه » (٢٨١/٧ ، ٢٨٢ ح ٣٩٠٦)

رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر تمام الحديث .

وفى الصحيحين عن جابر قال (١) : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة قبل نجد ، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القائلة ، فى واد كثير الفضاء ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فعق سيفه بغصن من أغصانها ، وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رجلاً أتانى وأنا نائم ، فأخذ السيف ، فاستيقظت وهو قائم على رأسى ، والسيف صلتاً فى يده ، فقال : من يمنعك منى قلت : الله ، فسام السيف ، فها هو ذا جالس » ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه ، فانصرف حين عفا عنه فقال : لا أكون فى قوم هم حرب لك .

وفى صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال (٢) : كان فلان يجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا تكلم النبى صلى الله عليه وسلم اختلج بوجهه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كن كذلك ، فلم يزل يختلج حتى مات » .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « غزوة بني المصطلق ...» (٤٩٤/٧ ح ٤١٣٩)
و رواه مسلم في كتاب « صلاة المسافرين ...» باب « صلاة الخوف » (٥٧٦/١ ح ٨٤٣)
و رواه مسلم أيضاً في كتاب « الفضائل » باب « توكله علي الله تعالي ...» (١٧٨٦/٤ ، ١٧٨٧ ح ٨٤٣)

(٢) رواه الحاكم (٦٢١/٢) و قال : « هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه » و تعقّبه الذهبي بقوله : « ضرار واه »
و رواه البيهقي في « الدلائل » (٢٣٩/٦)
قلت : « ضرار بن صُرَد » قال عنه حجر في « التقريب » رقم (٢٩٨٢) : « أبو نعيم الطحان ، الكوفي ، صدوق له أوهام و خطأ و رُمي بالتشيع و كان عارفا بالفرائض »

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال (١) : كان نصرانى فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدرى محمد إلا ما كتبت له .

فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعله آية » فأماته الله ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : مثل الأول فحفروا له وأعمقوا ، فلفظته الثالثة ، فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذا .

وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق قال (٢) : حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا .

فبينما هم فى ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى

---

(١) « صحيح » رواه البخاري في كتاب « المناقب » باب « علامات النبوة في الإسلام » (٧٢٢/٦ ح ٣٦١٧)

(٢) رواه أحمد (٢١٨/٢)

و رواه ابن إسحاق كما في « سيرة ابن هشام » (٣٥٨/١ ، ٣٥٩) و لقد صرّح ابن إسحاق بالسماع

و قال الهيثمي في « المجمع » (١٥/٦ ، ١٦) : « قلت : في الصحيح طرفاً منه

و رواه أحمد و قد صرّح ابن إسحاق بالسماع ، و بقية رجاله رجال الصحيح »

و رواه البيهقي في « الدلائل » (٢٧٥/٢ ، ٢٧٦)

حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم ، غمزوه ببعض ما يقول . قال : فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى ، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه ، ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال : « تسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، ليرفأه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : « انصرف يصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان من الغد ، اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه .

فبينما هم فى ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ، أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكى ، : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم انصرفوا عنه .

وذكر البخارى بعد حديث عروة عن عبد الله بن عمرو قال : وقال عبدة عن هشام عن أبيه ، قيل لعمرو بن العاص (١) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾

---

(١) « صحيح »
رواه البخاري مختصراً في كتاب « فضائل الصحابة » باب « لو كنت متخذاً خليلاً » (٧/ ٢٦ ، ٢٧ ح ٣٦٧٨)
و رواه أيضاً برقم (٣٨٥٦ ، ٤٨١٥)

[سورة الحجر : ٩٥] قال (١) : المستهزئون « الوليد بن المغيرة » و « الأسود بن عبد يغوث الزهرى » و « الأسود بن عبد المطلب » أبو زمعة من بنى أسد بن عبد العزى و « الحارث بن عيطل السهمى » و « العاص بن وائل » فأومى جبريل إلى أكحل الوليد بن المغيرة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، وأومى إلى الأسود بن عبد المطلب إلى عينيه ، فقال : ما صنعت ؟ فقال كفيته ، وأومى إلى رأس بن عبد يغوث فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، وأومى إلى الحارث السهمى إلى بطنه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، وأومى إلى أخمص العاص بن وائل ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته .

فأما الوليد فمر رجل من خزاعة وهو يريش نبله فأصاب أكحله فقطعها . وأما الأسود بن عبد المطلب ، فعمى فمنهم من يقول : عمى هكذا ، ومنهم من يقول : نزلت تحت سمرة فجعل يقول : يا بنى ألا تدفعون عنى ؟ ويقولون : ما نرى شيئاً فجعل يقول : هلكت ها هو ذا أطعن فى عينى بالشوك فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه ، وأما الأسود . فخرج فى رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات ، وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف على حمار ، فربض فى شبرقة يعنى شوكة ، فدخلت فى أخمص قدميه فمات وقيل : دخلت فى رأسه شبرقة فمات ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره ثنا يونس بن حبيب ، ثنا أبو داود ، ثنا أبو عوانة ، ثنا أبو سير ، عن سعيد وروى بإسناده عن ربيع ابن أنس ، قال (٢) : أراد صاحب اليمن أن يأوى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتاه الوليد فزعم أن محمداً

---

(١) رواه البيهقي في « الدلائل » (٢/٣١٦ : ٣١٨)

و رواه أبو نعيم في « الدلائل » (١/٣٥٤ : ٣٥٦ ح ٢٠٣) و عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٠٧) للطبراني في الأوسط و البيهقي و أبو نعيم في الدلائل و ابن مردويه بسند حسن و الضياء في المختارة »

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٠٨) لابن أبي حاتم

ساحر ، وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمداً تعلم أساطير الأولين ، وأتاه آخر فزعم أنه كاهن وآخر أنه شاعر ، وآخر زعم أنه مجنون ، فأهلكهم الله كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه ، وذكر تفصيل عذابهم .

وروى مثله عن عكرمة ، وقال محمد بن إسحاق ثنا يزيد بن رومان عن عكرمة وغيره من العلماء ، أن جبريل (١) أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبه فمر به الأسود بن عبد المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى ، فمات منها ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح بأسفل كعبه كان أصابه لما مر برجل يريش نبله فخدش رجله وليس بشي فانتقض فمات .

ومربه العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فذكر مثل ما تقدم من رواية ابن عباس ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين ، ومن المشهور عند أصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة بن أبي لهب ، وكان أبو لهب لما عادى النبي صلى الله عليه وسلم أمرا ابنيه أن يطلقا ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم ، رقية وأم كلثوم قبل الدخول ، وقال عتيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تجيئني ولا أجيبك ، ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، فخرج في نفر من قريش ، حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلا فأطاف بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : ويل أخي هو والله آكلي كما دعا محمد

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في « سيرة ابن هشام » (٢/٥٨ ، ٥٩)و قد صرّح ابن إسحاق بسماعه من يزيد بن رومان و لكنه مرسل

و رواه أبو نعيم في « الدلائل » (١/٣٥٣ ، ٣٥٤ ح ٢٠٢)

(٢) رواه البيهقي في « الدلائل » (٢/٣٣٨ ، ٣٣٩)

على ، قتلنى وهو بمكة ، وأنا بالشام فعدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه ، وفى رواية هشام بن عروة عن أبيه قال (١) : لما طاف الأسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم وجعلوا عتيبة فى وسطهم فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال (٢) : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان فيأخذه فيضعه فى كتفى محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبى صلى عليه وسلم وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى عليه وسلم ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى انطلق إنسان إلى فاطمة فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاث مرات ، فلما سمعو صوته ، ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال : « اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط » وذكر السابع لم أحفظه فو الذى بعث محمداً بالحق ، لقد رأيت الذى سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر .

(١) رواه البيهقي في « الدلائل » (٢/٣٣٩)

(٢) « متفق عليه » ،رواه البخاري في كتاب «الوضوء » باب « إذا ألقي علي ظهر المصلي قذر أوجيعة لم تفسد عليه صلاته » (١/٤١٦ ح ٢٤٠) ، و رواه أيضاً برقم (٥٢٠ ، ٢٩٣٤ ، ٣١٨٥ ، ٣٨٥٤ ، ٣٩٦٠) ، ورواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب « ما لقي النبي صلي الله عليه و سلم من أذي المشركين و المنافقين » (٣/١٤١٨ : ١٤٢٠ ح ١٧٩٤) رقم خاص (١٠٧)

و رواه النسائي في سننه في كتاب « الطهارة » باب « فرث ما يؤكل لحمه نصيب الثوب » (١/١٦١ ، ١٦٢) ،و رواه أيضاً في الكبري في كتاب « السير » باب « طرح جيف المشركين في البئر » (٥/٢٠٣ ح٨٦٦٩)

وعنه قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القبلة ودعى على ستة نفر فذكره ، وفى رواية (١) غير أن أمية بن خلف ، كان رجلا ضخماً فقطعت أوصاله ، فلم يلق فى البئر ، وقال : غيرتهم الشمس ، وكان يوما حارا .

ويدخل فى هذا الباب ما لم يزل الناس يروونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات ، وفى ذلك من القصص الكثيرة ، ما يضيق هذا الوضع عن بسطه ، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة ، التى تبين كلاءة الله لعرضه وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ، ورفعه لذكره ، وما من طائفة من الناس إلا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولى الألباب ، ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام ، إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ، ويطول الحصار إلى أن يسب العدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فإنه يكون ذلك قريباً كما قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ ، [سورة الكوثر : ٣]

ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق ، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقى لهم ملكهم .

النوع الثامن : فى إجابة دعوته ، وإجابة الدعاء منه ما تكون إجابته معتادة لكثير من عباد الله كالإغناء والعافية ونحو ذلك .

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « الجزية و الموادعة » باب « طرح جيف المشركين » (٦/٣١٨ ح ٣١٨٥)
و رواه أيضاً برقم (٣٨٥٤)
و رواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب ما لقي النبي صلي الله عليه وسلم من أذي المشركين و المنافقين » (٣/١٤١٨ : ١٤٢٠ ح ١٧٩٤) (رقم خاص ١٠٨)

ومنه ما يكون المدعو به من خوارق العادات كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة ، وإطعام النخل فى العام مرتين ، مع أن العادة فى مثله مرة ، ورد بصر الذى عمى ، ونحو ذلك مما يأتى وما تقدم من أدعيته .

ومعلوم أن من عوده الله إجابة دعائه ، لا يكون إلا مع صلاحه ودينه ، ومن ادعى النبوة لا يكون إلا من أبر الناس إن كان صادقًا ، أو أفجرهم إن كان كاذبًا وإذا عوده الله إجابة دعائه لم يكن فاجرًا برًا ، وإذا لم يكن مع دعوى النبوة إلا برًا تعين أن يكون نبيًا صادقًا ، فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكذب ، ويمتنع أن يكون ضالا يظن أنه نبى ، وأن الذى يأتيه ملك ويكون ضالا فى ذلك ، والذى يأتيه الشيطان ، فإن هذا حال من هو جاهل بحال نفسه ، وحال من يأتيه ، ومثل هذا لا يكون أضل منه ، ولا أجهل منه لأن الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين ، وبين الأنبياء الصادقين ، وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق مالا يحصيه غيره ، بل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار ، لأن ما يأتى به الأنبياء من الأخبار والأوامر مضادة من كل وجه لما يأتى به الشيطان ، ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم وحال الكهان والسحرة ، بين له ما يحقق ذلك .

والشيطان الذى يقول لمن ليس بنبى إنك نبى صادق ، والله أرسلنى إليك يكون من أعظم الناس كذبًا ، والكذب يستلزم الفجور ، فلا بد أن يأمره بما ليس صدقا بل كذبا ، كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد وممن يزين له أنه نبى أو أنه المهدى أو خاتم الأولياء ، فكل هؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم ، ولا بد أن يكذب فى بعض ماتخبره به تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ ، [سورة الشعراء : ٢٢١].

وحينئذ : فمثل هذا لا يكون مع دعوى النبوة من الأبرار الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابة خارجة عن العادات ، بل لا يكون مع دعوى النبوة إلا من الأفاكين الفجار ، وإذا كان صادقًا فى دعوى النبوة عالما بأنه صادق ثبت أنه نبى .

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ فيما يبلغونه عن الله باتفاق الناس ، وحينئذ : فكل ما يبلغه عن الله فهو حق ، وهو المطلوب ، ومن كان يأتيه صادق وكاذب ، مثل ابن صياد ومثل كثير من العباد الذين لهم إلهام من الملك ، ووسواس من الشيطان ، فمثل هذا أخبره الشيطان بأنه نبى ، ويقول : أنا أرسلنى الله فلا بد أن يتبين كذبه ، ولو ببعض الوجوه ، مثل أن يخبره بكذب فإن مثل هذا الشيطان الذى قال له إنه نبى لا بد أن يكذب فيما يخبره ، ومثل إخبار الصادق له بأن هذا كاذب ، فإذا أتاه الشيطان بالكذب لا بد أن يخبره الصادق الذى يأتيه بما يخالف ذلك ، بخلاف الإخبار بأمور جزئية إذ إخباره بأنه صادق مع أنه ليس كذلك ، يهلكه هلاكا عظيما ، يفسد على الصادق جميع ما يأتيه به ، لأن ذلك يستلزم أن يصدق ذلك الكاذب ، فى كل ما يخبره به ، إذ قد اعتقد أنه نبى ، حينئذ فلا يكون عنده كاذبًا ،ولا يعرف أنه كاذب فلا يكون مثل ابن صيادونحوه ، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب ، بل أضل من هؤلاء من يظن أن كل ما يأتيه فهو صادق ، لهذا كل من كان يأتيه إخبار ملكى صادق ، وإخبار شيطانى كاذب ، فلا بد أن يعرف أنه يأتيه كاذب ، لأنه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب ، كما هو الواقع ، ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً ، وكذلك العباد الذين لهم خطابات ومكاشفات ، بعضها شيطانى ، وبعضها ملكى ، يتبين له الكذب فيما يأتيهم به الشيطان ، كما هو الواقع فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطانى إلا ولا بد أن يخبره بكذب يظهر له أنه كذب ، حينئذ : فإذا صدق هذا الكاذب فى إخباره النبوة كان مصدقا للكاذب ، ولأن الصادق الذى يأتيه مخبراً بالصدق ، ناصحًا له ، لا بد أن يبين له ذلك فلا يصر على اعتقاده أن من يأتيه صادق ، وهو فى نفس الأمر كاذب ، ولا يعلم أنه كاذب ، إلا من هو أفاك أثيم ، والله تعالى يقول : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين *تنزل على كل أفاك أثيم ﴾

فينزلها على الأفاك الأثيم وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين ، فقد يكون على من ليس بأفاك أثيم ، فإن من لم يكن مدعيًا للنبوة ، فيمتنع أن يقره الصادق الذى يأتيه

على ذلك ، بل لا بد أن يبين له هذا إن جوز ذلك .

فإن الناس تنازعوا هل يجوز أن يلقى الشيطان على لسان النبى ما ينسخه الله ويمحوه أو لا يجوز ذلك ؟ وعلى كل حال يمتنع أن يقرأ على خطأ .

والمقصود هنا ذكر بعض أدعية النبى صلى الله عليه وسلم ! التى شوهد إجابتها ، وقد تقدم ذكر بعض أدعيته ، مثل دعائه على الملأمن قريش ، فقتلوا « يوم بدر » وألقوا فى القليب ومثل دعائه على عتبة بن أبى لهب ومثل دعائه على الذى كذب عليه بأن يجعله آية ومثل دعائه لما قل الزاد وجمعوه على نطع فكثره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم فى « غزوة تبوك » ومثل دعائه فى « غزوة الخندق » فكفى الطعام ، وهو صاع من شعير لألف نفر ، كذلك دعاؤه لما نزحت بئر « الحديبية » فكثر ماؤها حتى كفى الركب ، ،وهم ألف وخمسمائة وركابهم .

وقد تقدم دعاؤه الذى ذهب بصره فأبصر ، ودعاؤه فى الأستسقاء فما رد يديه إلا والسماء قد أمطرت ، ودعاؤه فى الاستصحا وإشارته إلى السحاب فقطع من ساعته ، ودعوته على « سراقة بن جعشم » لما تبعهم فى الهجرة ، فغاصت فرسه فى الأرض ، ودعاؤه « يوم بدر ويوم حنين » وقال الله له يوم بدر : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ ، [سورة الأنفال : ٩] وأمثال ذلك .

وفى الصحيحين عن جابر قال : لما نزل ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم ﴾ ، [سورة الأنعام :٦٥] قال النبى صلى الله عليه وسلم (١) :

---

(١) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « التفسير » باب قوله تعالي ﴿قل هو القادر... علي أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ (٨/١٤١ ح ٤٦٢٨)
و رواه أيضاً برقم (٧٣١٣ ، ٧٤٠٦)
=

أعوذ بوجهك ، أو من تحت أرجلكم قال : أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال : هاتان أهون أو أيسر .

وفى الصحيحين : عنه صلى الله عليه وسلم قال (١) : « سألت ربى ثلاثًا فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليها عدواً من غيرهم فيجتاحهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعيها فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة » وفى صحيح مسلم من حديث سلمة بن الاكوع قال جعل عمي يرجز ويقول (٢) :

=ورواه الترمذي في كتاب « التفسير » باب « و من سورة الأنعام » (٤٣٨/٨ ح ٥٠٦٠)
و رواه النسائي في الكبري في كتاب « التفسير » باب قوله تعالي ﴿قل هو القادر﴾ (٣٤٠/٦ ح ١١١٦٤)،(٣٤١/٦ ح ١١١٦٥)
و رواه أيضاً في الكبري في كتاب « النعوت » باب « كل شيء هالك إلا وجهه » (٤١٢/٤ ح ٧٧٣١)

(١) تقدم تخريجه

(٦١٥) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « المغازي » باب « غزوة خيبر » (٥٣٠/٧ ح ٤١٩٦)
ورواه مختصراً برقم (٢٤٧٧ ، ٥٤٩٧ ، ٦٣٣١ ، ٦٨٩١)
ورواه كاملا برقم (٦١٤٨)
ورواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب « غزوة خيبر » (١٤٢٧/٣ : ١٤٢٩ ح ١٨٠٢)
ورواه مسلم في كتاب « الجهاد » باب « غزوة ذي قرر و غيرها »(١٤٣٣/٣ : ١٤٤١ ح ١٨٠٧)
ورواه مختصراً أيضاً في كتاب « الذبائح » باب « تحريم أكل لحم الحمر الإنسية » (١٥٤٠/٣ رقم خاص ٣٣)
و رواه ابن ماجة مختصراً في كتاب « الذبائح » باب « لحوم الحمر الوحشية » (١٠٦٥/٢ ، ١٠٦٦ ح ٣١٦٥)

(٢) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « الدعوات » باب قوله تعالي ﴿و صل عليهم﴾ (١٤٠/١١ ح ٦٣٣٤)
و رواه أيضاً برقم (٦٣٤٤ ، ٦٣٧٨)
و رواه مسلم في كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه »

تالله لولا الله مـــا اهـتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا   فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هذا » قالوا ، عامر ، قال : غفر لك ربك » قـال وما استـغفـر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لإنسـان يخصـه إلا استشهد قال:فنادى عمر بن الخطـاب وهو على جمل يا نبى الله لولا متعتنا بعامر ؟ قال : فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم « مرحب » يخط بسيفه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهـــب

قال وبرز له عمى عامر فقال :

قد علمت خيبر أنى عـــامر   شاكى السلاح بطل مغامر

قال : فاختلفـا ضربتين فوقع سيف « مرحب » فى ترس عامـر ، وذهب عامر يسل سيفـه ، فرجع سيـفه على نفسه ، فـقطع أكحله ، وكانت فيـها نفسه ، قـال سلمة ، فخرجت فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، يقولون : بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر . قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال ذلك ؟ » قلت : ناس من أصحابك . قال : «كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قـال : قالت أم سليم : يا رسول الله خادمك

(١٩٢٨/٤ ح ٢٤٨٠) رقم خاص (١٤١).

و رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « مناقب أنس رضي الله عنه » (٣٣١/١٠ ح ٣٩١٧)

أنس ادع الله له فقال (١) : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيت » وروى البخاري قال دخل النبى صلى الله علي وسلم على أم سليم فأتته بتمر وسمن فقال (٢) : أعيدوا سمنكم فى سقائه ، وتمر كم فى وعائه ، ثم قام إلى ناحية البيت فصلي غير مكتوبة ، فدعى لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم . يا رسول الله إن لى خويصة ، فقال : « ما هى ؟ » قالت خادمك أنس ، قال فما ترك آخرة ولا دنيا إلا دعى به « اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك فيه » .

فإنى لمن أكثر الأنصار مالا ، وحدثتنى ابنتى أمينة أنه دفن لصلبى إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون مائة ، وفى رواية (٣) « لمسلم » دعا إلى بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة .

وفى الترمذى وحسنه عن أبى خلدة قال : قلت لأبى العالية سمع أنس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال (٤) : خدمه عشر سنين ودعى له النبى صلى الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب « الصوم » باب « من زار قوم فلم يفطر عندهم » (٤/٢٦٨ ح ١٩٨٢)

(٢) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أنس رضي الله عنه » (٤/١٩٢٨ ح ٢٤٨٠)رقم خاص ١٤٤)

و رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « مناقب أنس بن مالك رضي الله عنه » (١٠/٣٣٠ ح ٣٩١٦)

(٣) « صحيح »

رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « مناقب أنس بن مالك » (١٠/٣٣٣ ح ٣٩٢٢) و قال : « هذا حديث حسن غريب و أبو خلدة اسمه خالد بن دينار و هو ثقة عند أهل الحديث و قد أدرك أنس بن مالك و روي عنه » و صححه الألباني كما في « صحيح الترمذي » (٣/٢٣٤ ح ٣٠١٠)

(٤) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « فضائل الصحابة » باب « من فضائل أبي هريرة » (٤/١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ح ٢٤٩١)

عليه وسلم ، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين ، كان فيها ريحان يجئ منه ريح المسك .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : كنت أدع أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه سلم وأنا أبكي ، فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام وتأبى على فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبي هريرة . فقال رسول الله صلى الله عليه سلم (١) : « اللهم اهد أم أبي هريرة » فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله صلى الله عليه سلم فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب فقالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمد الله وقال خيراً ، فقلت يا رسول الله : ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حبب عبدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهما المؤمنين » فما خلق الله مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن ابن عوف أثر صفرة فقال (٢) : « ما هذا ؟ » قال يا رسول الله إني تزوجت امرأة

---

(١) « متفق عليه »
رواه البخاري في كتاب « النكاح » باب « الصفرة للمتزوج »(١٢٨/٩ ح ٥١٥٣)
(٢) و رواه البخاري أيضاً في كتاب « النكاح » باب « كيف يدعي للمتزوج »(١٢٩/٩ ح ٥١٥٥)
و رواه مسلم في كتاب « النكاح » باب « الصداق و جواز كونه تعليم قرآن ...» (١٠٤٢/٢ ح ١٤٢٧)
و رواه الترمذي في كتاب « النكاح » باب « ما جاء في الوليمة » (٢١٦/٤ ، ٢١٧ح ١١٠٠) وقال: =

قال : « كم سقت إليها ؟ » قال : وزن نواة : من ذهب .قال : فبارك الله لك أولم ولوبشاة .

وفى الصحيحين (١) : أنه لما قدم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن ربيع الأنصارى فعرض عليه سعد بن الربيع الأنصارى فعرض عليه سعد بن الربيع أن يناصفه أهله وماله ، فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق فما انقلب إلا بسمن وأقط ، ثم تابع الغد ، وذكر الحديث ،فظهرت بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ من مال عبدٌ الرحمن ، ما قاله الزهرى أنه تصدق بأربعمائة ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس ، فى سبيل الله وخمسمائة بعير فى سبيل الله قال وكان عامة ماله التجارة ، وقال محمد بن سيرين : اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف ثمنهن فكان ثلاثمائة وعشرين ألفًا .

وقال الزهرى: أوصى عبد الرحمن ، لمن شهد بدرا فوجدوا مائة لكل رجل منهم أربعمائة دينار .

وقال عبد الله بن جعفر حدثتنى أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن باع أرضًا بأربعين ألف دينار ، فقسمها فى فقراء بنى زهرة ، وفى المهاجرين وأمهات المؤمنين

= « و في الباب عن ابن مسعود وعائشة و جابر و وزهير بن عثمان »
و رواه النسائي في كتاب « النكاح » باب « التزويج علي نواة من ذهب » (١١٩١٦ ، ١٢٠)
و رواه ابن ماجة في كتاب « النكاح » باب « الوليمة » (١/٦١٥ ح ١٩٠٧)
(٦٢٢) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « البيوع » باب ما جاء في قول الله عز و جل
﴿ فإذا قضيت الصلاة ...﴾ (٤/٣٣٧ ، ٣٣٨ ح ٢٠٤٩)
و رواه أيضاً برقم (٢٢٩٣ ، ٣٧٨١ ، ٣٩٣٧ ، ٥٠٧٢ ، ٥١٤٨ ، ٥١٥٣ ، ٥١٥٥ ، ٥١٦٧ ، ٦٠٨٢ ، ٦٣٨٦)
و رواه النسائي في الكبري في كتاب « المناقب » باب قول النبي صلي الله عليه سلم « لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » (٥/٨١ ح ٨٣٢٢)

وقال محمد بن عمرو بن أبي (١) سلمة أن عبد الرحمن أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة قومت بأربعمائة ألف ، وفى الترمذى وصححه ورواه ابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال (٢) : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام » وكان عمر ابن الخطاب أحبهما إلى الله ؛ فأسلم عمر ، وروى أن الدعوة كانت فى يوم الأربعاء فأسلم يوم الخميس وأعز الله به الإسلام ، قال عبد الله بن مسعود (٣) : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر . رواه البخارى ، ظهر من عز الإسلام فى إمارته شرقًا وغرباً ، وفتح الشام والعراق ومصر ، وكسر عساكر كسرى وقيصر ، وما تحقق به إجابة الدعوة .

وفى الصحيحين أن ابن عباس وضع للنبى صلى الله عليه وسلم لما أتى الخلاء وضوءاً فقال لما خرج : « من وضع هذا ؟ » فقيل ابن عباس فقال (٤) : « اللهم فقهه

(١) رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب «مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه » (٢٥٢/١٠ ، ٢٥٣ ح ٣٨٣٤) و قال : « هذا حديث حسن غريب » و قال الألباني في « صحيح الترمذي » (٢١٩/٣ ح ٢٩٤٩) : « حسن الإسناد صحيح بما قبله »

(٢) « صحيح »

رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « مناقب عمر بن الخطاب »(١٦٧/١٠ ، ١٦٨ ح ٣٧٦٤) و قال : « هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر »

و رواه ابن حبان في صحيحه كما في « الإحسان » (٣٠٥/١٥ ح ٦٨٨١)

ورواه أحمد (٩٥/٢) . و صححه الألباني كما في « صحيح الترمذي » (٢٠٤/٣ ح ٢٩٠٧)

(٣) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « فضائل الصحابة » باب « مناقب عمر رضي الله عنه » (٥١/٧ ح ٣٦٨٤)

و رواه أيضاً برقم (٣٨٦٣)

(٤)« متفق عليه »

رواه الحاكم (٥٣٤/٣) بهذا اللفظ و قال : « هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

و رواه البخاري في كتاب « الوضوء » باب « وضع الماء عند الخلاء » (٢٩٤/١ ح ١٤٣) بلفظ =

فى الدين ، وعلمه التأويل » وفى رواية قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه سلم إلى صدره وقال (١) « اللهم علمه الكتاب » وفى رواية « الحكمة » .

وظهرت إجابة دعوته حتى كان يسمى « البحر » .

وقال فيه ابن مسعود (٢) لو أدرك ابن عباس أسناننا لما عشره منا أحد ، وكان عمر يقدمه ويدخله مع أكابر الصحابة ، وعلم ابن عباس مشهور فى الأمة .

وفى الصحيحين عن جابر قال (٣) : كنت أسير على جمل قد أعيا وأردت أن

= « اللهم فقهه في الدين »

و رواه مسلم في كتاب « فضائل الصحابة » باب « فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنه » (١٩٢٧/٤ ح ٢٤٧٧)

و رواه النسائي في الكبري في كتاب « المناقب » باب « عبد الله بن عباس » (٥١٥ ، ٥٢ ح ٨١٧٧)

(١) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « العلم » باب قول النبي صلي الله عليه و سلم « اللهم علّمه الكتاب » (٢٠٤/١ ح ٧٥)

ورواه البخاري في كتاب « فضائل الصحابة » باب « ذكر ابن عباس رضي الله عنهما » (١٢٦/٧ ح ٣٧٥٦)

ورواه أيضاً برقم (٣٧٥٦ ، ٧٢٧٠)

ورواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « عبد الله بن العباس » (٣٢٧/١٠ ح ٣٩١٣)

ورواه النسائي في الكبري في كتاب « المناقب » باب « عبد الله بن العباس » (٥٢/٥ ح ٨١٧٩)

ورواه ابن ماجة في « المقدمة » باب « في فضائل أصحاب النبي صلي الله عليه سلم » (٥٨/١ ح ١٦٦)

(٢) رواه الحاكم (٥٣٧/٣) و قال : « هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين و لم يخرجاه » و وافق الذهبي .

(٣) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « الشروط » باب « إذا اشترط البائع ظهر الدابة... » (٣٧٠/٥ ح ٢٧١٨)

ورواه مسلم في كتاب « المساقاة » باب « بيع البعير و إستثناء ركوبه » (١٢٢١/٣ ح ٧١٥) رقم خاص (١٠٩) =

أسيبه قال : فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه ، و دعا له فسار سيرا لم يسر مثله ، وفى رواية فقال لى (١) : « ما لبعيرك ؟ » فقلت عليل . قال : فتخلف رسول الله صلى الله عليه سلم فى حيزه ،فدعى له فما زال يسير بين يدى الإبل قدامها فقال : برئ بعيرك قلت : بخير قد أصابته بركتك . قال فبعنيه . وذكر الحديث .

وفى الترمذى وغيره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم (٢) : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » وفى لفظ (٣) : « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » فكان سعد لا يرمى إلا يصيب ، ولا يدعو إلا أجيب .

=ورواه أبو داود مختصراً في كتاب « البيوع » باب « في شرط في بيع » (٤١٢/٩ ح ٤٣٨٨)

و رواه الترمذي مختصراً في كتاب « البيوع » باب « ما جاء في اشتراط ظهر الدابة عند البيع » (٤٦٠/٤ ح ١٢٧١)

و رواه النسائي كاملاً في كتاب « البيوع » باب « البيع يكون فيه الشرط يتصح ... » (٢٩٧/٧ ، ٢٩٨)

(١) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « المساقاة » باب « بيع البعير و استثناء ركوبه »(١٢٢١/٣ ، ١٢٢٢ ح ٧١٥ رقم خاص ١١٠)

(٢) رواه الترمذي في كتاب « المناقب » باب « مناقب سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه » (٢٥٣/١٠ ح ٣٨٣٥) و قال : « و قد روي هذا الحديث عن اسماعيل عن قيس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » و هذا أصح

و رواه البزار كما في « كشف الأستار » (٢٠٧/٣ ح ٢٥٧٩) و قال : « تفرد بهذا الإسناد جعفر بن عون »

و رواه الحاكم (٤٩٩/٣) و قال : « صحيح الإسناد » و لم يخرجاه و وافقه الذهبي .

ورواه ابن حبان في صحيحه كما في « الإحسان » (٤٥٠/١٥ ح ٦٩٩٠)

ورواه أبو نعيم في الحلية (٩٣/١)

ورواه أحمد في الفضائل (٧٥٠/٢ ح ١٣٠٨) و قال الهيثمي في المجمع (١٥٣/٩)

رواه « البزار و رجاله رجال الصحيح »

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « كتاب السنة » (٢/٦١٤ ، ٦١٥ ح ١٤٠٨)

وروى الحاكم فى صحيحه عن علي رضى الله عنه قال : مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى ، وإن كان متأخرًا فارفعنى ، وإن كان بلاء فصبرنى ، فقال (١) « اللهم اشفه ، اللهم عافه » ثم قال « قم » فقمت فماعاد إلى ذلك الوجع بعد .

وفى الصحيحين عن أم خالد قالت (٢) : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ،فقال : « من ترون نكسوه هذه الخميصة؟ » فسكت القوم فقال : ائتونى بأم خالد فأتى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألبسنيها فقال « ابلى واخلقى » مرتين فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلى ويقول : « ياأم خالد هذا سنا » . والسنا بلسان الحبشة « الحسن » ، فبقيت حتى دكت . وعن أبى يزيد عمرو بن أخطب الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : « ادن منى » فمسح بيده على رأسى ولحيتى ، ثم قال : « اللهم

=ورواه الحاكم (٣/٥٠٠) و قال : « هذا حديث تفرد به يحيي بن هاني بن خالد الشجري و هو شيخ ثقة من أهل المدينة » و وافقه الذهبي

ورواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٣/١) ، (٣٢٥/١٠)

و رواه الخطيب فى « تاريخه » (١٤٤/١)

(١) رواه الحاكم (٦٢٠/٢ ، ٦٢١) و قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » و وافقه الذهبى

و رواه أحمد (٨٤/١ ، ١٢٨)

و رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩٧/٥)

و رواه البيهقي في « الدلائل » (١٧٩/٦)

(٢) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « الجهاد » باب « من تكلم بسالفارسية و الرطانة » (٢١٢/٦ ح ٣٠٧١)

و رواه أيضاً برقم (٣٨٧٤ ، ٥٨٢٣ ، ٥٨٤٥ ، ٥٩٩٣)

و رواه أبو داود في كتاب « اللباس » باب « فى فيما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً » (٦٥/١١ ، ٦٦ ح ٤٠٠٥)

(٣) رواه أحمد (٧٧/٥ ، ٣٤١)

=

جمله وأدم جماله » قال الراوى عنه : فبلغ بضعًا وثمانين سنة وما فى لحيته بياض إلا نزر يسير ، ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات . ورواه الإمام أحمد وقال البيهقى : إسناده صحيح ورواه الترمذى وقال (١) : مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجهى ودعا لى . قال عروة : إنه عاش مائة وعشرون سنة ، وليس فى رأسه إلا شعرات بيض ، وقال حديث حسن .

وقال البخارى فى تاريخه : ثنا يعقوب بن إسحاق بن حنظلة بن حنيفة بن حزيم قال : قال حزيم : يا رسول الله ، إنى رجل ذو سن وهذا أصغر بنى فسمت عليه ، قال (٢) : « تعال يا غلام » فأخذ بيدى ومسح برأسى وقال : « بارك الله فيك - أو بورك فيك » فرأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم فيمسح بيده ويقول : بسم الله فيذهب الورم وفى رواية (٣) : والشاة والبعير ، ويذكر عن أبى

=ورواه البيهقي في « الدلائل » (٦/٢١١) و قال : « هذا إسناد صحيح موصول »

(١) « صحيح »

رواه الترمذي فى كتاب « المناقب » باب (٢٩) (١٠/١٠٢ ، ١٠٣ ح ٣٧٠٨) و قال : « هذا حديث حسن غريب . و أبو زيد إسمه عمرو بن أخطب » و صححه الألباني كما في « صحيح الترمذي » (٣/١٩٣ ح٢٨٦٩)

(٢) « صحيح »

روواه البخاري في « تاريخه » (٢/١/٣٧)

و رواه أحمد (٥/٦٨)

و رواه الطبراني في « الكبير » (٤/١٣ ، ١٤ ح ٣٥٠١) و قال الهيثمي في « المجمع » (٩/٤٠٨) رواه الطبراني في الأوسط و الكبير و بنحوه و أحمد و رجال أحمد ثقات »

و رواه البيهقي في « الدلائل » (٦/٢١٤ ، ٢١٥)

(٣) رواه البيهقي في « الدلائل » (٦/٢١٤) و قال ابن حجر في « الإصابة » (٤٣١٢) : « رواه الحسن بن سفيان ف« مسنده من وجه آخر عن الذيال وزاد أن إسم اليتيم ضريس ابن قطيعة و أنه كان شبيه المحتلم ، و رواه الطبراني بطوله منقطعاً

و رواه أبو يعلي من هذا الوجه و ليس بتمام و كذا رواه يعقوب بن سفيان و المنجنيقي في مسنده و غيرها »

سفيان (١) ، اسمه مدلوك أنه ذهب به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه بيده ودعا له بالبركة ، فكان مقدم رأسه موضع يد النبى صلى الله عليه وسلم أسود وسائره أبيض ، وذكره أيضًا البخارى فى تاريخه .

وروى أحمد فى مسنده بإسناده عن أبى العلى قال (٢) : كنت عند قتادة بن ملحان فى مرضه الذى مات فيه فمر رجل فى مؤخر الدار ، فرأيته فى وجه قتادة قال : كان رسول الله صلى الله علي وسلم مسح وجهه قال : وكنت قبل ما رأيته إلا ورأيته كأن على وجهه الدهان .

وفى صحيح البخارى أن (٣) عبد الله بن هشام كان يخرج إلى السوق فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان له أشركنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعى لك بالبركة ، فيشركهم ، فربما أصاب الراحلة كما هى فيبعث بها إلى المنزل

وفى مسند الإمام أحمد عن عروة بن أبي قال عرض للنبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري في « تاريخه » (٥٥/٢/٤)
و رواه البيهقي في « الدلائل » (٢١٥/٦)
(٢) رواه أحمد (٨١/٥)
و رواه البيهقي (٢١٧/٦)
(٣) « صحيح »
رواه البخاري في كتاب « الدعوات » باب « الدعاء للصبيان بالبركة ...» (١٥٥/١١ ح ٦٣٥٣)

جلب فأعطاني ديناراً وقال (١) أى عروة ائت الجلب فاشتر شاة فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار ، فجئت بهما أسوقهما فلقيني رجل فساومني فابتعته شاة بدينار فجئت بالدينار وجئت بالشاة فقلت يا رسول الله هذا ديناركم وهذه شاتكم ، قال « وصنعت كيف ؟ » فحدثته الحديث فقال « اللهم بارك في صفقة يمينه » فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي . رواه الإمام أحمد ، وفي لفظ آخر قال الراوى عنه : فكان لو اشترى التراب لربح فيه . رواه البخارى عن أهل الدار عنه (٢) .

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له (٣) : « كل بيمينك » قال لا أستطيع قال : « لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر » قال : فما رفعها إلى فيه .

وروى مالك في موطئه عن زيد بن أسلم عن جابر عن عبد الله السلمى قال :خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى أنمار ، قال جابر : فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هلم يا رسول الله إلى الظل ، فقال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال جابر فقمت إلى غرارة لنا فالتمست فيها فوجدت فيها جرد قنا فكسرته ثم قربته إلى رسول الله

---

(١) رواه أحمد (٣٧٦/٤)

(٢) « صحيح »

رواه البخاري في كتاب « المناقب » باب (٢٨) (٧٣١/٦ ح ٣٦٤٢)

و رواه أبو داود في كتاب « البيوع » باب « في المضارب يخالف » (٢٣٨/٩ ، ٢٣٩ ح ٣٣٦٨)

و رواه الترمذي في كتاب « البيوع » باب « ٣٤ » (٤٧٠/٤ ، ٤٧١ ح ١٢٧٦)

(٣) « صحيح »

رواه مسلم في كتاب « الأشربة » باب « آداب الطعام و الشراب » (١٥٩٩/٣ ح ٢٠٢١)

صلى الله عليه وسلم فقال (١) : « من أين لكم هذا؟» قلنا : خرجنا به من المدينة ، قال وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعى ظهرنا : فجهزته ، ثم أدبر ، يذهب إلى الظهر وعليه ثوبان له قد خلقا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أماله ثوبان غير هذين ؟ » فقلت : بلى يا رسول الله ، ثوبان فى العيبة كسوته إياهما . قال : « ادعه فيلبسهما » ثم ولى يذهب فدعوته فلبسهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماله ضرب الله عنقه أليس هذا خير له ؟» فسمعه الرجل فقال يا رسول الله فى سبيل الله فقال : فى سبيل الله » فقتل الرجل فى سبيل الله ، ورواه أبو زرعة عن سعيد بن سليمان عن الليث عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء عن جابر .

فصل

فى الطرق التى يبين بها أن هذه الأخبار تفيد العلم .

وهذه الأخبار : منها ما هو فى القرآن ، ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه ، وتكثير الطعام ، وحنين الجذع ، ونحو ذلك فإن كلا من ذلك تواترت به الأخبار ، واستفاضت ونقلته الأمة جيلا بعد جيل ، وخلفًا عن سلف ، فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن ، وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن ، وأكثر ممن سمع و نقل أنه كان يسجد فى الصلاة سجدتى السهو ، وممن سمع ونقل نصب الزكاة و فرائضها بل مواقيت الصلاة وأعدادها إنما شاع نقلها للعمل الدائم بها .

وأما هذه الآيات فنقلها أكثر ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الأخبار المعينة ،

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » في كتاب « اللباس » باب « ما جاء في لبس الثياب للجمال بها » (٢/٩١٠ ، ٩١١ ح ١)

وذلك أن آيات الرسول كان كثيراً منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشاهدون تلك الآيات ، كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه ، وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها ، ولم يتركوا فيها قطرة ، فكثر حتى روى العسكر ، وكما شاهد العسكر « فى غزوة ذات الرقاع » الماء اليسير لما صبه جابر فى الجفنة وامتلأت ، وملأ منها جميع العسكر ، وكما شاهد الجيش فى رجوعهم من « غزوة خيبر » المزادتين مع المرأة ، وقد ملئوا كل وعاء معهم ، وشربوا وهى ملأى كما هى ، وكما شاهد أهل خيبر وهم ألف وخمسمائة الطعام الذى كان كربضة الشاة فأشبع الجيش كله ، وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفًا فى تبوك ، العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها ، حتى كفاهم ، وشاهدوا الطعام الذى جمعوه على نطع ، فأخذوا منه حتى كفاهم وكما شاهد أهل الخندق ، وهم أكثر من ألف كثرة الطعام فى بيت جابر ، بعد أن كان صاعًا من شعير ، وعناقًا ؛ فأكلوا كلهم بعد الجوع ، حتى شبعوا وفضلت فضله .

وكما شاهد الثمانون نفسًا كثرة الطعام كما أكلوا فى بيت طلحة . وكما شاهد الثلاثمائة كثر الماء لما توضئوا من قدح والماء ينبع من بين أصابعه حتى كفاهم الوضوء وكذلك وليمة زينب كانت ثلاثمائة فأكلوا من طعام فى تور من حجارة وهو باق ، فظن أنس أنه أزيد مما كان وكانوا يتداولون قصعة من غدوة إلى الليل ، يقوم عشرة ويقعد عشرة ، كما فى حديث سمرة بن جندب ، وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل وكفاهم ، وفضل ، وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور ، ينقله بعض من شاهده إلى من غاب عنه ، وكان استفاضة آياته وشهرتها وتواترها فى الأمة ، أعظم من تواتر سجود السهو فى الصلاة ، فإن هذا إنما كان مرات قلية ، ولم يحضره إلا المصلون خلفه لتلك الصلاة ، كذلك نقلهم لنصب الزكاة وفرائضها فإن هذا إنما سمعه منه طائفه قلية ، ونقلوه .

وكذلك حكمة بالشفعة فيما لا يقسم ، وقضاؤه بأن دية الخطأ على العاقلة

وقضاؤه بأن الولد للفراش ، و للعاهر الحجر ، ونهيه عن نكاح الشغار ، وتحريمه لطلاق الحائض ، وطلاق الموطوءة قبل أن يتبين حملها ، وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار ، وتوريث الجدة السدس ، ونهيه أن تنكح المرأة على عمتها و خالتها ، وقوله فيما سقت السماء العشر ، وما سقى بالدوالى والنواضح نصف العشر ، وأمثال ذلك وإنما سمعها طائفة من الأمة هم أقل بكثير ممن شاهد آياته ، ثم إن الأمة متفقة على نقل ذلك ، وهذه الأحكام متواترة عنه معلومة بالأضطرار من دينه .

فإذا كان مثل هذه الأمور تواترت فى الأمة ، واتفقت على نقله ، فكيف بما كان أشهر وأظهر ، عند من عاينه ، وكان علم الذين رأوه به ، أظهر من علمهم بهذه الأحكام وقد نقلوا ذلك إلى من غاب عنهم ، فإنه قطعاً يجب أن يكون تواتر هذه الآيات فى الأمة أعظم وأظهر ، ولهذا لا يكاد يوجد مسلم إلا وقد عرف كثيراً من هذه الآيات ، وسمعها ونقلها ، إلى غيره ، بخلاف كثير من الأحكام المتواترة عنه المتفق على نقلها عند العلماء ، فإن كثيراً من الناس لا يعرفها ، ولا سمعها ، وإذا قال القائل : هذه مما تتوافر الهمم والدواعى على نقلها ، فلو كانت موجودة لتوافرت الهمم والدواعى على نقلها ، ولو كان كذلك لتواترت . قلنا : وكذلك هى ولله الحمد ، توفرت الهمم والدواعى على نقلها أكثر مما توفرت الهمم والدواعى على نقل أكثر آيات الأنبياء قبله وأكثر مما توفرت الهمم والدواعى على نقل الأخبار العجيبة من سير الملوك والخلفاء ، فإن من تدبر نقل هذه الآيات وجد شهرتها فى كل زمان ، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرتها ما ينقل آيات الأنبياء ، وسير الملوك والدول التى جرت العادة بتوفر الهمم والدواعى على نقلها فإن مثل هذا يجب فى كونه متواترا أن يتواتر عند كل أحد ، من الناس ، فإن أكثر ما تواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها ، قد لا يسعه كثير من الأمم ، من غيرهم فضلا عن تواتره عندهم ، حتى إن كثيراً من الأمم الذين لا يعرفون الأنبياء قد لا يكونون سمعوا بأسماء ، ولا بأخبارهم فضلا عن تواترها عندهم وأكثر أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من أخبار الملوك وسيرهم ، ما تواتر عند غيرهم ، حتى إن أكثر المسلمين ، لم يسمعوا بأسماء خلفاء

بنى أمية وبنى العباس ، وأسماء وزرائهم ونوابهم : وقوادهم ، وبالحروب التى جرت بينهم ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التى كانت بين المسلمين وأعدائهم ، مثل يوم أجنادين ويوم مرج الصفر ويوم فحل ، ويوم اليرموك ، ومثل يوم الحرة ، ويوم مرج راهط ، وفتنة ابن المهلب ، وفتنة ابن الأشعث ، والقرا مع الحجاج ، وحرب مصعب بن الزبير مع المختار بن أبى عبيد ، وفتنة المنصور مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بالمدينة ، ومع أخيه محمد بن إبراهيم بالبصرة ، ومثل جسر أبى عبيدة ، ويوم القادسية ؛ بل وحربهم مع أهل الردة مع أتباع طليحة الأسدى ، ووفد براحة ومثل حديقة الموت ، مع أتباع مسيلمة الكذاب ولا يعرفون أن المسلمين فتحوا قبرص ، ولا حاصروا القسطنطينية ، مرتين مرة فى زمن معاوية ومرة فى زمن بنى مروان ، وكذلك الفتن التى كانت بين المسلمين لا بل أكثر العامة لم يسمعوا بأبى مسلم صاحب الدعوة ، وبعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ولم يسمعوا أيضاً بدخول عبد الرحمن بن هشام إلى الأندلس ، وما جرى له فيها ، ولا بالفتنة التى بين ابنى الرشيد ، الأمين والمأمون .

مع أن هذه الأمور هى متواترة عند أهل العلم بالسير ، وأخبار الناس والتواريخ وظهور هذه الآية التى هى دلالة النبوة وأعلامها ، مشهور بين الأمة عامتها وخاصتها فى كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة فهى أحق أن تجعل متواترة من هذه ، ونقلة هذه الآيات من خاصة أهل العلم ، وكتب الحديث والتفسير والمغازى والسير ، وكتب الأصول والفقه التى توجد فيها هذه الأخبار أصح نقلا باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة ، فإن تلك كثير من أخبارها منقطع الإسناد ، فيها من الأكاذيب مالا يحصيه إلا الله ، وإن كان أصل القصة قد يكون متواتراً ، وهذه الآيات المشهورة فى الأمة كثير من أجناسها متواترة عند العامة ، وكثير من آحادها متواتر عند خاصة أهل العلم ، بل الفقهاء والمتكلمون أو أكثرهم لا يعرفون عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قاتل فيها أعداءه ، وهى وقائع

مشهورة ، كل منها متواتر تواتراً ظاهراً عند أهل العلم مثل يوم بدر ، ويوم أحد ويوم الخندق ، وغزوة بنى المصطلق ، وغزوة خيبر وفتح مكة ، ويوم حنين ، وحصار الطائف .

فكثير من أهل العلم فضلا عن العامة ، وإن كانوا سمعوا بهذه الأسماء أو بعضها ، فلا يعرفون أيها كانت قبل الآخر ، ولا يعرفون بأى بقعة كانت تلك الغزاة بل ولا يعرفون من كان العدو فيها ، ولا كيف كانت ، بل أكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين ، بل يقول قائلهم يوم بدر وحنين ، ويظنون أن ذلك يوم واحد ، وأنها غزاة واحدة ، ولا يعرفون أنها غزاتان ، بينهما نحو ست سنين ، كانت بدر فى السنة الثانية من الهجرة ، وكانت حنين فى السنة الثامنة بعد فتح مكة ، وأن بدراً مكان بين مكة والمدينة ، شامى مكة ، ويمانى المدينة ، وحنين واد قريب من الطائف ، شرقى مكة وإنما قرن بينهما فى الاسم لأن الله أنزل فيها الملائكة وأيد بها نبيه والمؤمنين ، حتى غلبوا عدوهم مع قوة العدو فى بدر ، ومع هزيمة أكثر المسلمين أولا بحنين ، وامتن الله بذلك فى كتابه فى قوله ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٢٣] .

وفى قوله : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٦،٢٥] حتى بعض أكابر أئمة الفتيا المشهورين قال له صاحبه لما أنكر عليه طلب علم السير . تسكت وإلا سألتك قدام الناس أيها كانت قبل ، بدر أو أحد ، فإنى أعلم أنك لا تعلم ذلك ، مع أنه من المتواتر الذى لا يستريب فيه من له أدنى معرفة بالأخبار ، أن أحداً كانت بعد بدر ، وفى بدر انتصر المسلمون على الكفار ، ويوم أحد استظهر الكفار ، بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر ، لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب ، بل وكثير من علماء المسلمين ، مثل خراب بيت المقدس مرتين ، ومجئ بخت نصر إلى بيت المقدس أولا ، والله سبحانه وتعالى ذكر فى القرآن المرتين فقال ﴿ وقضينا إلى بنى

إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعد مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ ، [سورة الإسراء : ٤ : ٧] وكانت الأولى بعد سليمان ، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيى والمسيح لما قتلوا يحيى بن زكريا . الذى يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمدانى .

وكثير من المذكورين بالعلم يظن أن بخت نصر هو الذى قدم الشام لقتل يحيى بن زكريا ، وهذا عند أهل العلم من أهل الكتاب ، وعند من له خبرة من علماء المسلمين ؛ باطل ، والمتواتر أن بخت نصر هو الذى قدم فى المرة الأولى وكذلك كون شعيب النبى كان حمو موسى عليه السلام كما تقوله طائفة من الجهال ، والمتواتر عند أهل الكتاب ، وعند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم ، خلاف ذلك وعند النصارى من أخبارهم وأخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه أكثر الأمم ، بل عند كل طائفة من المسلمين من أخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه أكثر الأمم ، بل عند كل طائفة من المسلمين ، من أخبار شيوخهم وأمرائهم وبلادهم المتواترة ، ما لم يسمع به غيرهم ، وليس هذا بمنزلة من ادعى خبراً لم يكن يعرف فى الذين شاهدوا تلك القضية ، كما لو ادعى مدع أن النبى صلى الله عليه وسلم حج بعد الهجرة أكثر من حجة ، وأنه كان يصوم شهر رمضان بمكة أو أنه كان بمكة أذان أو أنه كان فى عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات ، أو أنه كان يؤذن للعيدين ، أو أنه كان يخطب للعيدين قبل الصلاة ، أو أنه كان يصلى بالمدينة أكثر من عيد أو أنه كان يصلى فى السفر أربعا ، أو أنه صلى عيد النحر ، أو أنه نص على على بن أبى طالب رضى الله عنه أو غيره بالخلافة نصاً ظاهراً مشهوراً ، أو أنه عزل أبا بكر عن الإمارة فى الحجة وولى عليا ، أو أنه صلى بهم فى مرض موته غير أبى بكر ، ونحو ذلك من الأخبار التى يعرف أنها كذب وباطل ، لتواتر نقيضها ، ولأنها لو

كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله واشتهاره ، ومع أنه لم يكن له ذكر فى الزمن المتقدم . وكذلك ما ينقله كثير من أهل الجهل مثل ما يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره ، ولا يوجد منقولا عند أهل العلم بأحواله ، بل يكذبون ناقله ، مثل قول كثير من العامة أن الغمام كان يظله دائماً ، فهذا لا يوجد فى شئ من كتب المسلمين المعروفة عند علمائهم . ولا نقله عالم من علمائهم ، بل هو كذب عندهم ، وإن كان كثير من الناس ينقله ، وإنما نقل أن الغمامة أظلته لما كان صغيراً ، فقدم مع عمه إلى الشام تاجراً ورآه بحيرا الراهب ، ومع هذا فهذا لا يجزم بصحته ، وكذلك ما ينقله بعضهم من أنه كان إذا وطئ أثر قدمه فى الحجر وفى الرمل لم يكن يؤثر فهذا لم ينقله أهل العلم بأحواله ، ولا واحد منهم بل هو كذب عليه .

وكذلك ما ينقله طائفة من الناس ، من كثرة القتل بحروبه ، والمغازى الكثيرة التى يذكرها مثلها صاحب الكتاب الذى سماه بنقلات الأنوار ، ويقال له البكرى ، فهذا لما كان أكثرها لا يوجد فى كتب المسلمين المعروفة ولا نقلها علماؤهم ، بل تواتر ما يخالفها ، كانت كذبا ظاهرا عند أهل العلم بأحواله ، وإن كان كثير من الناس الجهال بأحواله ، قد يصدق بها .

ومثل ما ينقله طائفة من الناس ، أنه كان فى غزاة خيبر ، نصب على بن أبى طالب يده ليمر الجيش عليها وأن البغلة مرت عليها ، فقال لها قطع الله نسلك فانقطع نسلها ، فهذا ليس فى شئ من كتب أهل العلم بأحواله ، ولا نقل ذلك واحد منهم ، وإنما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب ، أو جاهل ، ولهذا كان هذا من الكذب الذى يقطع بكذبه علماء المسلمين ، ويعلمون أنه تواتر نقيضه ، وأنه لم يكن فى غزوة خيبر بغلة واحدة ، ولم يكن بمكة ولا بالمدينة بغلة إلا بغلته التى أهداها له المقوقس النصرانى ، ملك مصر والأسكندرية ، وإنما أهداها له بعد فتح خيبر لما كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الطوائف ، يدعوهم إلى الإسلام وهو إنما أرسل إلى ملوك الطوائف ، بعد الحديبية وخيبر ، لما رجع من خيبر ، ويعلمون أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل لم يكن لها نسل قط .

وكذلك ما ينقله بعض الكذابين من أن طائفة من أهل البيت سبوا ، وأركبوا جمالا فنبت لها سناما ، وأنها البخاتى ، فهذا مما اتفق أهل المعرفة بالأخبار عنه . على أنه كذب ، ولم يسب المسلمون قط فى وقت من الأوقات أحداً من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، لا فى خلافة بنى أمية ، ولا فى خلافة بنى العباس ، والجمال البخاتى مازالت هكذا ، لم يتجدد لها السنام فى الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم ، لما ذكر ما يحدث النساء بعده ، قال : على رءوسهم كأسنمة البخت .

وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم ، من أن الشمس ردت لما فاتت عليا صلاة العصر ، لكون النبى نام فى حجره صلى الله عليه وسلم وجعل بعضهم هذا من المعجزات ، وليس هذا الحديث فى شيئ من كتب المسلمين الذين يعتمدون على ما فيها من المنقولات ، لا الصحاح ولا المسانيد ، ولا التفسير ولا المغازى ، ولا السير ولا غير ذلك ، بل بين أهل العلم بالحديث أن هذا كذب ، وليس له إسناد واحد صحيح متصل ، بل غايته أن يروى عمن لا يعرف صدقه ولم يروه إلا هو مع توفر الهمم والدواعى على نقله ، فعلموا أنه كذب وهذا باب واسع يبين أن علماء المسلمين يميزون فى المنقولات بين الصدق والكذب ، فيردون الكذب وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه ، وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم ويقبلون الصدق وإن كان فيه شبهة وإشكال ، وقد يحتج به المنازعون لهم وكان لهم وكان عبد الرحمن بن مهدى يقول أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا مالهم ، ومن ذلك مغازى حمزة الشائعة بين كثير من جهال الناس ، لا يوجد فى شئ من كتب العلم ، بل قد تواتر عند أهل العلم أن حمزة لم يشهد غزوة إلا غزوة بدرثم غزوة أحد وقتل يوم أحد شهيداً قتله وحشى بن حرب وهذا متواتر عند أهل العلم ، وما كان من هذه الآيات والمعجزات فى الصحاح ، بل وكثير مما لم يخرجه البخارى ومسلم ، فهذه عامتها مما يقطع أهل العلم بالحديث بصحتها ، ويثبتون ذلك ، وهذا عندهم مستفيض متواتروإن كان بعض ذلك قد لا يتواتر ويستفيض عند غيرهم ، فإن الأخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم دون قوم ، بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها ،

علمهم بمن أخبر بها ، وصفاتهم ومقاديرهم وما دلهم من الدلائل على صدقهم وأهل العلم بحديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وبسيرته ، وأسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك ، لهم بهذا من العلم ، وعندهم به من اليقين ، مالا يوجد مثله لغيرهم ، كما أن أصحاب مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وداود وغيرهم عند كل طائفة من أقوال متبوعهم ونصوصه وأخباره ما يقطعون به ، وإن كان غيرهم لا يعرف ذلك .

والأطباء عندهم من كلام أبقراط ، وجالينوس ، ومحمد بن زكريا وأمثالهم ما يقطعون به وغيرهم لا يعلم ذلك .

وأهل الهيئة عندهم من كلام بطليموس والرصد الممتحن المأمونى وثابت ابن قرة وأبى الحسين الصوفى ، ما يعلمونه وغيرهم لا يعلم ذلك ، بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثير من مذاهب أهل الطب والحساب وتجارب الأطباء وأرصاد أهل الحساب وغيرهم لا يعلم ذلك .

وعند أهل الكتاب كاليهود من أخبار هلال وسماى وغيرهما من شيوخهم ما لا يعلمه غيرهم ، وعند النصارى من أخبار الحواريين ، ومن أخبار قسطنطين ، والمجتمع الأول بنيقيه والمجتمع الثانى والثالث والرابع والخامس ، وغير ذلك من مجامعهم ، وأخبارهم ، ما يقطع به علماؤهم وإن كان غيرهم لا يعلمون ذلك .

وأهل العلم ، بأيام الإسلام يعلمون من سيرة أبى بكر وعمر وعثمان ومغازيهم موقعة أجنادين ، ومرج الصفر وغيرهما فى خلافة أبى بكر ، وكوقعة اليرموك ، وجسر أبى عبيدة وهزيمة الفرس ، وفتح مصر و غير ذلك مما كان فى زمن عمر ابن الخطاب ، ما يقطعون به وإن كان غيرهم يعرفون ذلك .

وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك ، وحوادث الوجود ، بل أهل العلم بالرجال ، يعلمون من حال آحاد الصحابه والتابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عمر وابن عباس ، وأبى سعيد ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن مسعود وأنس ابن مالك وأبى

بن كعب ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن المسيب والحسن البصرى ، وعلقمة والأسود وغير هؤلاء مما لا يعلمه غيرهم .

وأهل العلم بالنحو ، يعلمون من حال سيبويه ، والأخفش ، والمبرد ، والزجاج ، والفراء ، والكسائى ، مالا يعلمه غيرهم .

والقراء يعلمون من قراءة أبى عمرو وابن كثير ، وحمزة والكسائى ، وابن عامر ، ويعقوب ابن إسحاق ، والأعمش ، وخلف ابن هشام وأبى جعفر ، مالا يعلمه غيرهم .

فإذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه أوالطب أو الحساب أو النحو أوالقراءات ، بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم ، مالا يعلمه غيرهم ويقطعون بذلك ، فكيف بمن هو عند أتباعه أعلا قدراً من كل عالم ، وأرفع منزلة من كل ملك ، وهم أرغب الخلق فى معرفة أحواله ، وأعظم تحريا للصدق فيها ، وأردللكذب منها ، حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة فى أخبار من روى شيئاً من أخباره ، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه ، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ، ودققوا فى ذلك وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم ، ولا لأحد من هذه الأمة إلا لأهل الحديث ، فهذا يعطى أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه .

فإذا كان أولئك فيما ينقلونه من متبعيهم متفقين عليه جازمين بتصديقه ، لا يكون إلا صدقاً ، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق ، أولى إذ لا يكون ما جزموا بصدقه إلا صدقاً .

وعامة أخبار الصحيحين ، مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها ، وجزموا بذلك وإنما تنازعوا فى أحاديث قليلة منها ، وعامة ما ذكرناه من آيات النبى صلى الله عليه وسلم التى فى الصحاح ، هى من موارد إجماعهم المستفيضة عندهم ، التى يجزمون بصدقها ، ليست من موارد نزاعهم ، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء

، ويعلم خيرة أهله من كان خبيراً بهم ، فهذه طريقان فى تصديق هذه الآثار .

التواتر العام . التواتر الخاص .

الطريق الثالث : التواتر المعنوى ، وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف فإن الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة ، بحكايات يشترك مجموعها فى أمر واحد ، كما سمعوا أخباراً متفرقة تتضمن شجاعة عنترة وخالد بن الوليد ، وأمثالهما ، وتتضمن سخاء حاتم ومعن بن زائدة وأمثالهما ، وتتضمن حلم الأحنف بن قيس ومعاوية بن أبى سفيان وأمثالهما ، وتتضمن شعر امرئ القيس والنابغة ولبيد وأمثالهم من المتقدمين وشعر الفرزدق وجرير وعمر بن أبى ربيعة وأمثالهم ، من المولدين ، وشعر أبى نواس والمتنبى وأبى تمام وأمثالهم من المحدثين ، بل سمعوا أقوالا وفتاوى متفرقة ، تتضمن فقه مالك والثورى والليث بن سعد وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من العلماء وأخبار متفرقة تتضمن العدل وحسن السيرة ، من عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما ، من ولاة الأمر ، وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن الزهد ، عن مثل الحسن البصرى والفضيل بن عياض وعامر بن عبد الله ومالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من الزهاد ، وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن معرفة أبقراط وجالينوس ونحوهما بالطب ، فيحصل بمجموع الأخبار علم ضرورى بأن الشخص موصوف بذلك النعت وإن كان كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم ، وإن كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر .

ومن هذا الباب العلم القطعى بالإيمان والموت ، ونحو ذلك ، مما يحصل به استفاضة توجب العلم القطعى كعلم الناس بأن خديجة وعائشة ونحوهما من أمهات المؤمنين ، وإن فاطمة وزينب من بنات النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وأن أبا بكر وعثمان وعلى تولوا الخلافة بعده ، وأن أبا بكر وعمر دفنا فى حجرته .

وإذا عرف هذا فهذه الأحاديث وأضعاف أضعافها هى أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء ، ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة هؤلاء ، وهى كلها تتضمن أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، كان يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة مالا يعرفه نظيره عن أحد من الناس وعلم المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه من آيات موسى وعيسى وغيرهما ، فإن نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن ، أضعاف أضعاف نقلة التوراة والإنجيل فضلا عن غيرهما من أخبار الأنبياء فإن التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بنى إسرائيل ، كما يحفظ القرآن عامة المسلمين ، وعند خراب بيت المقدس قل من يحفظها جداً ، حتى تنازع الناس فى تواتر نقلها .

وكذلك الإنجيل نقلته أقل بكثير من نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين وكان لهم آيات أيضاً ، كما يذكرونه من آيات الحواريين ، فأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوهم صالحون ، ولهم من الآيات أعظم مما للحواريين ، وغيرهم من الأمم ، وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء ، ومن كان يشرب السموم القاتلة ، ومن يحيى الله الموتى بدعوته ، ومن يكثر الطعام والشراب ، وكتب كرامات الأولياء فيها من ذلك أعظم مما عند أهل الكتاب وهم ينقلون أخبار الأنبياء والصالحين ، من كتب عندهم : مثل كتاب أخبار الحواريين ، وكتاب سفر الملوك ، ونحو ذلك ، وما يذكرون من حجة فى صحة نقلها إلا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى .

الطريق الرابع : أن يقال : هذه الآيات التى ذكرنا بعضها ، كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير ، كتكثير الطعام يوم الخندق فإنه كان أهل الخندق ، رجالهم ونساؤهم ألوفا .

وكذلك نبع الماء من بين أصابعه ، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية ، وكانوا يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وكلهم صالحون ، من أهل الجنة لا يعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة علي النبى صلى الله عليه وسلم .

وكذلك تكثير الماء والطعام فى غزوة خيبر ، كانوا ألفاً وخمسمائة ، وفى تبوك كانوا ألوفاً مؤلفة ، وكان بعض من حضر هذه المشاهدة ينقل هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها ، وينقلها لأقوام ، فيذهب أولئك فيخبرون بها أولئك ، ويصدق بعضهم بعضاً ويحكى هذا مثل ما حكى هذا ، من غير تواطئ وتشاعر ، وأدنى أحواله أن يقره ولا ينكر عليه روايتها ، ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التى جبل الله عليه عباده ، وبموجب ما كان عليه سلف الأمة عن اعتياد الصدق وتحريه ، واعتقادهم أن ذلك واجب ، ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم ، وتعظيمهم ذلك إذ قد تواتر عنه عندهم أنه قال : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه كذب عليه ، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له ، وكذب عليه علموا أنه كذب عليه ، فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير إنكار أحد منهم لذلك .

علم قطعاً أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك ، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة ، وإن كان جمهورهم ليس منتصباً لتلقين القرآن ، بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا المتلقن ، ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة ، وهذا يعلم هذا الصلاة ، أن الظهر فى الحضر أربع ركعات ، والمغرب ثلاثاً والفجر ركعتان ، وهذا يقر هذا ، فلما كان بعضهم يقر بعضاً على نقل ذلك علم اتفاقهم على نقل ذلك وهذا غاية التواتر .

فكذلك ما نقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه ، يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم رده على الآخر ولم يوافقه عليه ، وإن كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين ، كتنازعهم ؛ هل يجهر بالبسملة أولا يجهر بها ؟ وهل كان يداوم على القنوت فى الفجر أو كان يقنت أحياناً للنوازل أوقنت مرة ، ثم تركه ؟ فهذا من أهون الأمور وأيسرها ، إذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت ، وعلى صحة صلاة من لم يقنت ، ومن جهر ومن خافت ، ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول تنازعوا فى الحكم فعلم بذلك أن ما كان مشهوراً فى الأمة عن النبى صلى الله عليه

وسلم ، ولم ينكره أحد من علمائها كانت الأمة متفقة على نقله ، كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة المشهورة ، وإن نقل ذلك أعظم من نقل سائر أخبار الأنبياء والعلماء والملوك والزهاد .

وكذلك حجة فإنهم كلهم متفقون على ما تواتر عنه من أنه لم يحج بعد الهجرة إلا حجة واحدة ، وهى التى تسمى حجة الوداع وإنما عاش بعدها نحواً من ثلاثة أشهر ، وأنه لما حج أمر أصحابه كلهم إلا من ساق الهدى منهم إذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة ، أن يحل من عمرته وأنه لم يعتمر هو ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه بعد الحج إلا عائشة وحدها ، وأنه هو نفسه لم يحل من حجة ولا أحد ممن ساق الهدى معه ، وإنما اشتبه على بعضهم بعض ألفاظه ، أو بعض الأمور التي تخفى على أكثر الناس ، وكان الصحابة ينقلون تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرادهم بالتمتع أنه قرن بين العمرة والحج ، فظن بعض الناس أنهم أرادوا أنه أخر الإحرام إلى أن قضى العمرة وروى بعض الصحابة أنه أفرد الحج فظن بعض الناس أنهحج واعتمربعد الحج ، وهذا لم يقله أحد من العلماء : بل اتفقوا على أنه لم يعتمر بعد الحج ، وروى بعض الصحابة أنه قرن فظن بعض الناس أنه طاف طوافين وسعى سعيين ، وهذا لم ينقله أحد عنه وكان من أسباب غلط كثير من الناس ، أنهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ فى معان غيرما استعمله فيها الصحابة ، فغلط بعض الناس على بعض الصحابة ، وأما ما فعله فى الحج مشهوراً فهو متواتر لم يختلف فيه النقل ، ولا علماء النقل ومن تدبر هذه الطريقة أفادته علماً يقيناً قطعياً بصحة هذه الآيات عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الطرق المتقدمة ، فإنا قد ذكرنا أن ما كان الناس أحوج إلى معرفة يسر الله ودلائله للناس ، أعظم من تيسيره غيره ، وحاجة الخلق إلى تصديق الرسول أشد من حاجتهم إلى جميع الأشياء ، إذ بذلك تحصل سعادتهم فى الآخرة ونجاتهم من العذاب وبه يحصل صلاح العبادة فى المعاش والمعاد .

الطريق الخامس : أن تقول ما من صنف من أصناف العلماء إلا وقد تواتر عندهم من الآيات ما فيه كفاية ، فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، وكتب السير والمغازى والتواريخ مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، وإن لم يكن هذا مقصوداً منها وإنما المقصود من الأحكام ، لكنهم فى ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها من الآيات ما هو متواتر عندهم ، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقينى ، فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف ، وهذه الطرق وغيرها مثل طريق الإقرار والتصديق وطريق التواتر المعنوى ، وطريق تصديق أهل الحديث والعلم بها وغير ذلك ، يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة ، وهذا أقل ما يكون ، ويستدل بها على تواتر جنس جنس كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور والشرا ب ، وعلي تواتر نوع منها كتواتر نبع الماء من بين أصابعه ، وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل ، وتواتر شخص شخص منها كتواتر حنين الجذع إليه وأمثال ذلك ، وكلما أمعن الإنسان فى ذلك النظر ، واعتبر ذلك بأمثاله ، واعتبر وأعطاه حقه من النظر والاستدلال ، ازداد بذلك علماً ويقيناً ، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة ، فليس فى الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه ، أظهر من ذلك وما من حال أحد من الأنبياء والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته إلا والعلم بأحوال محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من العلم به وأبين ، نقله أكمل وأتم ، وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن ، كالعلم بالبلاد البعيدة ، كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان ، والهند والصين والأندلس ، وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند ، وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر ، وعلم أهل الهند بالعراق والشام ، وأمثال ذلك من

علم أهل البلاد بعضهم بحال بعض ، إلا و علم الإنسان بحال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وما هم عليه من الدين وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه ، أظهر من علمه بهذا كله .

وهذا مما يبين أنه ليس فى الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة إلا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٨] .

وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه ، وذلك إنما يتم بالعلم بما ينقل على محمد من آياته ، التى هى الأدلة ، وشرائعه التى هي المدلول ، والمقصود بالأدلة ، فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبيانًا على كل دين ، كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين ، والحمد لله رب العالمين

كما أنه ما من دليل عقلى يستدل به على مدلول ، إلا والأدلة على آيات الرب أكثر وأكثر والحمد لله رب العالمين .

الطريق السادس : أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة فى ذكر آياته وبراهينه المنقولة فى الأخبار ، وجردوا لذلك كتبًا مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ أبى بكر البيهقى ، وقبله دلائل النبوة : للشيخ الحافظ أبى نعيم الأصبهانى ، وقبله دلائل النبوة : لأبى الشيخ الأصبهانى ، ولأبى القاسم الطبرانى ، وقبلهما دلائل النبوة للإمام الحافظ أبى زرعة الرازى ، وللشيخ المصنف أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا ، وللإمام أبى إسحاق الحربى ، وللمصنف الحافظ أبى جعفر الفريابى ، وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه المسمى بالوفا فى فضائل المصطفى ، وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى دلائل النبوة ، وهؤلاء وغيرهم يذكرون ما يذكرون

بالأسانيد المعروفة ، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة ، وهؤلاء منهم من يميز فيما يذكره من الأحاديث بين ما فى صحيحى البخارى ومسلم ، وما فى غيرهما وإن كان صحيحًا أيضًا كالبيهقى وابن الجوزى والمقدسى .

ومنهم من يذكرون ذلك جميعه بأسانيده ، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه إلى أن يذكر من رواه البخارى ومسلم ، كأبى زرعة شيخ مسلم ، وأبى الشيخ وأبى نعيم وغيرهم .

وآخرون يذكرونه ما يذكرونه معزواً مسنداً إلى ما رواه وأن لم يذكروا إسناده كما يفعله القاضى عياض السبتى فى كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفى .

ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك ، وطرق أخرى يبين صحته كما يفعله كثير من النظار ، كالقاضى : عبد الجبار والجاحظ والماوردى القاضى ، وسليم الرازى الفقيه ، وأضعاف هؤلاء وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته ، وبراهين رسالته ، أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه .

مثل حجة الوداع وعمرة الحديبية ، وصد المشركين له ، ومصالحته إياهم ، وحله هو وأصحابه بالحديبية ، ورجوعهم ذلك العام ، وفتح خيبر عقب ذلك ، وعمرة القضية ، وعمرة الجعرانة ، ومثل حصاره لأهل الطائف قبل ذلك ، وفتح مكة قبل ذلك ، ومثل غزوة النصارى عام تبوك ، وإرساله جيشًا لغزوهم بمؤتة من مشارق الشام ، قريبًا من الحصن المسمى بالكرك ، ومثل غزو اليهود بخيبر وغزو اليهود قبل ذلك لمن كان عند المدينة مثل بنى قينقاع ، والنضير وقريظة ومثل إرساله أبا بكر أميرًا على الحج سنة تسع ، ونبذه العهود ومناداته أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومثل هجرته مع أبى بكر وغلامه عامر بن فهيرة ورجل ثالث كان دليلا لهم ، ومثل ما تواتر عنه أنه كان يصلى بالمسلمين يومى العيدين الفطر

والنحر ، بالمصلى خارج المدينة، لم يكن يصلى العيد فى مسجده إلا مرة ، نقل أنه صلى فى المسجد لأجل المطر ولم يكن على عهده يصلى أحد بالمدينة صلاة العيد إلا خلفه ، لم يكن يصلى صلاتى عيد على عهده أبى بكر وعمر وعثمان وأول من فعل ذلك على بن أبى طالب لما كثر الناس وضعف أقوام عن الخروج إلى الصحراء استخلف من يصلى بهم فى المسجد ، وكما تواتر عنه أنه كان يصلى الجمعة بأذان وإقامة لا يؤذن لها إلا إذا قعد على المنبر ، وكذلك كان الأمر على عهد أبى بكر وعمر ، فلما كان فى أثناء خلافة عثمان كثر الناس فأمر بالنداء الثالث على دار قريبة من المسجد من جهة المشرق يقال لها الزوراء وكما تواتر أن مسجده بناه باللبن وسقفه بجذوع النخل وكانت حجر أزواجه قبلى المسجد ، وشرقيه ، فلما كثر الناس زاد فيه عمر ثم زاد فيه عثمان ، وبناه بالقصة والحجارة ، ثم فى إمارة الوليد أمر نائبه عمر ابن عبد العزيز أن يشترى الحجر ، ويزيدها فى المسجد فدخلت حجرة عائشة التى دفن فيها هو وأبو بكر وعمر فى المسجد ، من حينئذ ، وإنما كانت فى حياته خارجة عن مسجده إلى سنة إحدى وتسعين ، وقال فى مرض موته (١) : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، ويحذر ما فعلوه ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذمسجداً .

وكما تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ، ووقت غروبها ، وكما تواتر عنه أنه يضحى فى عيد الأضحى ، بل تواتر عند أهل العلم بأحواله تروكه المشهورة ، وكما تواترت أفعاله المشهورة فتواتر أنه لم يكن يؤذن للعيدين ولا للكسوف ولا للاستسقاء ، وأنه صلى فى الكسوف ركعتين فى كل ركعة صلاة طويلة ، وتواتر أنه يكان طوف بالبيت سبعًا ، ويصلى ركعتين بعد الطواف .

---

(١) تقدّم تخريجه

وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعًا ، ولم يكن يصلى بعد السعى بالصفا والمروة ركعتين ، وتواتر أنه كان يواصل وينهى أصحابه عن الوصال ، ويقول (١) : « إنى لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » وأنه لم يفرض صومًا إلا صوم شهر رمضان ، ولم يفرض الحج على المستطيع إلا مرة فى العمر ، وإنه فرض الصلوات الخمس على كل بالغ عاقل ، إلا الحائض والنفساء ، وإنه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة ،وكان الحيض يؤمرون بقضاء الصوم ، ولا يؤمرون بقضاء الصلاة ، وأنه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة وأمر بالوضوء عند الصلاة لمن بال أو تغوط ، أو خرج منه ريح أو مذى وإنه رخص فى الاستجمار بثلاثة أحجار ، ونهى عن الاستجمار باليمين ونهى عن الاستجمار بالعظم والبعر ، وقال إنها زاد إخوانكم من الجن ، وإنه لم يكن يجمع المسلمين ، لا على سماع كف ، ولا دف ، ولا رقص ، ولا صعق ، ولا هو ولا أصحابه ، عند سماع القرآن ، بل كانوا توجل قلوبهم ، وتقشعر جلودهم وتدمع عيونهم ، وإنه لم يكن على عهده وعهد خلفائه ، أبى بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى تعاد امرأة مطلقة إلى زوجها بنكاح ، يقصد به التحليل ظاهراً ، بل لعن المحلل والمحلل له ، لأن ذلك ربما فعل سرا ، وإنه أمر بعيادة المريض ، وتشييع الجنازة ، وإفشاء السلام ، وإجابة الدعوة ، إنه كان يصلى على الميت وكان يكبر عليه أربع تكبيرات ، وقد كان أحيانًا يكبر سبعًا ، أو خمسًا ، وأمر بتغسيل الميت وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه ، وأنه حرم كل مسكر ، حرم بيع الدرهم بالدرهمين ، والدينار بالدينارين والصاع بالصاعيين ، من :

---

(١) « متفق عليه »

رواه البخاري في كتاب « الصوم » باب « الوصال » (٢٣٨/٤ ح ١٩٦٣) و رواه أيضاً برقم (١٩٦٧)

ورواه مسلم في كتاب « الصوم » باب « النهي عن الوصال في الصوم » (٧٧٦/٢ ح ١١٠٥)

ورواه النسائي في الكبري في كتاب « الصيام » باب « النهي عن الوصال » (٢٤٢/٢ ح ٣٢٦٦) و في الباب عن أنس و عبد الله بن عمر وأبي هريرة

الحنطة والشعير ، والتمر ، والزبيب وأنه أمر بصدقة الفطر ، صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير ، وأنه أباح الدواء .

وقال : تداووا عباد الله ، فإنه لم ينزل داء ، إلا نزل له دواء إلا السام . والسام : الموت ، وإنه كان يتدواى بالحجامة وغيرها .

وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث ، سوى ما فى القرآن فى صفة الجنة والنار ، وذكر العرش ، والملائكة ، والجن ، وإرساله إلى الثقلين ، وما ذكره من أسماء الله ، وصفاته ، وما أخبر به من فتنة الإنسان فى قبره ، ومن عذاب القبر ونعيمه ، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته وخروجهم من النار بشفاعته ، وشفاعة غيره ، ومن ذكر حوضه وما أخبر به من رؤية الله يوم القيامة ، ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك .

وما تواتر عنه من أنه كان يرسل رسلا إلى الملوك يدعوهم إلى الإيمان بالله وبما جاء به ، كما أرسل إلى ملوك اليمن ، وإلى ملوك الشام ، ومصر ، والعراق ، وإلى ملوك المشركين واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، بعد ما حارب اليهود مرة بعد مرة.

وما تواتر عنه من كان إذا سافر من المدينة استخلف خليفة ، وإنه كان يستكتب كتابًا يكتبون له ، وإنه كان يركب الخيل ، والإبل ، والبغال ، والحمير وإنه رجم الزانى المحصن ، مرة بعد مرة ، وقطع يد السارق ، وجلد شارب الخمر ؛ وإنه كان يصلى فى السفر الرباعية ركعتين وإنه جمع بين الصلاتين : الظهر والعصر بعرفة وفى مزدلفة جمع بين المغرب والعشاء ، وإنه كان يصلى بمنى ركعتين ركعتين ، وإنه أمر المسلمين كلهم فى حجة الوداع أن يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدى ، فإنه أمره أن يبقى على إحرامه ، وإنه هو لم يحل من إحرامه ، ولا اعتمر بعد الحج لا هو ولا أحد ممن حج معه إلا عائشة ، لكونها كانت حائضًا ، وأن شهر رمضان فرض فى السنة الثامنة من الهجرة ، فصام تسع رمضانات .

وإنه كان له أربع بنات وثلاثة بنين ، وكان يُكنّى بأكبر أولاده القاسم فيدعى أبا القاسم ، وإنه تزوج بنتى أبى بكر وعمر ، وإنه زوج عثمان بابنتيه ، وزوج عليًا بنتًا ، وإنه آمن به من أعمامه حمزة والعباس ، ولم يؤمن به أبو لهب ولا أبو طالب ، مع أن أبا طالب كان يحوطه ويذب عنه .

وأنه استخلف أبا بكر ليصلى بالناس لما مرض وثقل عن الصلاة لم يصل أحد بإذنه مع حضوره غير أبى بكر في مرض موته ولما ذهب ليصلح بين بنى عمرو بن عوف ، وإنه كان من خواص أصحابه ، العشرة أبوبكر، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وغير هؤلاء ، كعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة ، وأبى طلحة ، وأبى أيوب ، وأسيد بن حضير ، وأضعاف هؤلاء .

وأنه بايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة ، أو خمسمائة ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾ ، [سورة الفتح : ١٨]

وإنه لما قدم المدينة بنى مسجدًا كان فى شماليه صفة يأوى إليها الغرباء ، وأن المهاجرين والأنصار كلهم أسلموا طوعًا بلا رغبة ، ولا رهبة ، وأن المهاجرين آذاهم الكفار إيذاء عظيمًا حتى هاجر منهم طائفة إلى الحبشة عند النجاشى وأن النجاشى آمن به ، وإنه لما مات أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بموته يوم مات ، وأنه صلى عليه بأصحابه كما يصلى على الميت الحاضر .

وأنه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة ، ويخطب فى العيد بعد الصلاة ، وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا يؤذن للعيدين ، ولا لغير الصلوات الخمس وأن بلالا كان يؤذن له بالمدينة هو وابن أم مكتوم الأعمى ؛ وكان سعد القرض يؤذن

لأهل قباء ، وأقام أبا محذورة يؤذن لأهل مكة .

وكما تواتر عنه وعن خلفائه ، أنهم لم يكونوا بمنى يصلون صلاة عيد ، بل يرمون جمرة العقبة وينحرون ، كما أمر أهل الأمصار أن يصلوا ، ثم ينحروا إلى أمثال هذه الأمور مما هي متواترة عند كل من كان عالمًا بأحواله .

ومنها ما هو متواتر عند جميع الأمة ومنها ما هو متواتر عند جمهورها ، وليس منها شئ إلا وتواترت آياته وبراهينه التي تذكر في القرآن أعظم من تواتر هذه الأمور والكتب المصنفة في آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الأحاديث أضعاف أضعاف ما يوجد من الأحاديث في مثل هذه الأمور ، بل كل صنف من أصناف آياته من الأحاديث أضعاف مايوجد في مثل ذلك ، كتواتر إخباره بالغيوب المستقبلة ، وتواتر تكثيره للطعام مرات متعددة ، وتواتر تكثيره للطهو والشراب مرات متعددة ، إما ينبع الماء بين أصابعه ، وإما بفيضان الينبوع الذي يضع فيه بعض آثاره ، وإما بفيضان الماء من الوعاء الذي يبارك فيه والماء باق بحاله لم ينقص .

فالأحاديث المتواترة في مثل هذه الأنواع أكثر من الأحاديث المتواترة في مثل تلك الأمور ، التي هي متواترة .

ولهذا كان شهرة هذه في الأمة ، وفي أهل العلم بأحواله ، وأعظم من شهرة كثيرة من تلك الأمور .

والمقصود هنا أن تواتر أنواع آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من أمور كثيرة ، وهي متواترة عند الأمة ، أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث ، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن ، فإن تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع حتى بينوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات ، وهذان غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به .

وهذه الأجناس الثلاثة غير ما في شريعته التي بعث بها ، وغير صفات أمته وغير

ما بذل من المعرفة بسيرته وأخلاقه ، وصفاته ، وأحواله ، وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به . وعقوبته ، و انتقامه ممن كفر به ، كما فعل بالأنبياء المتقدمين ، فإن تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشراً الإحاطة به إذا كان الإيمان به واجباً على كل أحد .

فبين الله لكل قوم ، بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين كما أن دلائل الربوبية وآياته أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول ولكل قوم ، ولكل إنسان من الدلائل المعينة التى يريه الله إياها فى نفسه وفى الآفاق مالا يعرف أعيانها قوم آخرون ، قال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣] والضمير فى ذلك عائد إلى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء ، كما يدل على ذلك القرآن بقوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو شقاق * بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ ، [سورة فصلت : ٥٢ ،٥٣] .

وقد قيل : إن الضمير عائد إلى الله ، والصواب : الأول كما قال : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به ﴾ وهذا هو القرآن . ثم قال بعد ذلك :﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣]

ثم قال : ﴿ أو لم يكف بربك أنه علي كل شئ شهيد ﴾ ، [سورة فصلت : ٥٣].

فأخبر أنه سيرى الناس فى أنفسهم ، وفى الآفاق من الآيات العيانية المشهودة والمعقولة ما تبين أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق ، فيتطابق العقل ، والسمع ، ويتفق العيان والقرآن ، وتصدقه المعاينة للخبر .

وإذا كان القرآن حقًا لزم كون الرسول الذى جاء به صادقًا ، وأن الله أنزله وأنه يجب التصديق لما أخبر والطاعة لما أوجب وأمر ، ذلك يتضمن إثبات الصانع

وتوحيده ، وأسماءه ، وصفاته ، وإثبات النبوات وإثبات المعاد ، وهذه هى أصول العلم والإيمان التى علقت بها السعادة والنجاة.

فصل

وآيات النبوة وبراهينها تكون فى حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته ، ولاتختص بحياته فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة ، أو حال التحدى كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لا بد من آيات فى حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح (١) : « ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » .

وقد قال تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ، [سورة إبراهيم : ١] ، وإلى قوله :﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله ﴾ ، [سورة إبراهيم : ٥] ، إلى قوله : ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفرلكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ ، [سورة إبراهيم : ٩ ، ١٠] .

فأخبر أن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أتتهم رسلهم بالبينات ، فعلم أنهم جاءوا بالبينات .

وقال : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴾ ،

---

(١) تقدم تخريجه

[سورة فاطر : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابًا أليمًا * وعادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرًا * وكلا ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيرا ﴾ ، [سورة الفرقان : ٣٧ : ٣٩] .

فأخبر أنه سبحانه ضرب الأمثال لجميع هؤلاء الذين أرسلهم إليهم وأهلكهم ، فلم يعاقبهم إلا بعد أن أقام عليهم الحجة .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قلبك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ ، [سورة النحل : ٤٣ ، ٤٤]

فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالاً يوحى إليهم ، لم يرسل إليهم ملائكة ولانساء ، وأنه أرسلهم بالبينات .

والزبر : جمع زبور ، وهى الكتب ، فإن منهم من أنزل عليه الكتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذى قبله .

وقال تعالى :﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير* وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ﴾ ، [سورة فاطر : ٢٤ ، ٢٥].

أخبر أنه ليس أمة من الأمم إلا خلا فيها نذير ، كما قال : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، [سورة النحل : ٣٦] .

ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ، وهذا من عطف الخاص على العام ، لاختصاصه بوصف يختص به كقوله : ﴿ وملائكته وجبريل وميكال ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٨] ، فإن الزبر من البينات والكتاب المنير من الزبر وهوكقوله : ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ ، [سورة الحج : ٨] ، [سورة لقمان : ٢٠] فإن الهدى من العلم ، والكتاب المنير من الهدى .

وبين أنه أخذ الذين كفروا بربهم ، وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال : ﴿ فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ ، [سورة فاطر : ٢٥] ، وهذه السورة مكية .

ثم أنزل فى آل عمران وهى مدنية فى سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيره فقال :﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * وإنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٥:١٧٢] أى يخوفكم أولياءه كما قاله جمهور العلماء .

ثم قال : ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئًا ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٦] وسياق الكلام فى بيان أن الكفار لا يضرون الله ولا عباده المؤمنين ، بل ضررهم على أنفسهم وأن ما حصل لهم من نعمة إنما هو استدراج وإملاء ، إلى أن قال : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد* الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن

لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٨١ : ١٨٣] ، بين سبحانه أن هذا القول منهم مع أنه كذب فلم يقولوه إلا دفعًا للحق لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك ، إذا قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات والقربان الذى تأكله النار ، ومع هذا قتلوهم ، الكلام فى مثل هذا الجنس الذى يوالى بعضهم بعضًا ويتبع بعضهم بعضًا كاليهود الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك .

ولهذا يخاطبهم بصيغة الخطاب كقوله : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ ، [سورة البقرة : ٥٠] إلى قوله :﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ، [سورة البقرة : ٥٥] .

فالخطاب لجنس بنى إسرائيل وإن كان الذين عاينوا ذلك ماتوا .

ثم قال : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴾ ، [سورة فاطر : ٤] .

فحذف هنا الفاعل وبنى الفعل للمفعول ، إذ المقصود هنا تسلية الرسول وتعزيته لا ذكر عقوبة المكذبين فلهذا كانت هذه أخص من تلك .

فصل

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم ، فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل صدقهم ، كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر ، وإهلاك قوم صالح بالصيحة ، وإهلاك قوم شعيب بالظلة ، وإهلاك قوم لوط بقلب مداينهم ورجمهم بالحجارة ، وكإهلاك قوم فرعون بالغرق .

وقد ذكر الله هذه القصص فى القرآن فى غير موضع ، وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم ، كما ذكره فى سورة الشعراء لما ذكر قصة موسى قال : ﴿ إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ ، [سورة الشعراء ٨]

ثم ذكر قصة إبراهيم وقال في آخرها : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ ، [سورة الشعراء : ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠]

وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط وشعيب ، ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ، ومن لسان الصدق بالثناء والدعاء لهم ، ولمن آمن بهم كما قال تعالى في قصة نوح : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين ﴾ ، [سورة الصافات : ٧٩]

وكذلك في قصة إبراهيم : ﴿ وتركنا عليه الآخرين في سلام على إبراهيم ﴾ ، [سورة الصافات : ١٠٩] أي تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون وكذلك في قصة موسى وهارون : ﴿ سلام على موسى وهارون ﴾ ، [سورة الصافات : ١٢٠] ﴿ وسلام على إلياسين ﴾ ، [سورة الصافات : ١٣٠] وكذلك في قصة إبراهيم قال تعالى : ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ ، [سورة مريم : ٤٩ ، ٥٠]

وقال في قصة فرعون : ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ ، [سورة القصص : ٣٩ : ٤٢]

ولهذا قال تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾ ، [سورة يوسف : ١١١] قال لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ ، [سورة هود :٤٩]

فأخبر أن العاقبة للمتقين ، ثم إنه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة ، ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة ، كما قال عن أهل النار : ﴿ لو كنا نسمع أو

نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ ، [سورةالملك : ١٠]

كما ذكر الله الطريقين فى قوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز* الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ ، [سورة الحج : ٤٠ :٤١]

ثم قال : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير * فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ ، [سورة الحج : ٤٢ : ٤٥]

ثم قال : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ ، [سورة الحج : ٤٦]

وقال تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا فى البلاد هل من محيص * إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ، [سورة ق : ٣٦ ، ٣٧]

وقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أى كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ ، [سورة الروم : ٩ ، ١٠]

وقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه

قوى شديد العقاب ﴾ ، [سورة غافر : ٢١ ، ٢٢]

وقال تعالى : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبةالذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ ، [سورة غافر : ٨٢ ، ٨٥]

وقال لما قص قصص نوح ، و هود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، موسى فى سورة هود : ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصة عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تتبيب * وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، [سورة هود : ١٠٠ ، ١٠٢]

ولما ذكر قصة لوط فى سورة الصافات قال : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ ، [سورة الصافات : ١٣٨.١٣٧] وفى سورة الحجر : ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إن ذلك لآية للمؤمنين ﴾ ، [سورة الحجر :٧٥: ٧٧]

ثم قال : ﴿ وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ﴾ ، [سورة الحجر : ٧٨ ، ٧٩]الإمام المبين : هو الطريق المستبين الواضح .

بين سبحانه : أن هذه وهذه كلاهما بسبيل الناس يرونها بأبصارهم فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ، ودلالة نصر الله للمؤمنين ، وانتقامه من الكافرين ، على صدق الأنبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لأجل هذا ، أو كون ذاك سبب هذا هو مما يعلم بالاضطرار عند تصور الأمر

على ما هو عليه ، كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية ، وانشقاق القمر عند سؤال مشركى مكة آية ، وأمثال ذلك .

والسؤال المشهور يورد فى هذا الموضوع على قول من ينفى التعليل فى أعمال الله ، أو يجوز على الله كل فعل ؟ حيث قيل لهم على أصلكم لا يفعل الله شيئاً لأجل شئ ، وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة ، لأجل تصديق الرسول ، و لم عاقب هؤلاء لتكذيبهم له ؟ ولم أنجى هؤلاء ونصرهم لإيمانهم به إذا كان لا يفعل شيئاً لشئ عندكم ، فقالوا لهم أيضاً : إذا جوزتم على الرب كل فعل جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب ، ويقال : لهم أيضاً : أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلا بعادة أو خبر الأنبياء، فقيل العلم بصدق النبى لا يُعْلَمُ شئ بخبره ، والعادة إنما تكون فيما تكرر ، كطلوع الشمس ، ونزول المطر ونحو ذلك ، والإتيان بالخارق للتصديق ليس معتاداً .

فيقال فى جوابه : هذا السؤال إن كان متوجهاً فإنما يقدح فى قول هؤلاء الذين يقولون : لا يفعل شيئاً لأجل شئ ، ويجوزون عليه فعل كل شئ ممكن لا ينزهونه عن فعل من الأفعال ، وليس عندهم قبيح وظلم إلا ما كان ممتنعاً ، مثل جعل الشئ موجوداً معدوماً ، وجعل الجسم فى مكانين ، ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة فى إبطال مذهبهم ، وقالوا قولهم يقدح فى العلوم الضرورية ، ويسد باب العلم بصدق الرسل ، قالوا إذا جوزتم أن يفعل كل شئ فجوزوا أن تكون الجبال انقلبت يقوتاً والبحار لبناً ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه وجوزوا أن يخلق المعجزات على يد الكذابين ، وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء ببيان فساد قولهم ، ولكن المقصود . أن السؤال إن كان متوجهاً ، فإنما يقدح فى قول هؤلاء ، لا يقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء ، وإن الله سبحانه وتعالى نجى موسى ونصره لصدقه ، ونبوته وإيمانه ، وأهلك فرعون لتكذيبه .

وكذلك نصر محمداً ومن اتبعه على من كذبه من قومه ، ونصر نوحاً على من

كفر به ونصر المسيح على من كذبه ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين ، كما قال تعالى :﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ، [سورة غافر : ١ ، ٥] وقال : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ ، [سورة الصافات : ١٧١ : ١٧٣] كما لا يقدح فيما علم بالاضطرار من أن الله يتزل المطر فى إبانه لسقى المزارع ، وإنه يسوق النيل لسقى أرض مصر وإنه جعل أعضاء الإنسان بما فيها من المنافع ، كالبطش باليدين ، والمشى بالرجلين ، والنظر بالعينين والسمع بالأذنين ، والنطق باللسان ، وجعل ماء العين ملحاً لكونها شحمة ، والملوحة تمنعها أن تذوب ، وماء الأذن مراً ليمنع الذباب من الولوج فى الدماغ ، وماء الفم عذباً لطيب الطعام والشراب ، وجعل ماء البحر مالحاً لبقاء الأنام ، فإنه لو كان عذباً فيموت فيه من الحيوان العظيم ، فيفسد الريح فيموت الآدميون والبهائم بهذه الريح إلى مالا يحصى من حكمة الله المشهودة فى خلقه .

ونفاة التعليل يقولون نحن نعلم أن هذا مقارن لهذا بحكم العادة التى أجراها الله وإن لم يخلق شيئاً لشئ وكذلك من نفى الأسباب مع نفى التعليل أيضاً يقولون نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا لا به ، فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم لكن يبقى عليهم ، إن هذا لا يعلم إلا بالعادة ولا عادة فلا جرم رجعوا إلى فطرتهم من أن هذا أمر معلوم بالاضطرار وإن كان مناقضاً لأصلهم الفاسد ، وضربوا له مثلا بالملك الذى أظهر ما يناقض عادته لتصديق رسوله .

لكن يقال لهم : الملك يفعل فعلا لمقصود ، فأمكن أن يقال : إنه قام ليصدق رسوله ، وأنتم عندكم أن الله لا يفعل شيئاً لشئ فلم يبق المثل مطابقاً ، ولهذا صاروا مضطرين بين هذا الموضع تارة يقولون : المعجز دل على الصدق لئلا يفضى إلى تعجيز الرب ، فإنه لا دليل على الصدق إلا خلق المعجز فلو لم يكن دليلا لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق وهذه طريقة الأشعرى فى أكثر

كتبه ، وأحد قوليه ، وسلكها القاضى أبو بكر أحياناً وأبو إسحاق الاسفرائينى ، وأبو بكر بن فورك ، وأبو محمد ابن اللبان ، وأبو على بن شاذان ، والقاضى أبو يعلى وغيرهم .

والثانى قالوا : نحن نكلم بالاضطرار أنه فعل هذا لأجل التصديق كالمثل المضروب ، وهذا هو القول الآخر وهى طريقة أبى الحسن الأشعرى فى أماليه ، وهى طريقة أبى المعالى وأتباعه كالرازى وغيره ، وتنازعوا هل يمكن خلق ذلك على يد كذاب ؟ .

فقيل : لا يمكن ، لأنه لو أمكن لجاز وقوعه ، وقيل بل هو مقدور ، لكن نعلم أنه لا يفعله ، كما نعلم أنه لا يفعل كثيراً من الخوارق المقدورات كقلب الجبل ياقوتاً ، والبحر زئبقاً .

قالوا : فنحن نجوز أشياء ونعلم بالضرورة أنه لا يفعلها ، فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة أن لا يعلم انتفاء وقوعها بل قد علم عدم وقوعها بالاضطرار وإن كنا نقول : إنها ممكنة مقدورة .

وظهور المعجزات على يد الكذاب فى دعوى النبوة من هذا الباب عندنا ،قالوا : المعجز علم على صدق الأنبياء فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه ، وهذا القول حق ، لكن منازعيهم يقولون : هو يستلزم نقيض ما نفوه من كون الله يخلق شيئاً لشئ ويخلق شيئاً بشئ ، وما قالوا من كونه يجوز عليه فعل كل شئ ، وكان ما ذكروه من الحق دليلا على أن الخلق يعلمون ما يعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر ، وأنه سبحانه منزه عن أن يفعل شيئاً لا يجوز منه فعل كل شئ **وهم يقولون هنا** : قد يكون الشئ ممكناً جائزاً مع العلم بأنه غير واقع كانقلاب الجبال ياقوتاً ، والبحر زئبقاً ، وموت أهل البلد كله فى لحظة ومصير الأطفال علماء حكماء فى لحظة واحدة .

وعلى هذا الجواب : يعتمدون كثيراً كما يذكره القاضى أبو بكر ، والقاضى أبو

يعلى ، وأبو المعالى والرازى وغيره ، ثم إنهم يقولون فى العقل : إنه علوم ضرورية كالعلم بوجوب الواجبات ، وامتناع الممتنعات ، وجواز الجائزات فالممتنعات : كانقلاب دجلة دماً ، وأمثال ذلك من الأمور العادية ، فيجعلون العادات واجبة تارة وممتنعة أخرى مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا .

ويقولون : نعلم أن هذا جائز ممكن لا يتوقف على سبب ولا له مانع كالآخر ، ثم نعلم أن هذا واقع ، وهذا غير واقع لمجرد العادة ، مع أن خرق العادة ليس له عنده ضابط ، بل كل ما يخرق من العادات معجزات الأنبياء فيجوز أن يكون عندهم للولى وللساحر .

والفرق بينهما عندهم : التحدى أو عدم المعارضة ، وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون : أسباب الآيات القوى الفلكية ، والقوى النفسانية والطبيعية ، وهذه كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة ، لكن النبى يقصد الخير ، والعدل ، والساحر يقصد الشر ، والظلم .

وكذلك أولئك الذين وافقوا جهماً على أصله فى القدر ، لا فرق عنده بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة ، لكن الولى مطيع لله ، والساحر غير مطيع لله .

هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب فى أفعال الله تعالى .

وجمهور الناس يخالفونه ويقولون : هذا القول فاسد ، بل نفس تصوره كاف فى العلم بفساده ، فإنه إذا تماثل هذا وهذا من كل وجه ، فمن أين يعلم وجود هذا أو وجوبه ، وعدم هذا أو امتناعه .

وإذا قيل : مستندى العادة . قيل له : منازعوك يقولون : هذا باطل من وجهين : أحدهما : إنك أنت تجوز انتقاض العادة و وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به ولا حكمة انتقضت لأجلها ، بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء والسحرة وغير ذلك ولهذا قلتم ليس بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء

والسحرة فرق إلا مجرد اقتران دعوى النبوة ، والتحدى بالمعارضة مع عدم المعارضة ، مع أن التحدى بالمعارضة قد يقع من المشرك بل ومن الساحر فلم يثبتوا فرقاً يعود إلى جنس الخوارق المفعولة ، ولا إلى قصد الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته .

والثاني : أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع يعلم بها اطرادها تارة ، وانتقاضا أخرى ، وبهذا يظهر الجواب عما قالوه : من أن انقلاب الجبل ذهباً والبحر زئبقاً والأناسى قروداً ، ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز ، مع العلم بأنه لم يقع ، فإنه يقال له : الناس لا يسلمون لكم أن هذا ممكن إلا مع لوازمه وانتفاء أضداده ، وحينئذ فيقال : لم قلتم أن هذا لا يستلزم أسباباً تكون قبله ، وموانع ترتفع كسائر ما يحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة فإنه لا يحدث شيئاً إلا بإحداث أسباب ، ودفع موانع .

مثال ذلك : غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب ، بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ ، [سورة القمر : ٩ :١٣]

وكذلك عاد لما أهلكهم ، أرسل عليهم الريح الصرصر سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، كما قال تعالى : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية ﴾ ، [سورة الحاقة : ٦ : ٨]

وكذلك ثمود قال لهم صالح : ﴿ ياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا

في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود ﴾ ، [سورة هود : ٦٤ : ٦٨] وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات : آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شئ إلا بأسباب تقدمته فآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد أن ألقاها ، إما عند أمر الله له بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الخارقة ، وإما عند مطالبة فرعون له بالآية ، وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم .

وكذلك سائر آياته ، حتى إغراق فرعون ، كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا ، وكذلك تفجير الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم .

وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء ، كان يوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع ، أي تفجير الماء من بين الأصابع ، لم يخرج من نفس الأصابع .

وكذلك البئر ، كان ماؤها يكثر إما بالقائه سهماً من كنانته فيها ، وإما بصبه الماء الذى بصق فيها .

وكذلك المسيح ، كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله إلى أمثال ذلك .

فأما جبل ينقلب ياقوتا بلا أسباب تقدمت ذلك ، فهذا لا كان ولا يكون وكذلك نهر يطرد يصب لبنا بلا أسباب تقتضى ذلك يخلقها الله فهذا لا كان ولا يكون ، ومن قال إن الشئ ممكن ، فهذا يعنى به شيئان : يعنى به الإمكان الذهني ، والإمكان الخارجي .

فالإمكان الذهني : هو عدم العلم بالامتناع ، وهذا ليس فيه إلا عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالإمكان ، فكل من لم يعلم امتناع شئ كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار ،

لكن هذا ليس بعلم بإمكانه ، ومن استدل على إمكان الشئ بأنه لو قدر لم يلزم منه محال من غير بيان انتفاء لزوم كل محال ، كما يفعله طائفة من أهل الكلام ، كالآمدى ونحوه لم يكن فيما ذكره إلا مجرد الدعوى .

وأما الثانى : وهو العلم بإمكان الشئ فى الخارج ، فهذا يعلم بأن يعلم وجوده أو وجود نظيره ، أو وجود ما هو أقرب إلى الامتناع منه ، فإذا كان حمل البعير للقنطار ممكناً كان حمله لتسعين رطلا أولى بالإمكان ، وبهذه الطريقة يبين الله فى القرآن إمكان ما يريد بيان إمكانه ، كاحياء الموتى والمعاد فإنه يبين ذلك تارة ببيان وقوعه ، كما أخبر أن قوم موسى قالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم الله من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ ، [سورة البقرة : ٥٥، ٥٦]

وكما أخبر عن المقتول الذى ضربوه بالبقرة فأحياه الله كما قال : ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ ، [سورة البقرة : ٧٢ ، ٧٣]

وكما أخبر عن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم .

وكما أخبر عن الذى : ﴿ مر على قرية وهى خاوية عل عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٥٩]

وأخبر سبحانه بنظير ذلك فى قصة إبراهيم حيث قال : ﴿ رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن

إليك ثم آجعل على كل جبل منهن جزءا منهن ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٦٠]

واستدل سبحانه بما هو أعظم من ذلك ، وهو النشأة الأولى ، قال : ﴿ أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ، [سورة يس : ٨١] وقال : ﴿ إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ ، [سورة الحج : ٥]

فاستدل سبحانه على إمكان الإحياء بابتداء خلق الحيوان وبخلق النبات وذكر ذلك فى القرآن فى غير موضع ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود : أن قول القائل هذا ممكن ، لا يحتاج إلى دليل لا يكفى فى العالم بإمكانه عدم العلم بامتناعه ، والله سبحانه على كل شئ قدير .

والممتنع ليس بشئ باتفاق العقلاء ، وكل ما خلقه الله فلا بد أن يخلق لوازمه ويمتنع أضداده وإلا فيمتنع وجود الملزوم بدون اللازم ، ويمتنع اجتماع الضدين وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ولا أضداده المنافية لوجوده .

فالجزم بإمكان وجوده بدون العلم بلوازمه وإمكانها وأضدادها وانتفائها جهل ، والله سبحانه قادر على تغيير ما شاءه من العالم ، وهو يشق السموات ويسير الجبال وينسفها نسفاً ، فيجعلها هباء منبثا ، إلى أمثال ذلك مما أخبر الله به ، كما يخلق سائر ما يخلقه بما يسره من الأسباب ، وهذا مبسوط فى موضع آخر .

والمقصود هنا : أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث فى حياتهم وبعد موتهم ، فقيل : مثل أخبار من تقدم من الأنبياء ، ومثل الإرهاصات

الدالة عليه .

وأما حين المبعث فظاهر ، وأما فى حياته فمثل نصره ، وإنجائه وإهلاك أعدائه و أما بعد موته فمثل نصر أتباعه وإهلاك أعدائه ، كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ، [سورة غافر : ٥١] وقال تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ ، [سورة الصافات : ١٧١ : ١٧٣] وقال للمسيح : ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ ، [سورة آل عمران : ٥٥] وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصارالله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ ، [سورة الصف : ١٤]

ومحمد صلى الله عليه وسلم ، جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفى حياته وبعد موته ، وإلى قيام الساعة ، فإن ذكره إلى الساعة وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود فى الكتب المتقدمة ، كما قد بسط فى موضعه وقد تقدم بعض ذلك .

والخليل دعا به فقال فى دعائه لذريته : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾ ، [سورة البقرة : ١٢٩]

ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة ، وكان يحصل له فى مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة قد ذكر طرف منها فى كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التى حصلت لمرضعته لما صار عندها .

ومثل ما شوهد من أحواله فى صغره ، وأما انتصار الله له ولأتباعه وإعلاء ذكره ،

ونشر لسان الصدق له ، وإهلاك أعدائه ، وإذلال من يحاده ويشاقه وإظهار دينه على كل دين باليد ، واللسان ، والدليل ، والبرهان ، فهذا مما يطول وصف تفصيله ، وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثيلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار ﴾ ، [سورة الحشر : ٢]

والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم المؤمنون وإن كانوا يبتلون فى أول الأمر ، فالعاقبة لهم ، كما قال تعالى لما قص قصة نوح ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كانت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ ، [سورة هود : ٤٩]

وفى الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسولا إلى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته ، وكان المشركون حينئذ أعداءه ولم يكونوا آمنوا به فقال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قالوا : الحرب بيننا وبينه سجال ،يدال علينا المرة ، وندال عليه الأخرى .

فقال : كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة .

فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ، ثم يوم أحد ابتلى المؤمنين، ثم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الإسلام .

فإن قيل : ففى الأنبياء من قد قتل ، كما أخبر الله أن بنى إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق ، وفى أهل الفجور من يؤتيه الله ملكًا وسلطانًا ، ويسلطه على المتدينين ،كما سلط بخت نصر على بنى إسرائيل ، وكما سلط كفار المشركين وأهل

الكتاب أحيانًا على المسلمين .

قيل : أما من قتل الأنبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين فى الجهاد شهيداً قال تعالى : ﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا* وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٤٦ : ١٤٨]

ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً فى القتال ، كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفة ، قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ، [سوة آل عمران : ١٤٩] ولهذا قال تعالى : ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾ ، [سورة التوبة : ٥٢]

أى : إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة ، ثم الدين الذى قاتل عليه الشهداء ينتصر ، ويظهر ، فيكون لطائفة السعادة فى الدنيا والآخرة ،من قتل منهم كان شهيداً ، ومن عاش منصوراً سعيداً ، وهذا غاية ما يكون من النصر ، إذا كان الموت لا بد منه ، فالموت على الوجه الذى تحصل بها سعادة الدنيا والأخرى ، أكمل بخلاف من يهلك هو وطائفة ،فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم ، وفعلوا الأسباب التى بها قتلوا كالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فهم اختاروا هذا الموت ، وإما أنهم قصدوا الشهادة ، وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة فى الآخرة وفى الدنيا بانتصار طائفتهم ، وببقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من أهلك من الكفار ، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ، ولم

يحصل لهم ولا لطائفتهم شئ من سعادة الدنيا ، بل اتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم المقبوحين وقيل فيهم : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع و مقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ ، [سورة الدخان : ٢٥ : ٢٩]

وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير ، أى ألوف كثيرة ، وإنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك ، بل استغفروا من ذنوبهم التى كانت سبب ظهور العدو ، وأن الله أتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

فإذا كان هذا قتل المؤمنين ، فما الظن بقتل الأنبياء ، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو أعظم الفلاح .

وظهور الكفار على المؤمنين أحيانًا هو سبب ذنوب المسلمين ، كيوم أحد ، فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم ، كما قد جرى مثل هذا للمسلمين فى ملاحمهم مع الكفار ، وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبى - إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر عليهم ، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبى وجوداً وعدما من غير سبب يزاحم ذلك ، ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة للدائر.

وقولنا من غير مزاحمة وصف آخر يزيل النقوض الواردة ، فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبى ، وإنه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفهم ، وأن يجعل لهم السعادة ، ولمن خالفهم الشقاء ، وهذا يوجب العلم بنبوته وإن من اتبعه كان سعيداً ، ومن خالفه كان شقيًا ، ومن هذا: ظهور بخت نصر على بنى إسرائيل ، فإنه من دلائل نبوة موسى إذا كان ظهور بخت نصر، إنما كان لما غيروا عهود موسى ، وتركوا اتباعه،

فعوقبوا بذلك وكانوا إذا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين ، كما كانوا فى زمن داود وسليمان وغيرهما . فقال تعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسهم وإن أساتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ﴾ ، [سورة الإسراء : ٤ :٨]

فكان ظهور بنى إسرائيل على عدوهم تارة ، وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته ، وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة ، وظهور عدوهم تارة ، هو من دلائل رسالة محمد وأعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم فى حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى .

وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته مع خلفائه ، من أعلام نبوته ودلائلها ، وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحيانًا ، فإن أولئك لا يقول مطاعهم إنى نبى ، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين ، ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم ، بل قد يصرحون بأنا إنما نصرنا عليكم بذنوبكم وإن لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم ، وأيضًا فلا عاقبة لهم ، بل الله يهلك الظالم بالظالم ، ثم يهلك الظالمين جميعًا ، ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ، ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت ، فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم ، وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أوظهور بعضهم على بعض .

وبين أن ظهور محمد وأمته على أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، هو من جنس

ظهورهم على المشركين عباد الأوثان ، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بنى إسرائيل وظهور الكفار على المسلمين ، وهذه الآية مما أخبر بها موسى .

وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لايتم أمره ، وإنم يتم أمر الصادق ، فإن من أهل الكتاب من يقول : محمد وأمته سطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذى نحن عليه ، كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك .

وهذا قياس فاسد فإن بخت نصر لم يدع نبوة ، ولا قاتل على دين ولا طلب من بنى إسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى إلى شريعته ، فلم يكن فى ظهوره إتمام لما ادعاه من النبوة ، ودعا إليه من الدين ، بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق ، إذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا إليه ، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة ، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ،ثم نصره الله وأظهره ، وأتم دينه ، وأعلا كلمته ، وجعل له العاقبة وأذل مخالفيه .

فإن هذا جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة ، فإنه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات التى لم تقترن بدعوى النبوة ، فإنه ليس دليلا عليها ، وقد يغرق فى البحر أمم كثيرة ،فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبى بخلاف غرق فرعون وقومه ، فإنه كان آية بينة لموسى ، وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره ، وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه ، ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب ، لما اقترن بدعواه الإلهية بعض الخوارق ، كان معها ما يدل على كذبه من وجوه منها : دعواه الإلهية وهو أعور ، والله ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث فى الأحاديث الصحيحة ، فأما تأييد الكذاب ونصره وإظهار دعوته دائمًا ، فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه

بالعادة والسنة ، فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكمته ، تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا ، وقد قال تعالى : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًا ولا نصيراً * سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٢ ، ٢٣]

فأخبر أن سنة الله التى لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين .

والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله ، فإذا نقص الإيمان بالمعاصى كان الأمر بحسبه كما جرى يوم أحد وقال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً* استكباراً فى الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ ، [سورة فاطر : ٤٢ ، ٤٣]

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل ، لا تبدل بغيرها ، ولا تتحول ، فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم ؟وكذلك قال المنافقون وهم الكفار فى الباطن دون الظاهر ومن فيه شعبة نفاق ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا* ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٦٠ : ٦٢]

والسنة هى العادة فهذه عادة الله المعلومة ، فإذا نصر من ادعى النبوة وأتباعه على من خالفه ، وإما ظاهراً وإما باطنًا نصراًمستقراً ، فإن ذلك دليل على أنه نبى صادق إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين ، كما أن سننه تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها .

ومن ادعى النبوة وهو كاذب ، فهو من أكفر الكفار ، أو أظلم الظالمين ، قال

تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٣] وقال تعالى : ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ﴾ ، [سورة الزمر : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٦٨] وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٤٤]

ومن كان كذلك كان الله يمقته ، ويبغضه ، ويعاقبه ، ولا يدوم أمره ، بل هو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح عن أبي موسى قال (١) : « إن الله يملى للظالم ، فإذا أخذه لم يفتله » ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، [سورة هود : ١٠٢]

وقال أيضًا فى الصحيح عن كعب بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيمها الرياح تارة وتميلها

---

(١) « متفق عليه»

رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب « وكذلك أخذ ربك .. الآية » (٨/٢٠٥ح ٤٦٨٦)

ورواه مسلم فى كتاب « الأدب » باب « تحريم الظلم » (٤/١٩٩٧، ١٩٩٨ح ٢٥٨٣)

ورواه الترمذى فى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة هود » (٨/٥٣١ ح ٥١١٠)

ورواه النسائى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « وكذلك أخذ ربك ..الآية « (٦/٣٦٥ح ١١٢٤٥)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن » باب « العقوبات » (٢/١٣٣٢ح ٤٠١٨)

(٢) متفق عليه

ورواه البخارى فى كتاب « المرض » باب « ما جاء فى كفارة المرض » (١٠/١٠٧ح ٥٦٤٣)

ورواه مسلم فى كتاب «صفات المنافقين »باب «مثل المؤمن كالزرع (٤/٢٦٣ح ٢٨١٠)

ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « الطب » باب « مثل المؤمن » (٤/٣٥١ح ٧٤٧٩)وقد ورد بنحوه عن أبي هريرة

أخرى ، ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة » .

فالكاذب الفاجر وإن عظمت دولته ، فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ، ولسان السوء له فى العالم وهو يظهر سريعًا ويزول سريعًا ، كدولة الأسود العنسى ومسيلمة الكذاب ، والحارث الدمشقى« ، وبابا الرومى ونحوهم .

وأما الأنبياء ، فإنهم يبتلون كثيرًا ليمحصوا بالبلاء ، فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئًا فشيئًا ، كالزرع ، قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلا من الله ورضوانًا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه - أى فراخه - فآزره - أى قواه - فاستغلظ فاستوى على سوقه -أى قوائمه - يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٩] ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيما ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٩]

ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس ، فاعتبار هذه الأمور وسنة الله فى أوليائه وأنبيائه الصادقين ، وفى أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين ، وبين دلائل النبى الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب .

وقد ذكر ابتلاء النبى والمؤمنين ، ثم كون العاقبة لهم فى غير موضع ، كقوله تعالى :﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ﴾ ، [سورة الأنعام : ٣٤]

وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا

إن نصر الله قريب ﴾ ، [سورة البقرة : ٢١٤]

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قدكذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ، [سورة يوسف : ١٠٩ : ١١١]

فصل

ومما ينبغى أن يعرف ، أن الدلالة نوعان :

نوع : يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه .

ونوع : يحض مع ذلك على الرغبة فيه ، أو الرهبة منه .

فالأول : من جنس الخبر المجرد .

والثانى : من جنس الحث ، والطلب ، والارادة والأمر بالشئ والنهى عنه وذلك كمن أعلم أن فى المكان الفلانى جمادات أو حيوانات أو نبات ليس له فيها غرض ، لا حب ، لا بغض ، فليس هو بمنزلة من علم أن فى المكان الفلانى صديقه وولده ومحبوبه ، وماله ، وأهله ، وأهل دينه ، وفى المكان الفلانى عدوه ، ومبغضه ، ومن يقطع عليه الطريق ، ويقتله ، ويأخذ ماله .

فكذلك دلائل النبوة ، هى كلها تدل علي صدق النبى ، ثم يعلم ما يخبر به النبى من الأمروالنهى والوعد والوعيد ، لأنه أخبر عن الله بذلك وهو صادق فيما يخبربه فهذا طريق صحيح عام .

وإما إثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة ، والسعادة

والنصرة ،وحسن العاقبة ، وما جعله لهم من لسان الصدق ، وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب ، وسوء العاقبة ، وإتباعهم اللعنة فى الدنيا مع عذاب الآخرة ، فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم ، والرهبة من مخالفتهم ، ففيه العلم بصدقهم ، والموعظة للخلق ، والوعظ هو أمر ونهى بترغيب وترهيب ، قال تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً * وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً * ولهديناهم صراطًا مستقيمًا ﴾ ، [سورة النساء :٦٦ : ٦٨] أى : ولو أنهم فلوا ما يوعظون به ، وما يؤمرون به : وقال ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدًا إن كنتم مؤمنين ﴾ ، [سورة النور : ١٧]أى ينهاكم الله أن تعودوا لمثله ، وهذا الطريق أكمل وأبلغ فى حصول المقصود ، فإنها تفيد العلم بصدقهم ، والرغبة من خلافهم ، وتفيد ثبوت صحة الدين الذى دعوا إليه ، وسعادة أهله ، و فساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة أهله .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المجامع الكبار ، كصلاة العيد « بقاف» و« اقتربت الساعة » لما فيهما من بيان ذلك ، سورة قاف ،. كان يقرأ بها الجمعة ، فإنها جامعة لإثبات النبوات والمعاد ، مع ما فيها من التوحيد ، وأصول الشرائع ، وبيان حال متبعى الأنبياء ومخالفيهم فى الدنيا كما قال تعالى فيها : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود* وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ ، [سورة ق : ١٢ : ١٤]

فصل

ومما ينبغى أن يعلم أن الله إذا أرسل نبيًا وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية ثانية ، لم تجب إجابته إلى ذلك بل وقد لا ينبغى ذلك ، لأنه إذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة ، وإذا جاء بثالثة طولب برابعة ، فإن طلب المتعنتين لا أمد له ، ومعلوم أنه من قامت عليه حجة بينة فى مسألة علم أو

حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها لو قال : أنا لا أقبل حتى تقوم عليه الحجة ثانية وثالثة ، كان ظالمًا متعديًا ، ولم تجب إجابته إلى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك ، بل إذا قامت البينة بحق المدعى حكم له بذلك ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية وثالثة ورابعة ، لم يجب إلى ذلك .

فحق الله الذى أوجبه على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا أقام بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله ، أن لا يجيب إجابة الطلب إلى ثانية وثالثة ثم قد يكون فى تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات ، كما أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة ، لعموم دعوته وشمولها ، فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد ، وأظهر وأيسر لمعرفة الحق ، فقد يعرف دلالة الأدلة من لا يعرف الآخر ، وقد يبلغ هذا مالم يبلغ هذا ، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة ويقسى قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات آية بعد آية ، لينشر ذلك ويظهر ، ويبلغ ذلك قومًا آخرين ، فيكون ذلك سببًا لإيمانهم ، كما فعل بآيات موسى وآيات محمد ، كما ذكر فى التوراة أنه يقسى قلب فرعون ، لتظهر عجائبه وآياته ، وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يعارضوه و يمانعوه ، ويسعوا فى معارضته ، والقدح فى آياته ، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهورآياته وبراهينه ، بخلاف مالو اتبع ابتداء بدون ذلك ، فإنه قد كان يظن أنهم قادرون علي معارضته ، وكذلك أيضًا يكون فى ذلك من يقينه ، وصبره وجهاده ، ويقين من آمن به ،و صبرهم ، وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات فى الدنيا والآخرة.

وقد تقتضى الحكمة أن لا يرسل بالآيات التى توجب عذاب الاستئصال ، كما ذكره الله فى كتابه من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التى جاءوا بها فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيها من الحكمة والمصلحة ، وتارة لا يجيبهم لما فى ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين

وغيرهم ؛ الذين يقولون : إنه يفعل للحكمة ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة ، ويقول : اقترن بالمراد المصلحة والمفسدة وعادة وسنة من الله ، وإن لم يفعل هذا لهذا .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه فى إيمانهم بها فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها ، والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر ، كما فعل بفرعون وأبى لهب وغيرهما لما فى ذلك من الحكمة العظيمة ، كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد تبين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها ، أو لوجود المفسدة ، قال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٠٩ : ١١١]

وقال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ ، [سورة الإسراء :٥٩]

بين سبحانه أنه ما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها ، الذين استحقوا بها الهلاك ، فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال وهذا المعنى مذكور فى عامة كتب التفسير والحديث ، وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (١) : « سأل أهل مكة النبى

(١) رواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « التفسير » باب قوله تعالى « وما منعنا أن نرسل بالآيات ....» (٣٨٠/٦ ح١١٢٩٠)

=

ورواه أحمد (٢٥٨/١) وابن جرير فى « تفسيره » (٧٤/١٥)

صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحى عنهم الجبال حتى يزرعوا ، قال : فقيل له : إن شئت تستأنى بهم نجتبى منهم وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم ، قيل : لا بل أستأنى بهم ، فأنزل الله هذه الآية :﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ ، [سورة الإسراء : ٥٩] رواه أحمد والنسائى من حديث جرير عن الأعمش .

وروى الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى أنبأنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال:قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم (١) : « ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا ، ونؤمن لك قال : وتفعلون ؟ قالوا نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرئك السلام ، ويقول : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبًا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين . وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ، قال : بل باب التوبة والرحمة » .

وروى ابن أبى حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال : سمعت الحسن يعنى البصرى فى قوله : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ ، قال : رحمة لكم أيتها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم .

وفى الإنجيل : « أن اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء ، فقال لهم المسيح : الأمة الفاجرة تطلب آية ولا تعطى إلا مثل آية يونان - يعنى ذا

= ورواه الحاكم (٣٦٢/٢) وقال :« صحيح الإسناد » ووافقه الذهبى

ورواه البزار كما فى « كشف الأستار » (٥٥/٣ ح ٢٢٢٤) ورقم (٢٢٢٥، ٢٢٢٦) وقال : لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح إلا من هذا الوجه » وقال الهيثمى فى « المجمع » (٥٠/٧)

رواه أحمد والبزار ورجال الروايتين « رجال الصحيح » وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (١٩٠/٤) لابن المنذر والطبرانى وابن مردويه

(١) رواه أحمد (٢٤٢/١)

النون ـ ﴾ وقد كانت الآيات يأتى بها صلي الله عليه وسلم آية بعد آية ، فلا يؤمنون بها .

قال تعالى :﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون * ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم وأرسلناالسماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين * ولو نزلنا عليك كتابًا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاسحر مبين وقالوا ولو أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكا * لجعلنا * رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون * ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون * قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، [سورة الأنعام : ٤ :١١]

أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم ، وما تأتيهم من آيات إلا أعرضوا عنها وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول ، كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التى هى تكذيب الرسول ، فإن الله يقول : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ ، [سورة القصص : ٥٩]

وأخبربشدة عن قوة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتابًا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم : إن هذا إلا سحر مبين

وبين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل ، إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة فى صورهم ، وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول بشر لا ملك .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا * قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ ، [سورة الإسراء : ٩٠ :٩٥]

وهذه الآيات التى اقترحوها لو أجيبوا بها ولم يؤمنوا بها أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم .

وأيضاً فهى مما لا يصلح الإتيان بها ، فإن قولهم حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً يقتضى تفجير الينبوع بأرض مكة فيصير واديا ذا زرع ، والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذى زرع ، لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا ، فيكون حجهم للدنيا لا لله ، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب ففجر الأنهار خلالها تفجيراً ، كان فى هذا من التوسع فى الدنيا ما يقتضى نقص درجته وانخفاض منزلته .

وكذلك إذا كان له بيت من زخرف ، والزخرف الذهب ، وإما إسقاط السماء كسفاً، فهذا لا يكون إلا يوم القيامة ، وهو لم يخبرهم أن هذا يكون إلا يوم القيامة .

فقولهم : كما زعمت كذب عليه إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسد .

وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلا ، فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة .

قال تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ ، [سورة البقرة : ٥٥ :٥٦]

وأما إنزال الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبيناً * ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً * فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾ [سورة النساء ١٥٣ - ١٦١] .

بين سبحانه أن المشركين سألوه إنزال كتاب ، وأهل الكتاب سألوه ذلك وبين سبحانه أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك ، وإنما سألوه تعنتاً فقال عن المشركين : ﴿ ولو أنزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ ، [سورة الأنعام : ٧]

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك ، وهو رؤية الله جهرة ، فقال : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ ، [سورة النساء : ١٥٣] وأنهم عبدوا العجل لما قال : ﴿ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ﴾ ، [سورة النساء : ١٥٣] ، وأن الله آتى موسى سلطاناً مبيناً ، ورفع الطور فوقهم وقال لهم لا تعدوا فى السبت وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً كما

قال ﴿ وآتينا موسى سلطاناً مبيناً* ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ ، [سورة النساء : ١٥٣ ، ١٥٤] وإنهم مع هذا نقضوا الميثاق ، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا النبيين بغير حق إلى أمثال ذلك ، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات أحلت لهم ، فكان فى هذا من الاعتبار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة المكذبة بك الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التى اقترحوها لم يك فى مجيئها منفعة لهم ، بل فيها ما يوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم ، فلم يؤمنوا بها وبك ، وتغليظ الأمر عليهم ، فكان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة .

وقد عرض الله على محمد صلى الله عليه وسلم أن يهلك قومه لما كذبوه فقال (١) : « بل استأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً » .

كما فى الصحيحين عن عائشة أنها قالت ، للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال (٢) « لقد لقيت قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب فلم يجبنى إلى ما أردت : فانطلقت على وجهى وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على وقال : إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعثنى إليك لتأمرنى بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه برقم .

الأخشبين فعلت ؟ فقال : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » أخرجاه .

ولهذا طلب من المسيح المائدة ، كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابا لم يعذبه أحداً من العالمين .

قال تعالى : ﴿ إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدامن العالمين ﴾ ، [سورة المائدة : ١١٢ : ١١٥]

وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذابا عاجلا يهلك الله به جميع المكذبين ، كما أهلك قوم نوح ، وكما أهلك عادا وثمود ، وأهل مدين ، وقوم لوط ، وكما أهلك قوم فرعون ، وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها فى الأرض ، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال ، بل قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس ﴾ ، [سورة القصص : ٤٣] بل كان بنوا إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصى يعذب بعضهم ببعض ، إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر .

ولهذا لم تزل فى الأرض أمة بنى إسرائيل باقية .

قال تعالى : لما ذكر بنى إسرائيل : ﴿ وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٦٨] ، وقد قال تعالى : ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله

آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ ، [سورة آل عمران : ١١٣ ، ١١٤]

فكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما أرسل محمداً أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال ، كما أهلكت الأمم قبلهم ، بل عذب بعضهم بدون ذلك من أنواع العذاب ، كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ﴾ ، [سورة الحجر : ٩٥ ، ٩٦] فعذب كل واحد بعذاب معروف .

وكالذى دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال فيه (١) : « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » فكان يحترس بقومه فجاءه الأسد فتخطى الحلقة حتى أخذه من وسطها فقتله ، وأمثال ذلك مما هو موجود إلى زماننا هذا .

وقال تعالى للكفار : ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ ، [سورة التوبة : ٥٢]

فأخبر أنه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدى عباده المؤمنين بالجهاد ، وإقامة الحدود ، وتارة بعذاب غير ذلك ، فكان يعذبهم بمثل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم ، كما جرى لقريش وغيرهم ، فإنهم لما كذبوه ، لو أهلكهم ما أهلك فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم ، ولم يبق لهم ذرية تؤمن به بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ولو بالهزيمة والأسر ، وقتل بعضهم ، كما عذبوا يوم بدر ، فإن فى هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم ، والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها ، فلا تكاد تنصرف عنها

---

(١) سبق تخريجه .

بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها ، فإن ذلك مما يدعوها إلى التوبة ، كما يقال : من العصمة أن لا تقدر فكان ما وقع بهم تعجيزاً وزاجرا وداعياً إلى التوبة .

ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك ولم يقتل منهم إلا قليل ، وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة .

كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أبي جهل (١) : « هذا فرعون هذه الأمة » .

وقد ذكر الله لموسى في التوراة أني أقسى قلب فرعون فلا يؤمن بك لأظهر آياتي وعجائبي .

بين أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته الدالة على صدق أنبيائه في الأرض إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له ، فأظهر الله من الآيات ما يبقى ذكرها في الأرض ، وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين ، وفرعون كان جاحدا للصانع ، منكراً لربوبيته لا يقر به ، فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله .

وأما بنو إسرائيل مع المسيح ، فكانوا مقرين بالكتاب الأول ، فلم يحتاجوا إلى مثل ما احتاج إليه موسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا إلى تقرير

---

(١) رواه أحمد (٤٠٣/١، ٤٤٤)
ورواه الطبراني في الكبير (٨٢/٩ح ٨٤٧١) ،(٨٣/٩ح، ٨٤ ٨٤٧٣) ،(٨٤/٩ح ٨٤٧٥)
ورواه البيهقي في « الدلائل » (٨٨/٣)
ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣١٧/٢ح ١٧٧٥) وقال الهيثمي في « المجمع » (٧٩١٦)
رواه أحمد كله والبزار باختصار ، وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه وبقية رجال أحمد رجال « الصحيح » وقال أيضًا في نفس الموضع
رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب ابن أبي كريمة وهو ثقة »

جنس النبوة ، إذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثبت ذلك ، وقومه كانوا مقرين بالصانع ، وإنما كانت الحاجة داعية إلى تثبيت نبوته .

ومع هذا ، فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل ، كما استحقه قوم فرعون ، وهود ، وصالح ، وشعيب وغيرهم .

فلهذا يبين الله فى القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم ، إذ كانوا لا يؤمنون بها ، ولكن تضرهم ، إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حيئنذ ؛ ومع وجود المانع وعدم المقتضى لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ، ومن لم يعلل فلا يطلب سبباً ولا حكمة ، أو يطلب سبباً بلا حكمة ، بل يرد الأمر إلى محض المشيئة .

قال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ ، [سورة الإسراء : ٥٩]

وهو يعلم أن قلوب هؤلاء ، كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك كقوم نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم .

قال تعالى : ﴿ كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون * فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ ، [سورة الذاريات : ٥٢ : ٥٥]

وقال تعالى : ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ ، [سورة البقرة : ١١٨] وقال تعالى عن أهل الكتاب : ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ ، [سورة التوبة : ٣٠]

وقال تعالى : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى

وأمر ﴾ ، [سورة القمر : ٤٣ : ٤٥]

ذكر هذا فى سورة اقتربت التى ذكر فيها انشقاق القمر ، وإعراضهم عن الآيات ، وقولهم : هذا سحر مستمر ، وتكذيبهم واتباع أهوائهم ، فقال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر ﴾ ، [سورة القمر : ١ : ٣]

ثم قال : ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴾ ، [سورة القمر : ٤] أى من أنباء الغيب وما أخبر به ما فيه ، مزدجر : أى ما يزجرهم عن الكفر . إذ كان فى تلك الإنباءات بيان صدق الرسول ، والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون

ولهذا يقول عقيب القصة : ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ ، [سورة القمر : ١٦] أى كيف كان عذابى لمن كذب رسلى ، وكيف كان إنذارى بذلك قبل مجيئهم يبين صدق قوله الذى أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم .

ثم ذكر قصة المكذبين ، كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، إلى قوله ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ ، [سورة القمر : ٤١ : ٤٢] فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الأنبياء قبله ، وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيئته ، إذ كانوا جاحدين للخالق ، منكرين له فكذبوا بآياته كلها .

ثم قال : أكفاركم أيتها الأمة التى أرسل فيها محمد خير من أولئكم الذين كذبوا نوحا ، وهودا وصالحا ، ولوطا ، وموسى ، أم لكم براءة فى الزبر ؟ أم يقولون نحن جميع منتصر ؟ ذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم إما أن يكون لكونكم خيرا منهم ، فلا تستحقون مثل ما استحقوا ، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فتكون لكم البراءة فى الزبر ، فتعلمون ذلك بخبره بأن ما يفعله الله تارة

يعلم بخبره وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله .

فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه ، أو من هذا الوجه ، هذا إن نظر إلى فعل الله الذى لا طاقة للبشر به ، وإن نظر إلى قوة الرسول واتباعه فيقولون : نحن جميع منتصر ، فإنهم أكثر ومنتصرون أقوى من محمد وأتباعه .

كما قال تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ ، [سورة مريم : ٧٣ : ٧٤] أى أموالاً ومنظراً . فقال تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، [سورة القمر : ٤٥] أخبر بهزيمتهم وهو بمكة فى قلة من الأتباع وضعف منهم ، ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يهاجر إلى المدينة ، وقبل أن يقاتلهم .

وكان كما أخبر ، فإنهم يوم بدر وغيرهم هزم جمعهم وولوا الأدبار ، وتلك سنة الله فى المؤمنين والكافرين .

قال تعالى : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً * سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٢ : ٢٣] .

وحيث ظهر الكفار فإنما ذاك لذنوب المسلمين التى أوجبت نقص إيمانهم ، ثم إذا تابوا فكمل إيمانهم نصرهم الله ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٣٩] وقال : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٦٥]

فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لا يهلكهم هلاك الإستئصال ، كما أهلك المكذبين ، وكانت الآيات التى اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال ، كما أهلك الأمم

قبلهم كما قال : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ ، [سورة القمر : ٤٣] كان أن لا يأتي بما يوجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ، ويوضح المحجة أكمل فى الحكمة والرحمة إذ كان ما يأتى به من الآيات حصل به كمال الخير ، والمنفعة ، والهدى ، والبيان والحجة على من كفر ، وما امتنع منه دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يتوبوا . ويؤمنوا ، ويهتدوا ، فكان فى إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة ، مالم يكن فى رسالة رسول قبله صلوات الله عليهم أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، [سورة الأنبياء : ١٠٧]

فصل

جماع الكلام فى النبوة متصل بالكلام فى جنس الخبر ،فإن قول القائل : إنى رسول الله إليكم خبر من الأخبار ، وكذلك وصول كلامه وأفعاله ، وآياته إلينا هو بالأخبار .

والخبر تارة يكون مطابقاً لمخبره كالصدق المعلوم أنه صدق وتارة لا يكون مطابقاً لمخبره كالكذب المعلوم أنه كذب ، وغير المطابق مع التعمد كذب ، ومع اعتقاد أنه صدق لم يكن معذورا كالمفتى بلا اجتهاد يسوغ والمحدث بلا علم يسمى كاذباً أيضاً ، كقوله صلى الله عليه وسلم (١): « كذب أبو السنابل ابن بعكك » وقوله لمن قال : بطل عمل عامر بن الأكوع لما قتل نفسه خطأ (٢) : « كذب من قال ذلك إنه

(١) رواه أحمد (٤٤٧/١)

ورواه البيهقى فى «سننه» (١٤٢٩/٧)، (٢١٠/١٠) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/٥)

رواه أحمد ورجاله رجال «الصحيح»

(٢) سبق تخريجه

لجاهد مجاهد » .

وقد تكون المطابقة فى عناية المتكلم ، وقد يكون فى إفهام المخاطب إذا كان اللفظ مطابقاً لما عناه المتكلم ، ولم يطابق أفهام المخاطب ، فهذا أيضاً قد يسمى كذباً وقد لا يسمى ، ومنه المعاريض لكن يباح للحاجة ، وإن كان الخبر لم يحصل به المقصود ، بل يكون مأموراً بالسكوت عنه إلا مع البينة ، فقد يسمى كاذباً ، كقوله تعالى : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ ، [سورة النور : ١٣] .

والمقصود هنا : أن الخبر قد يعلم أنه صدق ، وقد يعلم أنه كذب وقد لا يعلم واحد منهما ، والعلم بأنه صدق له معنيان :

أحدهما : أن يعلم أنه مطابق لمخبره من جهة المخبر ، كمن أخبرنا بأمور نعلم أنها حق بدون خبره .

والثانى : أن يعلم أن المخبر به صادق فيه ، وقد يجتمع الأمران بأن يعلم ثبوت ما أخبر به ، ويعلم أنه صادق فيه ، وقول محمد : أني رسول الله ، وهو من هذا الباب ، كما سنبينه إن شاء الله .

وكذلك كونه كذباً قد يراد به أنه على خلاف مخبره ، وإن كان لم يتعمد الكذب وقد يعنى به أن صاحبه يتعمد الكذب . ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانها على نوعين :

تارة يعلم أن صاحبها تعمد الكذب .

وتارة يكون قد غلط ، والصحابة لم يعرف فيهم من يتعمد الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكذلك جمهور التابعين لم يعرف فيهم من كان يتعمد الكذب ، ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف أنه كان فيها من يتعمد الكذب ، بخلاف غيرهم من أهل

الأهواء ، كالخوارج ، فإنه لم يكن فيهم من يعرف بالكذب بل يقال : هم من أصدق الناس حديثاً ، والرجل الفاسق المعروف أنه يكذب لا بد أن يصدق فى بعض أخباره ، فلا يكون فى الناس من لا يخبر إلا بكذب .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ، [سورة الحجرات : ٦] وفى القراءة الأخرى : (فتثبتوا) فأمر بالتبين والتثبت إذا أخبر الفاسق بخبر ، ولم يأمر بتكذيبه بمجرد إخباره ، لإنه قد يصدق أحياناً .

ولما أمر سبحانه بالتبين والتثبت فى خبر الفاسق دل ذلك على أنه لا يجوز تصديقه بمجرد إخباره ، إذا كان فاسقاً ، فقد يكذب ، ولا يجوز أيضاً تكذيبه قبل أن يعرف أنه قد كذب وإن كان فاسقاً ، لأن الفاسق قد يصدق وهـذا كما قال تعالى : ﴿ يا أيهاالذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ﴾ ، [سورة النساء : ٩٤]

فأمرهم بالتبين والتثبت فى الجهاد ، وأن لا يقولوا للمجهول حاله ، لست مؤمناً يبتغون عرض الحياة الدنيا ، فيكون إخبارهم عن كونه ليس مؤمناً خبراً بلا دليل ، بل لهوى أنفسهم ليأخذوا ماله ، وإن كان ذلك فى دار الحرب إذا ألقى السلام ، وفى القراءة الأخرى : المسلم ، فقد يكون مؤمناً يكتم إيمانه ، كما كنتم أنتم من قبل مؤمنين تكتمون إيمانكم ، فإذا ألقى إليكم السلام فذكر أنه مسالم لكم لا محارب ، فتبينوا وتثبتوا ، لا تقتلوه ولا تأخذوا ماله حتى تكشفوا أمره ، هل هو صادق أو كاذب ؟

وهذا خبر يتضمن دعوى له ، فإن المدعى مخبر ، والمنكر مخبر ، والمقر مخبر ، وكما نهاهم عن تكذيب المدعى بلا علم ، ونهاكم عن تصديق المنكر المتهم الذى يرمى البرئ بلا حجة وتبرئته وتزكيته بلا علم ، فقال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * واستغفر

الله إن الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعلمون محيطاً * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا * ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً * ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً * ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ ، [سورة النساء : ١٠٥ : ١١٣]

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عرف منه الخير ، فقال : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين * لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ ، [سورة النور : ١٢ :١٦]

وقد قال تعالى : ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ ، [سورة الإسراء : ٣٦]

وهذا نهى عن التكلم بلا علم ، وهو عام فى جميع أنواع الأخبار ، وهو يتناول ما أخبر به الإنسان وما قد يعتقده بغير الإخبار من الدلائل والآيات ، والعلامات ليس له أن يتكلم بلا علم ، فلا ينفى شيئا إلا بعلم ، ولا يثبته إلا بعلم .

ولهذا كان عامة العلماء على أن للنافى للشئ عليه الدليل على ما ينفيه ، كما أن المثبت للشئ عليه الدليل على ثبوته .

وحكى عن بعض الناس أنه قال : النافى ليس عليه دليل ، وفرق بعضهم بين العقليات والشرعيات ، فأوجبه فى العقليات دون الشرعيات ، وهؤلاء اشتبه عليهم النافى بالمانع المطالب ، فإن من أثبت شيئاً ، فقال له آخر : أنا لا أعلم هذا ، ولا أوافقك عليه ، ولا أسلمه لك حتى تأتى بالدليل ، كان هذا مصيباً ولم يكن على هذا المانع المطالب بالدليل - دليل ، وإنما الدليل على المثبت بخلاف من نفى ما أثبته غيره فقال له قولك خطأ والصواب فى نقيض قولك ، ولم يكن هذا كذا ، فإن هذا عليه الدليل على نفيه ، كما على ذلك المثبت الدليل على إثباته ، وإذا لم يأت واحد منهما بدليل ، كان كلاهما متكلما بلا حجة .

ولهذا كان من أثبت شيئًا أو نفاه وطلبت منه الحجة ، فلم يأت بها كان منقطعًا فى المناظرة ، وإذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة فأجاب عنها ، انقطع المعترض عليه وثبت قول الأول ، وإن لم يجب عن المعارضة انقطع المستدل إذا كان الدليل الذى يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ، ولو أقام دليلا قطعيا فعورض بما لا يفيد القطع ، كان له أن يقول ما ذكرته يفيد العلم .

والعلم لا يعارضه الظن ، والبينات لا تعارض بالشبهات التى هى من جنس كلام (السوفسطائية) ، فهو سبحانه نهى عن الكلام بلا علم مطلقًا ، وخص الكلام على الله بقوله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾، [سورة الأعراف : ٣٣] ونهى عن اتباع خطوات الشيطان ، وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم ، فقال : ﴿ يا أيها الناس كلوا ممافى الأرض حلالا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل

نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ ، [سورة البقرة : ١٦٨ : ١٧٠]

وكذلك ذم من يجادل ويحاج بلا علم ، كقوله تعالي : ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ ، [سورة الحج : ٨] وقال : ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ ، [سورة الحج : ٣ ، ٤]

وقال تعالى :﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ، [سورة آل عمران : ٦٦]

وقوله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ ، [سورة الحجرات : ٦] يتناول خبر كل فاسق ـ وإن كان كافرـ لا يجوز تكذيبه إلا ببينة ، كما لا يجوز تصديقه إلا ببينة .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال (١) : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ،وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم »

وفى رواية (٢): « فإما أن يحدثوكم بحق ، فتكذبوه وإما أن يحدثوكم بباطل

---

(١) « صحيح »

رواه البخارى فى كتاب « التفسير » باب « قوله تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » (٨ح ٤٤٥٨)

ورواه أيضًا برقم (٧٣٦٢، ٧٥٤٢)

ورواه النسائى فى الكبيرفى كتاب « التفسير » باب « ومن سورة العنكبوت » (٦/٤٢٦ح ١١٣٧٨)

(٢) رواه أبو داود فى كتاب « العلم » باب « رواية حديث أهل الكتاب » (١٠/٧٦، ٧٧ح ٣٦٢٧)

ورواه أحمد (٤/١٣٦) عن « أبى نملة »

ورواه البغوى فى «شرح السنة » (١/٢٦٨ح ١٢٤)

ورواه البيهقى فى سننه (١٠/١٦٣) وقد ضعفه الألبانى كما فى « ضعيف سنن أبى داود (٣٦٢ح ٧٨٦)

فتصدقوه »

وهذا الذى دل عليه الكتاب والسنة من إمساك الإنسان عما لا يعلم انتفاؤه وثبوته هو مأثور عن غيره من الأنبياء ، كما جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال : « الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه » .

وعامة عقلاء بنى آدم على هذا ، ولهذا لا يجوز أن يصدق بخبر منقول عن الرسول أو غيره إلا بدلالة تدل على صدقه ، ولا يجوز أن يكذبه إلا بدلالة تدل على كذبه ، وعلى هذا العلم والدين ، وقد تكلم العلماء وصنفوا كتبًا كثيرة فى الجرح والتعديل فى الرجال ، والأحاديث .

فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط ، فهذا هو العدل المقبول خبره . ومنهم من يكون صدوقًا لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط ، فيقولون فى مثل هذا : هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه .

ومنهم من عرف بالكذب . وإذا روى الحديث من هو سئ الحفظ أو من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث ولم يثبتوه .

ثم تارة يقوم الدليل على كذبه ، وتارة يتوقفون فيه لا يعلمون أصدق أم كذب ؟ومثل هذا لا يعتقد ولا يثبت ولا يحتج به ، كالشاهد الذى شهد للمدعى وليس بعدل مرضى أو هو خصم أو متهم ظنين ، فهذا إذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه أو خطئه ، بل معنى ذلك أنه لا تقوم به حجة ، ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه .

والمدعى عليه إذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة ، فمعه حجة ترجح جانبه ، وقد ضم إليها الشارع اليمين كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « لو يعطى الناس بدعواهم لا ادعى رجال دماء قوم وأموالهم =

(١) متفق عليه

ولكن اليمين على المدعى عليه » ، فإذا لم يكن مع المدعى إلا مجرد دعواه فجانب المنكر أقوى من جانبه ، لأن معه أن الأصل فى الأيدى أنها محقة والأصل براءة الذمة ، ولكن قد يكون المدعى صادقًا ولا يكون له حجة ، وهذا كثير جداً فلا يدفع بمجرد الأصل ، بل يحلف المنكر ، فيكون يمينه مع الأصل حجة ، فيكون إنكار هذا مقابلا لدعوى هذا كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا ، ورجح المنكر بالأصل ، فيبقى على ما كان لا يسلم للمدعى ما ادعاه بمجرد دعواه ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه ، لأنه لم يأت بحجة تدفعه ، فإذا حلف المنكر كانت يمينه حجة فصلت الخصومة وقطعت الدعوى .

وإذا لم يأت المنكر باليمين ، بل نكل عنها ، ولا أتى المدعى بحجة وقف الأمر عند أكثر العلماء .

وعند بعضهم : يقضى على المنكر بالنكول فيجعل نكوله إما بدلاً لما طلب وإما إقراراً به .

والأكثرون يقولون : بل يرد اليمين على المدعى الطالب الذى يقول : إنه يعلم صدق نفسه فيما ادعاه وأنه عالم بما ادعاه فيقال له : احلف وخذ ، فإن حلف أخذ ،

=رواه البخاى فى كتاب « الشركة » باب « إذا اختلف الراهن والمرتهن » (١٧٢/٥ح ٢٥١٤)
ورواه أيضًا برقم (٤٥٥٢،٢٦٦٨)
ورواه مسلم فى كتاب « الأقضية » باب « اليمين على المدعى عليه » (١٣٣٦/٣ح ١٧١١)
ورواه أبو داود فى كتاب « الأقضية » باب « اليمين على المدعى عليه » (٤٧/١٠ح ٣٦٠٢)
ورواه الترمذى فى كتاب « الأحكام » باب « ما جاء فى أن البينة على المدعى ...» (٥٧٢،٥٧١/٤ح ١٣٥٧)
ورواه النسائى فى الكبرى فى كتاب « القضاء » باب « على من اليمين » (٤٨٥/٣، ٤٨٦ح ٥٩٩٤)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الأحكام » باب « البينة على المدعى ...»(١٣٢/٨ح١٣٠٨) (٧٧٨/٢ح ٢٣٢١)

وإلا دفع .

ثم من العلماء من يرد اليمين فى عامة الدعاوى .

ومنهم من يحكم بالنكول ؛ إن كان المنكر يقول : لا أعلم ما ادعى وكل من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة .

والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل ، وهو أظهر الأقاويل ، وهو أنه إن كان المنكر هو دون العالم المدعى كما إذا ظهر فى المبيع عيب وقد بيع بالبراءة فقال المشترى : أنا لم أعلم به فإنه هنا يقال له كما قال عثمان بن عفان لابن عمر رضى الله عنهما (١) : احلف أنك بعته وما به ذا يعلمه ، فإن حلف وإلا قضى عليه بالنكول ، كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول بناء عليه .

وإن كان المدعى يقول أنه يعلم ما ادعى به ، كمن ادعى على آخر ديناً أو عيباً فقال : أنا لا أعلم ما ادعيته احلف وخذ ، فإنه يقال له كما قال عمر بن الخطاب :

أنصفك خصمك احلف وخذ فإن لم يحلف لم يعط شيئًا .

والبينة فى الدعاوى عند أكثر العلماء هى : ما تبين الحق وتظهره وتوضحه ، كالدليل والآية والعلامة ، فمتى ترجح جانب أحدهما حلف مثل أن يقيم المدعى شاهداً ، فإنه يحلف مع شاهده ويقضى له بشاهد ويمين ، كما مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول أكثر العلماء ومنهم من يقول : اليمين دائماً فى جانب المدعي عليه ، وكذلك لو كان فى دعوى القتل لوث ولطخ وشبهة وهى علامات ترجح جانب المدعى ، فإن أولياء المقتول يحلفون خمسين يمينًا ، ويقضى

---

(١) رواه البيهقى كما فى « معرفة السنن والآثار »

ورواه أيضًا فى « السنن الكبرى » (٣٢٨/٥)

ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب « البيوع » باب « العيب فى الرقيق » (٦٢٣/٢ ح ٤)

لهم بذلك عند أكثر العلماء ، كما مضت بذلك السنة .

وكذلك فى اللعان إذا حلف الزوج وشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين ووكدها بالخامسة ، فقد أقام بينة على دعواه ، فإن التعنت المرأة وشهدت أربع شهادات مؤكدة بالخامسة أنه كاذب تعارضت البينتان والشهادتان ، فلم يحكم بقول واحد منهما لا يحكم بأنه قاذف ، ولا يحكم بأنها زانية .

وإن نكلت فلم تحلف فأكثر العلماء يقولون : يحكم بأنها زانية وتعذب على ذلك كما دل عليه القرآن لأنه اجتمع شهادة الزوج ونكولها عن المعارضة ، كما اجتمع في القسامة العلامة والإيمان ، وكما اجتمع الشاهد واليمين ، وكما اجتمع فى جانب المنكر الأصل واليمين .

فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة وبسطه له موضع آخر .

والمقصود هنا أن الخبر إن قام دليل على صدقه أو كذبه وإلا بقى مما لم نصدقه ولم نكذبه ، وأهل العلم بالحديث إذا قالوا : هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح أو ضعيف ، أو سيئ الحفظ ، أو ممن لم تقبل روايته ، ونحو ذلك ، فهو كقول القائل :هذا الشاهد مجروح أو سيئ الحفظ ، أو ممن لا تقبل شهادته ، وهذا يفيد أنه لا يحكم به ، ولا يفيد الحكم بأنه كاذب ، بل قد يمكن أنه صادق ، فلا يقال : أنه كاذب إلا بحجة .

وإن قالوا عن الحديث : إنه ضعيف ، فهذا مرادهم ، أى أنه لم يثبت ولا يحتج به ، ولا يجوز الحكم بصدقه ليس مرادهم أنه بمجرد ذلك يحكم بكذب الناقل ، وينفى ما نقله ويقول : إن هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفى ، بل إن قام دليل على انتفاء ما أخبر به حكمنا بذلك ، وإلا سكتنا لم ننفه ولم نثبته فهذا أصل يجب معرفته ، فإن كثيراً من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه ، وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته بل تراهم ينفون ما لم يعلموا إثباته فيكونون قد قفوا ما

ليس لهم به علم : وقالوا بأفواههم ما ليس لهم به علم ، وهذا كثير فى أهل الاستدلال والنظر وأهل الإسناد والخبر ، فمن الأولين طوائف يطلبون الدليل على ثبوت الشئ ، فإذا لم يجدوه نفوه ، ومعلوم أن عدم العلم ليس علمًا بالعدم وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود إلا إذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك إما بعلم أو ظن غالب ، فمن هؤلاء من يقول فى صفات الله مالم يقم دليل قطعى على إثباته ، وإلا وجب القطع بنفيه ، لأن صفات الله لا تثبت إلا بالقطع .

وخالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع فى الإثبات إلا بدليل قطعى ، فلا يجوز القطع فى النفى إلا بدليل قطعى على النفى ، فكما لم يجز أن يثبت إلا بعلم فلا ينفى إلا بعلم والنافى عليه الدليل كما على المثبت الدليل ، قال هؤلاء : هذه المسائل مبناها على القطع ، فإنه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن ، فإذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفى .

فقيل لهم : هذا حجة عليكم ، فإنكم إذا نفيتم ما لم تعلموا نفيه تكلمتم بالظن وإذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم فى القطعيات بلا قاطع نفيًا كان الكلام أو إثباتًا ، وليس يعلم فى الأدلة الشرعية أو العقلية أن كل مالم يقم دليل سمعى أو عقلى على إثباته ، فإنه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه ، بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم .

ومن هنا أخطأ كثير من النظار في نفى كثير من صفات الرب وأحكامه وأفعاله حيث لم يعلم دليلا قطعيًا يثبتها فنفوها وكانت ثابتة فى نفس الأمر وقد يكون عند غيرهم دليل قطعى يثبتها ولو قدر علم الناس كلهم بها ، فلله علم لم يعلمه العباد ، ولله أسماء استأثر بها فى علم الغيب عنده لم يعلمها الناس ، وليس إذا لم يعلم ثبوت الصفة يجب أن يعلم انتفاؤها بل وقد يظن ثبوتها او انتفاؤها وقد يشك فى ذلك ، فلا يعلم ولا يظن واحدًا منهما .

والواجب على الإنسان أن يقول لما يعلمه أعلمه ، ولما يظنه أظنه ولما يشك فيه أشك فيه ، والله تعالى لم يوجب علي الإنسان أن يقطع بانتفاء شئ إن لم يعلم أنه منتف ، فمن قال : إنه أوجب علينا القطع بانتفاء ما لم نقطع بثبوته ولا انتفائه فقد غلط ، وهذا بخلاف ما يناقض صفات الإثبات ، فإن هذا يجب نفيه عن الله .

فقد علم بالأدلة العقلية ، أن الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص مثل : أنه حى قيوم ، بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، وإنه خالق كل شئ ، وربه ، ومليكه ، وأنه غنى عن كل ما سواه بكل وجه .

فكل من قال قولا يناقض هذا ، علم أنه باطل ، كالذين قالوا إن له شريكًا ، أو ولدًا ، أو أنه يشفع عنده الشفعاء بغير إذنه ، ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له . وما كان من الأمور مستلزمًا لوازم لو كان موجودًا ، فإنه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، كالأمور التى لو كانت موجودة لوجب أن تنقل نقلا متواترًا شائعًا فإنه يقول بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، كما لو قال قائل : إنه بنى بين العراق والشام ، أو بين الحجاز والشام مدينة أعظم من بغداد والموصل وأصبهان ، ومصر وأنه بنى دورها فى ثلاثة أيام ، ونحو ذلك فإنه يعلم كذبه ، فإن هذا مما تتوفر همم الناس على نقله لو كان موجوداً ، فإذا لم يستفض هذا وينتشر ، علم أن المخبر به كاذب .

وكذا لو ادعى مدع أنه يوم الجمعة أو العيد قتل الخطيب ، ولم يصل الناس يوم الجمعة ، ولم يستفض هذا وينتشر أو ادعى أنه قتل بعض الملوك علانية بين الناس ولم يستفض هذا ولم ينتشر أو ادعى أنه بعث نبى بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم ، أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن أو الإنجيل ، واتبعه خلق كثير وكذبه خلق كثير ، فإنه يعلم كذب هذا ، إذ مثل هذا لابد أن يستفيض وينتشر .

وكذلك لو ادعي أن قريشًا أو غيرهم عارضوا القرآن وجاءوا بكتاب يماثل القرآن ،

وأنهم أظهروا ذلك وأبطلوا به حجة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذا مما يقطع بكذبه ، لأن مثل ذلك لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله .

وكذلك لو ادعى أن محمداً أمر بحج غير البيت العتيق ، أو أوجب صوم شهر غير شهر رمضان ، أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى ، أو أمر بالأذان والإقامة لغير الصلوات الخمس ، أوأنه قال علانية بين الناس لأبى بكر ، أو للعباس ، أو لعلى ، أو غيرهم : هذا هو الخليفة من بعدى ، فاستمعوا له وأطيعوا ، أو أن عليا دعا إلى نفسه فى خلافة الثلاثة ، وأمثال هذه الأمور التى لو وقعت ، لكان لها لوازم ، فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، ثم هذه اللوازم منها جلى ومنها خفى يعرفه الخاصة

فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب أحاديث لا يقطع غيرهم بكذبها ، لعلمهم بلوازم تلك الأحاديث وانتفاء لوازمها ، كما يقطع من يعلم مغازى النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يقاتل فى غزوة تبوك وإن غزوات القتال إنما كانت تسعة مغازى ، وأنه لم يغز بنفسه إلى اليمن ولا العراق ، ولا جاوز تبوك بعد النبوة ، وأنه لم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع ، ولم يصم إلا تسع رمضانات ، وهكذا يعلمون أن فلانًا أخطأ فى هذا الحديث على فلان ، لأنهم قد علموا من وجوه ثابته أن ذلك الحديث إنما رواه على صورة معينة فإذا روى غير الثقة ، يناقض ذلك علموا بطلان ذلك ، أو أنه خطأ وتعمد الكذب مثل ما يعلمون كذب من زاد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم (١): « لا سبق فى خف أو حافر ، أو نصل » فزاد بعض الناس فيه أو جناح ، لما رأى بعض الأمراء عنده حمامًا ، فعلموا أنه كذب تقربًا إلى ذلك الأمير ، وكما يعلمون كذب من روى أن مسيلمة وقومه ، كانوا مؤمنين بالله ورسوله وإنما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوه الزكاة ، فإنهم قد علموا بالتواتر أن مسيلمة ادعى النبوة ، واتبعه قومه على ذلك ، وأنه كتب إلى النبى صلى الله عليه

(١) « صحيح »

وسلم فى حياته قول : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، فكتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم (١) : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب » ويعلمون أنه كان له مخاريق ، وأنه ظهر كذبه من وجوه متعددة ، وأن أبا بكر الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه فى دعوى النبوة ، وقاتلوا قومه على ردتهم عن الإسلام ، واتباعهم متنبئًا كاذبًا ، لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة إلى أبى بكر .

وكذلك الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقتل فى حياته كل منهما عرف كذبه بتكذيب النبى الصادق المصدوق لهما ، وبما ظهر من دلائل كذبهما مثل الأخبار الكاذبة التى تناقض النبوة ومثل الإتيان بقرآن مختلق يعلم من سمعه أنه لم يتكلم الله به ، وإنما هو من تصنيف الآدميين ، كما قال أبو بكر الصديق لهم لما تابوا من الردة وعادوا إلى الإسلام : اسمعونى قرآن مسيلمة ، فلما أسمعوه إياه قال :ويحكم أين يذهب بعقولكم ، إن هذا الكلام لم يخرج من آل أى لم يخرج من رب ومثل ما كان يفعله ويأمربه من الفجور والكذب ، ومثل اطلاع أخص الناس علي أنه كان يكذب ويستعين بمن يختلق له الكذب ، ومثل أنه كان يعدهم بأن جبريل أخبره بأنه سينصر فلما حقت الحقائق قال لهم : إنه لا جبريل لكم ، فقاتلوا على أحسابكم ، إلى أمثال هذه الأمور التى تدل على كذب الكاذب .

= رواه أبو داود فى « الجهاد » باب « فى السبق » (٢٤١/٧ح ٢٥٥٧)

ورواه الترمذى فى كتاب «الجهاد » باب « ما جاء فى الرهان » (٣٥٢/٥ح ١٧٥)

ورواه النسائى فى كتاب « الخيل » باب « السبق » (٢٢٦/٦، ٢٢٧)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الجهاد » باب « السبق والرهان » (٩٦٠/٢ح ٢٨٧٨) وقد صححه الألبانى كما فى «صحيح الترمذى » (١٣٩/٢ح ١٣٩٠)

(١) سبق تخريجه

فالصدق له دلائل مستلزمة تدل على الصدق . والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب ، ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب إلا بدليل ، وما لا لم يعلم صدقه ، ولا كذبه ،ولا ثبوته ، ولا انتفاؤه ، فإنه يجب الإمساك عنه ، ويقول القائل : هذا لم أعلمه ولم يثبت عندى ، ولا أجزم به ، ولا أحكم به وأستدل به ، ولا أحتج به ، ولا أبنى عليه مذهبى واعتقادى وعملى ، ونحو ذلك .ولا يقول : هذا أقطع بكذبه وانتفائه ، وإن كنت أقطع أن من أثبته تكلم بلا علم ، فالقطع ، بجهل مثبته المعتقد له غير القطع بانتفائه ، فمن قطع بشئ بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه ، وإن لم يقطع بانتفائه ما أثبته فى نفس الأمر كمن حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت فى خبره ، فمن حكم وقطع بخبره من غير دليل يدل على صدقه ، حكمنا بأن هذا متكلم حاكم بلا علم ، وإن لم يحكم بكذب الشاهد المخبر لكن لا يجوز للإنسان أن ينفى علم غيره وقطع غيره من غير علم منه بالأسباب التى يعلم بها ويخبر ، فإنه كثيراً ما يكون للإنسان دلائل كثيرة تدل على صدق شخص معين وثبوت أمر معين ، وإن كان غيره لا يعرف شيئًا من تلك الدلائل

وهذا أيضًا مما يغلط فيه كثير من الناس ينظرون فى أنفسهم ومبلغ علمهم فإذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العلم بذلك الأمر ، جعلوا غيرهم كذلك من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير ، وقد يقيمون حججاً ضعيفة على أن غيرهم لا يعلم ذلك مثل ما يفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار ، ومن لم يساوهم فى نظرهم وأداتهم وقوة أذهانهم لا يعلم ما علموه وكثير من الناس يعلم بالإخبار والنقل والاستدلال بذلك أموراً كثيرة ، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين به ، وكمال معرفتهم بذلك لا يعلم ما علموه .

فلهذا ، كان لأهل النظر العقلى طرق لا يعرفها أهل الأخبار .

ولأهل الأخبار السمعيه طرق لا تعرف بمجرد العقول ، ولهذا كان لهؤلاء من

الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لا يعرفها أهل الحديث والآثار ، وعند هؤلاء من الأحاديث المتواترة عندهم والآثار المستفيضة عندهم ما يعلمون بها صدق الرسول ، وإن كان أولئك لا يعرفونها ، بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم منها طريق أو طرق لا يعلمه آخرون ، وهم مشتركون فى الإقرار بالله وبرسوله ، ولكل قوم طرق وأدلة غير طرق الآخرين وأدلتهم ، بل ما تواتر عندهم من أحوال الرسول قد يكون المخبرون لهؤلاء الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه غير المخبرين لأولئك ، كما كان الصحابة والمخبرون لأهل الشام بآيات الرسول وبالقرآن ، وشرائع الإسلام غير الصحابة المخبرين لأهل العراق ، ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء وإن كان كل من الطائفتين لا يعلم أعيان أولئك الذين أخبروا أولئك .

وهكذا سائر العلوم ، قد يكون الذى علم هؤلاء الفقه أو النظر ، أو النحو ،أو الطلب غير الذى علم هؤلاء ، وإن اشترك الجميع فى جنس الفقه ، والنظر ، والنحو والطب وعلم هؤلاء من الأعيان والأنواع مع أن طريق هؤلاء ليس طريق أولئك ، وإن اشتركوا فى النوع .

وعامة ما يعلمه الناس بالحس ، وهو من هذا الباب ، فإن الإنسان يحس بأحوال نفسه من جوعه ، وعطشه ، وشبعه ، وريه ، وحبه ، وبغضه ،وشهوته ، ونفرته وألمه ، ولذته ، بل يحس بأعضائه كبطنه ، وفرجه ،ولا يحس بأحوال غيره ، ولكن يشتركان فى الجنس العام ، فيشتركون فى جنس الإحساس بجوعهم وشبعهم وقد يشتركون فى غير ما يحسونه ، كاشتراكهم في رؤية الشمس والقمر والهلال ، والكواكب .

وقد غلط فى مثل هذا طائفة من المتكلمين فى المنطق اليونانى ، فزعموا أن العلوم التجريبية ، والتواتر به ، والحدسية ، قسماً غير التجريبية ، وفيهم من يجعل الحدسية نوعا من التجريبية ، ومنهم من يجعلها جنساً آخر ، فزعم هؤلاء أن هذه العلوم

مختصة لا تقوم بها الحجة على من لم يعلمها دون الحسيات والوجدانيات ، والعقليات .

وليس كذلك ، بل كما أن هذه تكون مشتركة تارة ، ومختصة أخرى فكذلك الحسيات ، فإن أهل كل زمان ومكان ، يعلمون ، بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان وأحوال أهله مالا يشركه فيه غيرهم .

وكذلك الوجدانيات : فإن من ابتلى بالغرائب فى الأمور السياسية والبدنية يعلم منها مالا يشركه فيه غيره .

وكذلك العقليات ، فإن من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع فيعلم القدر المشترك الذى هو الحد الأوسط ، ويعلم من تعلق الحكم به مالم يعلمه غير .

فأجناس العلوم وطرقها منها ما هو مختص ، ومنها ما هو مشترك ، والمشترك منه ما يشترك فيه جنس بنى آدم ، ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة ، فهذا أصل جامع ينبغى معرفته لمن تكلم فى هذا الباب .

فصل

وإذا كان جنس من يخبر الخبر قد يكون كاذبًا ، وقد يكون صادقًا ، فقد علم أنه ليس كل واحد أخبر بخبر يصدق مطلقًا ، ولا يكذب مطلقًا ، فلم يقل أحد من العقلاء إن كل خبر واحد ، أوخبر كل واحد يكون صدقًا ، أو يفيد العلم ولا أنه يكون كذبا ، بل الناس يعلمون أن خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم أنه صدق وإن كان خبر واحد ، وقد يقوم الدليل على كذبه ، فيعلم أنه كذب ، إن أخبر به ألوف إذا كان خبرهم عن غير علم منهم بما أخبروا به أو من تواطئ منهم علي الكذب مثل : إخبار أهل الاعتقاد الباطلةبالباطل الذى يعتقدونه ، وأما إذا أخبروا به عن علم منهم بما أخبروا به فهؤلاء صادقون فى نفس الأمر ، ويعلم صدقهم تارة بتواتر أخبارهم من غير مواطأة ، ولو كانا اثنين فإن الاثنين إذا أخبرا بخبر طويل أسنداه إلى علم ، وقد علم أنهما لم يتواطئا عليه ولا هو مما يتفق فى العادة

تماثلهما فيه فيه الكذب أو الغلط.

علم أنه صدق وقد يعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل تدل على صدقه ويعلم صدق خبر خبر الواحد بقرائن بخبره يعلم بها صدقه .

وتلك الدلائل والقرآن ، قد تكون صفات فى المخبر من علمه ، ودينه ، وتحريه الصدق ، بحيث يعلم قطعًا أنه لا يتعمد الكذب ، كما يعلم علماء أهل الحديث علمًا يقينيًا قطعيًا أن ابن عمر ، عائشة ،و أبا سعيد ، وجابر بن عبد الله وأمثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن أبى بكر ، وعمر وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأمثالهم ، بل يعلمون علمًا يقينيًا أن الثورى ، ومالك ، وشعبة ، ويحيى بن سعيد ، و عبد الرحمن ابن مهدى ، وأحمد بن حنبل ، والبخارى ، وأبا زرعة ، وأبا داود وأمثالهم لا يتعمدون الكذب في الحديث .

وقد تكون الدلائل صفات فى المخبر به مختصة بذلك الخبر ، أو تنوعه يعلم بها أن ذلك المخبر لا يكذب مثل ذلك الخبر ، كحاجب الأمير إذ قال بحضرته لعسكره إن الأمير قد أذن لكم فى الانصراف أو أمركم أن تركبوا غدًا ، أو قال : قد أمر عليكم فلانًا ونحو ذلك ، فإنهم يعلمون أنه لم يتعمد الكذب فى مثل هذا ، وإن لم يكن بحضرته ، فكيف إذا كان بحضرته وإن كانوا قد يكذبونه في غير هذا

وقد تكون الدلائل سماع من شاركه فى العلم بذلك الخبر وأقروه عليه فإن العادة كما تمنع التواطؤ على الكذب ، فإنها قد تمنع التواطؤ على الكتمان وإقرار الكذب ، والسكوت عن إنكاره ، فما توافرت الهمم والدواعى على ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر على كتمانه ، كما يمتنع فى العادة أن تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعى على نقلها فى الحج ، أو الجامع ، أو المعسكر ، وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ثم لا ينقل ذلك أحد .

وإقرار الكذب والسكوت عن رده أعظم امتناعا فى العادة من الكتمان فإن الإنسان فى العادة قد تدعوه نفسه إلى أن يسكت عما رآه وسمعه ، فلا يخبر به ، ولا تدعوه

نفسه إلى أن يكذب عليه ويخبر عنه بما يعلم أنه كذب عليه فيقره ولا ينكره إذ كانت عادة الناس إلى تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم فى الإخبار بما رأوه

وكذلك إذا كذب فى قضية وبلغ ذلك من شاهدها ، فتوفر الهمم على تكذيب هذا أعظم من توافرها على إخبارهم ابتداء بما وقع ، فإذا كانت من القضايا التى يمتنع السكوت عن إظهارها ، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعا .

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره فإن الإنسان قد يرى حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم ، وبين حمرته من الحمام ، وبين حمرته من الغضب .

وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل ، وبين صفرته من الحزن والخوف ، وبين صفرته من المرض فكما أن سحنته ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية من أمراضه المختلفة حتى أن الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته لا يحتاجون مع ذلك إلى نبض وقارورة .

فكذلك تعرف أحواله النفسانية ، هل هو فرح مسرور ؟ أو محزون مكروب ؟ ويعلم هل هو محب صديق مريد للخير ، أو هو مبغض عدو مريد للشر ؟ كما قيل :

تحدثنى العينان ما القلب كاتم والعين تشهد من عينى محدثها
إن كان من حربها أو من أعاديها

وكما قيل :

ولا خير فى السحناء والنظر الشزر

ثم إذا تكلم دل كلامه على أبلغ مما يدل عليه سيما وجهه ، كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ ، [سورة محمد : ٣٠] وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة ، والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس فى قلبه .

فبين أنه فى لحن قوله يعلم أنه كاذب ، وقال فى حق المؤمنين : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ ، [سورة الفتح : ٢٩] وقال فى حق الكافر : ﴿ عتل

بعد ذلك زنيم ﴾ ، [سورة القمر : ١٣] أى له زنمة من الشر ، أى علامة يعرف بها
وقد روى عن عثمان بن عفان أنه قال : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه .

وقد بسطنا الكلام على هذه فى مسألة الإيمان ، وبينا ما يقوم بالقلب من تصديق ؛ وحب لله ورسوله وتعظيم ، لا بد أن يظهر على الجوارح ، وكذلك بالعكس .

ولهذا استدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتقاء الملزوم الباطن ، كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ،ألا وهى القلب »

وكما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه يعبث فى الصلاة (٢) لو خشع

---

(١) « متفق عليه»
رواه البخارى فى كتاب « الإيمان » باب « فضل من إستبرأ لدينه » (١٥٣/١ح ١٥٢)
وررواه أيضًا برقم (٢٠٥١)
ورواه مسلم فى كتاب « المساقات » باب أخذ الحلال وترك الشبهات » (١٢١٩/٣: ١٢٢١ح ١٥٩٩)
ورواه ابن ماجه فى كتاب « الفتن » باب (١٣١٨/٢، ١٣١٩ح ٣٩٨٤)
(٢) « موضوع »
وقال الألبانى فى « الضعيفه » (١٤٣/١ح ١١٠) « عزاه السيوطى فى « « الجامع الصغير » « لرواية الحكيم عن أبى هريرة »
قلت : رواه الحكيم فى نوادر الأصول (١٨٤، ٣٥٢،٣١٧) عن أبى هريرة مرفوعاً
ورواه البيهقى فى سنن الكبرى موقوفاً عن سعيد بن المسيب (٢٨٥/٢) وقال الألباني أيضًا :« وقد صرّح الشيخ زكريا الأنصارى فى تعليقه على تفسير البيضاوى (٢/٢٠٢) بأن سنده ضعيف .
وهو أشد من ذلك فقد قال الشارح المناوى
رواه في « النوادر » عن صالح بن محمد بن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبرى عن أبى هريرة قال الحديث فذكره .
قال الزين العراقى فى «شرح الترمذى » : وسليمان بن عمرو هو أبو داود النخعى متفق على ضعفه .
وانما يعرف هذا عن ابن المسيب .
وقال فى «« المغنى» :« سنده ضعيف » والمعروف أنه من قول سعيد

هذا لخشعت جوارحه .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ ، [سورة المجادلة : ٢٢] وقوله : ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ ، [سورة المائدة : ٨١] وقوله : ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٦]

فإن الإرادة التى فى القلب مع القدرة توجب فعل المراد .

والسفر فى غزوة بعيدة لا يكون إلا بعدة ، ومن هذا الباب أن عثمان قال لعمر لما شاوره فى المرأة التى أقرت بالزنا : إنى أراها تستهل به استهلال من لا يعرف أنه حرام ، فإنه لما رآها تجهر بما فعلته وتحكيه من غير اكتراث ، تبين له أنها لم تعتقد تحريمه ، وأنه يذم وتعاقب عليه ، ووافقه عمر ، وعليٌ وغيرهما على ذلك .

والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه ، وبهجة وجهه سيما يعرف بها ، وكذلك الكاذب الفاجر ، كلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه حتى إن الرجل يكون فى صغره جميل الوجه ، فإذا كان من أهل الفجور مصراً على ذلك ، يظهر فى آخر عمره من قبح الوجه ما أثره باطنه وبالعكس .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال (١) : « إن للحسنة لنوراً فى القلب ، وضياء فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة فى القلب وسواداً فى الوجه ، ووهناً فى البدن ، وبغضاً فى قلوب الخلق » .

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب ، لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة فى الله

=رواه ابن أبى شيبة فى «مصنفه » وفيه رجل لم يسمى وقال ولده : فيه سليمان بن عمرو ومجمع على ضعفه . وقال الزيلعى : قال ابن عدى « : أجمعوا على أنه يضع الحديث .ثم تعقبه هذا الكلام بقوله :« الحديث موضوع مرفوعًا ، ضعيف موقوفًا

(١) « لم أقف عليه »

أو فى رسله ، أو فى دينه ، أو فى عباده الصالحين ، وتكون له زهادة وعبادة ، واجتهاد فى ذلك ، فيؤثر ذلك الكذب الذى ظنه صدقا وتوابعه فى باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله ، كما قال بعض السلف : لو ادهن صاحب البدعة كل يوم إن سواد البدعة لفى وجهه .

وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهوراً تاما ، كما قال تعالى : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين * وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾، [سورة الزمر: ٦٠، ٦١] وقال تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٠٦، ١٠٧]

وقال ابن عباس وغيره (١) : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة

والمقصود أن ما فى القلوب من قصد الصدق ، والمحبة ، والبر ، ونحو ذلك ، وقد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علماً ضروريا من أبلغ العلوم الضرورية ، وكذلك ما فيها من قصد الكذب ، والبغض والفجور ، وغير ذلك .

---

(١) رواه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » (آية آل عمران)

ورواه اللالكائى فى شرح أصول إعتقاد أهل السنة (١/٧١، ٧٢ح ٧٤) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢/٦٣) لابن أبى حاتم وأبو نصر فى الإبانة والخطيب فى تاريخه واللالكائى فى السنة وهذا الاثر ضعيف جداً «فى إسناده ا» على بن قوامة قال الخطيب (١٢/٥١) طوس الأصل حدث عن مجاشع بن عمرو وروى بإسناده عن محمد بن القاسم بن محرز قال سألت يحيى بن معين عن على بن قدامة فقال : وكيل بن هرثمة ؟ فقلت :نعم :فقال لم يكن البائس ممكن يكذب

مجاشع بن عمرو :قال ابن أبى حاتم فى « الجرح » (٨/٣٩٠) :« متروك الحديث ضعيف ليس بشئ وقال الذهبى فى الميزان » (٣/٤٣٦) : «كذاب »

والإنسان يرافق فى سفره من لم يره قط إلا تلك الساعة ، فلا يلبث إذا رآه مدة وسمع كلامه أن يعرف هل هو مأمون يطمئن إليه ، أو ليس كذلك ، وقد يشتبه عليه ذلك فى أول الأمر وربما غلط ، لكن العادة الغالبة انه يتبين ذلك بعد لعامة الناس .

وكذلك الجار يعرف جاره ، والمعامل يعرف معامله ، ولهذا لما شهد عمر ابن الخطاب رجل فزكاه آخر قالوا (١) : هل أنت جاره الأدنى تعرف مساءه وصباحه ؟ قال لا قال : هل عاملته فى الدرهم والدينار للذين تمتحن بهما أمانات الناس ؟ قال : لا ، قال : هل رافقته فى السفر الذى تنكشف فيه أخلاق الناس ؟ قال : لا ، قال فلست تعرفه . وروى أنه قال : لعلك رأيته يركع ركعات فى المسجد .

وذلك أن المنافق قد يظهر الصلاة فمن لم يخبره لا يعرف باطن أمره كما قيل :

ذئب تراه مصليا فإذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ما للفريسة لا تقع
وإذا الفريسة خليت ذهب التنسك والورع

فإذا كان ذلك : فمن نباه الله واصطفاه للرسالة ،كان قلبه من أفضل القلوب صدقاً وبراً ومن افترى على الله الكذب ، كان قلبه من شر القلوب كذباً وفجوراً ، كما قال عبد الله بن مسعود : إن الله نظر فى قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لرسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فاختارهم لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً ، فهو عند الله سئ .

وقال عبد الله بن مسعود (٢) : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ، فإن

(١) رواه البيهقي فى « سننه الكبرى » (١٠/١٢٥، ١٢٦) وانظر كنز االعمال (١٧٧٩٨)
(٢) « لم أقف عليه »

الحى لا يؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وإذا كان من أعظم ، بل أعظم أهل زمانه صدقاً وبراً ، فإنه لا بد أن يظهر على فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ما يناسب ذلك ، كما أن الكاذب الكافر لا بد أن يظهر على وجهه ، وفلتات لسانه ما يناسب ذلك .

وهذا يكون تارة حين إخباره بما يخبره به ، وتارة موجوداً فى غير تلك الحال فإن الرجل إذا جاء وقال : إن السلطان ، أو الأمير ، أو الحاكم ، أو الشيخ ، أو فلاناً أرسلنى إليكم بكذا ، فإنه قد يقترن بنفس إخباره من كيفيته وحاله ما يعلم به أنه صادق أو كاذب ، وإن كان معروفاً قبل ذلك بالصدق أو الكذب ، كان ذلك دلالة أخرى ، وقد يكون ممن يكذب ، ولكن يعرف أنه صادق فى ذلك الخبر دع من يستمر على خبر واحد بضعاً وعشرين سنة مع أصناف الناس واختلاف أحوالهم ، ومما ينبغى أن يعلم أن الناس تختلف أحوالهم فى المعرفة والخبرة ، والنظر والاستدلال فى جميع المعارف ، فقد يتفطن الإنسان لدلالة لا يتفطن لها غيره ، وقد يتبن له ما يخفى على غيره ، حتى الأنبياء يتفاضلون ، كما قال تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً ﴾ ، [سورة الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩]

والمقصود : أن العلم بصدق الصادق ، وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات قد يكون ضرورياً ، وقد يكون كسبياً نظرياً ، وهو ليس من الضروريات الكلية الأولية كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين ، بل من العلم بالأمور المعينة ، كالعلم بحمرة الخجل ، وصفرة الوجل ، وعدل العادل ، وظلم الظالم ، ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علماً ضرورياً ، وإذا كان استدلالياً ، فالمعرفة بالعلم لا تحصل بمجرد وجود الدليل فى نفسه ، بل لا بد من معرفة القلب به والناس متفاضلون فى ذلك والدليل أبداً

هو ما استلزم المدلول ، فكل ما كان مستلزماً للشئ ، كان دليلا عليه ، ولكن لابد من معرفته ومعرفة أنه مستلزم ، ثم إذا حصل العلم صار ضرورياً ، وقد يكون ضرورياً بلا واسطة دليل معين ، وليس العلم بالمغيبات ، كالعلم بصدق هذا ، وكذب هذا ، مما يحتاج فيها إلى القياس الشمولى ، فإن ذلك إنما يفيد بتوسط قضية كلية ، والمعينات قد لا يحتاج فيها إلى ذلك وإن كان لا بد فيها من خبرة بحال ذلك المعين ، وإذا كان القائل : إنى رسول الله ، إما أن يكون من خيار الناس وأصدقهم ، وأبرهم وأفضلهم ،وإما أن يكون من شرار الناس وأكذبهم وأفجرهم .

والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لا تكاد تنضبط ، كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا ، وكانت المعرفة بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا ، وخبر هذا ، ورؤية وجهه ، وسماع كلامه ، وما يلزم ذلك ، ويقترن به من بهجة الصدق ، ومن ظلمة الكذب ، وسواده ، وقبحه .

فتبين بذلك أن كثيراً من الناس يحصل لهم علم ضرورى بأن هذا النبى صادق وهذا المتنبى كاذب بمثل ذلك من قبل أن يروا خارقاً للعادة منفصلا عنه ، وقول بعض المتكلمين مالم يكن خارقاً للعادة ، فلا اختصاص للنبى به فلا يدل .

فيقال له : لفظ خرق العادة لفظ مجمل وإن نفس دعوى النبوة صدقاً وكذباً ليس هو أمراً معتاداً ، ولم يقع هذا إلا فى أفراد من العالمين ، وهو أقل بكثير من الإخبار بالمغيبات ، فإن هذا أكثر فى الوجود من دعوى النبوة ، إذ كل نبى يخبر بالمغيبات ، وليس كل من أخبر بها كان نبياً ، وهؤلاء الذين يقولون هذا يقول أكثرهم أو كثير منهم : إن دعوى النبوة ، والتحدى ، والمعجز مجموعها هو المختص بالنبى وإلا فهم يقولون : إن ما كان معجزة لنبى جاز أن يظهر على يدى ولى ، أو ساحر ، وإنما يفرق بينهما دعوى النبوة مع التحدى وعدم المعارضة ، ومنهم من ينكر أن خرق العادة يظهر على يد غير نبى ، ومنهم من لا يفرق بين الولى والساحر ، إلا ببر هذا ، وفجور هذا ، ومنهم من يطرد ذلك فى النبى لا سيما متفلسفة اليونان منهم ، فإنهم

من أجهل الناس بأمر النبوة إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء ، وما جاءوا به من الآيات والبراهين ، والعلم بصفاتهم ، وإنما أخذوها عن القياس على المنامات فجوزوا فيها مثل ما يجوز على النائم من الأحلام والتخيل ، وما يصيب أهل المرة السودا مما يشبه ذلك ، وهذا هو الموجود فى عامة أتباع أرسطو ، ولكن متأخريهم ، كابن سينا ضم إلى ذلك تصرفه فى هيولى العالم ، لما بلغه من خوارقهم الفعلية التى لم يكن يعرفها أولئك ، إذ كان علم أرسطو هو بما كان يعلمه قومه من اليونان ، وهم أمة أولاد يافث ، لم يكن فيهم ما فى أولاد سام ، كهود ، وصالح ، وغيرهما ، ثم أولاد إبراهيم الخليل الذى وعده الله أن يجعل فى ذريته النبوة والكتاب ، حتى يكون علم النبوة مشهوراً فيهم ، وقد جعل الله تعالى من زمن الخليل فى ذريته النبوة والكتاب ، كما أخبر بذلك فى القرآن ، وهم يعنى الفلاسفة لم يكونوا من ذريته ولا كانوا خبيرين بأحوال ذريته ، وقد ذكر طائفة منهم ، كمحمد بن يوسف العامرى وصاعد بن عباد الأندلسى ، أن أساطينهم أربعة : أبندقلس ، ثم فيثاغورث ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، قدموا الشام واستفادوا من بنى إسرائيل .

ولهذا لم يكن من هؤلاء ، من قال بقدم العالم بخلاف أرسطوا قالوا : فإنه لم يقدم الشام ، وذكر هؤلاء ، كمحمد بن يوسف العامرى وغيره ، أن أول من لقب بالحكمة : لقمان ، وأن أبندقلس استفاد منه ، ومن أتباع داود عليه السلام فإنه كان فى زمن داود ، وإذا كان هذا قول هؤلاء النظار من أهل الكلام والفلسفة ، فمجرد خارق العادة عندهم ليس وحده مستلزماً للنبوة حتى يكون وحده دليلا ، بل لا بد أن ينضم إلى ذلك التحدى وعدم المعارضة .

ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم ، كأبى الحسن وأتباعه ، هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب ؟ فقيل : لا يجوز ، لأنه علم النبوة فيمتنع أن يتخلف عنه مدلوله كسائر الأدلة

وقيل : بل يجوز ، ولكن الله لا يفعله ، ثم قيل : لأنه يستلزم عجزه عن تصديق

الرسول ، إذ لا طريق لنا إليه إلا المعجز عندهم ، وقيل : بل هو مقدور ممكن ، ولكن نحن نعلم اضطراراً أنه لا يفعله مثل كثير مما يمكن فى العادة ونعلم أن الله لا يفعله ، وجميع من جمع بين القولين ، وقال : مجموع ما يدل على النبوة وهو الخارق السالم عن المعارض مع التحدى يمتنع أن يكون لغير نبى ، بخلاف جنس الخارق .

فقيل له : هذا الامتناع إما أن يكون عادياً ، وإما أن يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبى ، وذلك ممتنع ، فإنما كان ممتنعاً لاستلزامه أمراً ممتنعاً ، وإذا كان انقلاب العادة ليس عندك ممتنعاً فلا بد لك من ذلك الجواب ، وهو القول بأننا نعلم ضرورة أن ذلك لم يكن ، ثم إذا علمت أن هذا علم ضرورى ، وإن العلم بدلالتها على الصدق أمر ضرورى ، كالمثل الذى ضربته فى إرسال الملك رسولا ، وقول رسوله : إن كنت صادقاً فغير عادتك بقيامك ، ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول ، فإن ذلك يوجب العلم الضرورى بصدق الرسول .

وقيل لك : الملك نعلم عاداته ، ونعلم أنه فعل ذلك للتصديق ، والرب عندك لم يخلق شيئاً لشئ .

فقلت : بل يخلق شيئاً مقارناً لشئ ، كالعاديات ، وهذا منها ، فقيل لك : العاديات قد تكررت ، فقلت : قد نعلم ذلك بلا تكرار ، وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية ، كدلالة اللفظ على قصد المتكلم .

وقلت : قد نعلم قصده اضطراراً من غير سبق مواضعه ، وهذه العلوم الضرورية التى ذكرت أنه يعلم بها صدق الرسول وإن كانت حقاً .

فجمهور الناس يقولون : إنك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا ويقولون القول بأنه خلق المعجزة له قصد التصديق مع القول بأنه لا يخلق شيئاً ، لأجل شئ .

فقلت : لا يشترط فى العلم الضرورى العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا .

فقيل لك : هب أنه كذلك ، لكن لا يحصل العلم الضرورى مع العلم بما يناقضه ،

والمقصود أن ما يذكره هؤلاء وأمثالهم من النظار بل وعـامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقـائق المعلومة أشد منهم وأصـوب فيما ينفـونه ، فإن الإنسان بما يثبته أعلم منه بما ينفيه ، وشـهادته على الإثبات أقوى من شهـادته على النفى ، وإن كان النفى قد يكون معلوما ، لكـن غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به ، أكثـر من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به ، ولهذا قال تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ ، [سورة يونس : ٣٩]

ولهذا تجد من سلك طريقاً من الطرق ، إما فى إثبات العلم بالصانع ، وإما فى العلم بالنبـوة ، أو العلم بالمعـاد ، أو غيـر ذلك ، وأى أحـد يقـول : لا طريق إلا هذا الطريق يخطئ فى النفى أكـثـر من خطإه فى الإثبـات ، ومنهم هؤلاء ، فإنـهم قد ينفـون من العلم والطرق ما يعلمـه غيرهم بالاضطرار ، ويثـبتون ما يقـولون إنه معلوم بالاضطرار وقـد يـكون غيرهم أصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه ، بل وفيما يثبتونه .

ولهذا كان الذين اتفقوا على أنه لا طريق إلا المعـجزات يتنوعون فى وجه دلالتها ، فيثبت هؤلاء وجها يستدلون به وينفون طريق غيرهم وبالعكس .

فإذا قالوا : ما سوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبى فلا يدل على نبوته .

قيل لهم : الدليل هو الذى يكون مستلزماً للمدلول يلزم من تحقـقه تحقق المدلول ، ولفظ الخـارق للعـادة فـيـه إجـمـال كـمـا تقـدم ، وحـيـئـذ فنفس إنبـاء الـله للنبى ، واصطفائه لـرسالته ، وإقـداره على التلقى من الملك هو من خـوارق العادات ، وذلك من المعجزات التى أعجز الله الخلق أن يفعلوه ، وهو مختص بالأنبياء ، وهذا الوصف أجل وأعظم قدراً من غيره من الخوارق ، والمستلزم لهذا الخـارق لا يكون إلا خارقاً ، وهو الدليل إذ يلزم من ثبـوت الملزوم ثبـوت اللازم ، ومن انتفـاء اللازم انتفـاء الملزوم والمعتاد الذى يوجد بدون النبوة لا يكون دليلا .

وأمـا ما لا يوجـد إلا إذا وجدت النبـوة ، فهـو دليل فـقد تبين أن كل مـا يدل على

صدق الرسول وهو خارق للعادة يكون آية ونبوة على صدقه ، وأما ما يكون خارقاً للعادة ولا يستلزم النبوة ، فليس دليلا ، وقد يكون الشئ معتاداً بدون النبوة ، ومع النبوة ، يكون خارقاً للعادة ، بحيث يكون وجوده مع النبوة خرقاً للعادة بخلاف وجوده مجرداً عنها ، لأن النبوة خرق للعادة ، فلا يكون مستلزماً لها إلا خارق للعادة .

فقول القائل لا يعلم صدقه إلا بالمعجزة وهو الخارق للعادة إن أراد به المعنى العام ، وهو ما يستلزم صدقه ، بطل تخصيصه ذلك بما يخلفه منفصلا عنه من الآيات .

وإن أراد بذلك نوعا مخصوصاً مع اشتراك الجميع فى الدلالة ظهر بطلان قوله .

وأما ما يوجد بدونها كما يوجد معها كالأمور التى تكون للصادق فى دعوى النبوة والكاذب فى دعوى النبوة ، فهذه لا تدل وما يظهره الله على يد النبى لا يكون له من الدلالة إلا ما يستلزم كذبه ، فكل ما يدل على كذب الكاذب لا يدل على صدق الصادق وبالعكس ، فإن دليل الكذب مستلزم له ، ودليل الصدق مستلزم له ، وهما ضدان يمتنع أن يكون مدعى النبوة نبياً صادقاً ، ومتنبئاً كاذباً ، والضدان لا يجتمعان ، فيمتنع أن يكون شيئاً واحداً يدل على الضدين ، فتبين أن دليل الصدق يمتنع أن يدل على الكذب ودليل الكذب يمتنع أن يدل على الصدق ، وهذه القاعدة ينتفع بها فى مواضع .

منها : أن كثيراً من الناس إذا رأوا الكاذب وسمعوا كلامه ، تبين لهم كذبه تارة بعلم ضرورى ، وتارة بعلم استدلالى ، وتارة بظن قوى .

وكذلك النبى الصادق إذا رأوه وسمعوا كلامه ، فقد تبين لهم صدقه بعلم ضرورى ، أو نظرى ، وقد يكون أولا بظن قوى ، ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً ، كما فى العلوم بالأخبار المتواترة والتجارب ، فإن خبر الأول يفيد نوعا من الظن ، ثم يقوى بخبر الثانى والثالث يصير حتى يقينياً .

وهذه الطريقة سلكها طوائف من الناس ، وممن نبه على ذلك : القاضى عياض . قال القاضى عياض : إذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمنا من جميل أثره ، وحميد سيره وبراعة علمه ، ورجاحة عقله ، وحلمه وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله ، لم يمتر فى صحة نبوته ، وصدق دعوته قال : وكفى هذا غير واحد فى إسلامه ، والإيمان به .

فروينا عن الترمذى ، وابن قانع ، وغيرهما بأسانيدهم (١) : « أن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب » رواه غير واحد كعبد الوهاب الثقفى ومحمد ابن جعفر ، وابن أبى عدى ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، عن زرارة بن أبى أوفى ، عن عبد الله بن سلام ، وعن أبى رمثه البلوى قال (٢) : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فأريته ، فلما رأيته قلت هذا نبى الله »

وروى مسلم فى صحيحه وغيره عن ابن عباس (٣) أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون فقال : لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال : فلقيته فقال يامحمد إنى أرقى من هذه الريح ، وأن الله يشفى على يدى من شاء

---

(١) «صحيح »

رواه الترمذى فى كتاب « صفه القيامة » باب «١٥» (١٨٨،١٨٧/٧ح ٢٦٠٣)

ورواه ابن ماجه فى كتاب « الإقامة » باب « ما جاء فى قيام الليل » (٤٢٣/١ح ١٣٣٤)

ورواه أيضًا برقم (٣٢٥١)

ورواه الدارمى فى كتاب « الصلاة » باب « فضل صلاة الليل » (٤٠٥/١ح ١٤٦٠)

ورواه أحمد (٢٨٢/٤) وصححه الألبانى كما فى « صحيح ابن ماجه » (٢٢٣/١ح ١٠٩٧)

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ

(٣) تقدم تخريجه

الله ، فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » فقال : أعد على كلماتك هؤلاء فأعادهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، لقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومى » الحديث .

وقال جامع بن شداد : كان فينا رجل يقال له طارق ، فأخبر أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال (١) : هل معكم شئ تبيعونه ؟ قلنا : هذا البعير ، قال بكم قلنا : بكذا وكذا وسقا من تمر ، فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت : أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر ولا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال : أنارسول الله إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا .

وفى خبر الجلندى ملك غسان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فقال الجلندى (٢) : والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وإنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفي بالعهد ، وينجز بالموعود ، وأشهد أنه نبى .

---

(١) تقدم تخريجه

(٢) رواه البيهقى فى « الدلائل » (٥/٣٨١) وعزاه ابن كثير فى « البداية والنهاية » (٥/٨٥، ٨٦)

وقال نفطويه فى قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ﴾ ، [سورة النور :٣٥] هو مثل ضربه الله لنبيه يقول (١) : يكاد منظره يدل على نبوته ، وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة :

لو لم يكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر

قالت : وإيمان خديجة ، وأبى بكر وغيرهما من السابقين الأولين ، كان قبل انشقاق القمر ، وقبل إخباره بالغيوب ، وقبل تحديه بالقرآن ، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذى هو نفسه آية مستلزمة لصدقه ونفس كلامه وأخباره بأنى رسول الله مع ما يعرف من أحواله مستلزم لصدقه ، إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه ، بل خديجة قالت له : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق فكانت عارفة بأحواله التى تستلزم نفى كذبه وفجوره ، وتلاعب الشيطان به .

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم ، وكان معظماً فى قريش لعلمه وإحسانه وعقله ،. فلما تبين له حاله علم علماً ضرورياً أنه نبى صادق ، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً علماً وحالا .

وكذلك هرقل ملك النصارى لما أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، سأل عن عشرة خصال ، كما فى الصحيحين عن ابن عباس قال (٢) : « حدثنى أبو سفيان بن حرب من فيه إلى في قال : فبينما انطلقت فى المرة التى كانت بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هدنة أنا بالشام إذ جىء بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ، قال : وكان دحية الكلبى جاء به ، فدفعه إلى عظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل .

---

(١) وأشار إلى هذا الخبر ابن اسحاق كما فى السيرة (٣٣٨/٤ ، ٣٣٩) دون ذكر تفاصيل القصة وعزاها ابن كثير في « البداية والنهاية لابن اسحاق كما فى سيرة ابن هشام

(٢) ورد نحو ذلك من قول «كعب الأحبار» لابن عباس ، رواه الطبرى فى « تفسيره » (١٠٦/١٨)

فقال هرقل : هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟

قالوا : نعم . قال : فدعيت فى نفر من قريش : فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه .

قال : أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟

قال أبو سفيان : قلت : أنا ، فأجلسونى بين يديه وأجلسوا أصحابى خلفى ، فدعا بترجمانه ، فقال :

قل لهم : إنى سائل عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ، فإن كذبنى فكذبوه ، قال : فقال أبو سفيان : وايم الله لولا مخالفة أن يؤثر على الكذب لكذبت عليه .

ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب ، قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت :لا: قال: ومن اتبعه ؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم قلت : بل ضعفاؤهم.

قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا . بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ قال : قلت : لا . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال :

قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه .

قال فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه على مدة ما ندرى ما هوصانع فيها ، قال : فوالله ما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه .

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال : قلت : لا

قال لترجمانه : قل له : إنى سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذا الرسل تبعث فى أحساب قومها ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فزعمت أن

لا فقلت : لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك عن أتباعه ، أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يكذب على الله .

وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ فزعمت أن لا . فكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم ، وسألتك هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ،ثم تكون لها العاقبة ، وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو قال هذا القول أحد قبله قلت : رجل ائتم بقول قيل قبله ، ثم سألتك :بما يأمركم ؟ قلت يأمرنا بالصلاة ، والزكاة والصلة والعفاف قال : إن يكن ما تقول فيه حقًا :إنه لنبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي » ثم دعا بكتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، إذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ،من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين »

و ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ ، [سورة آل عمران : ٦٤]

وفي رواية فماذا يأمركم به ؟ قال : يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدقة والعفاف ، والوفاء بالعهد

، وأداء الأمانة ، فقال : هذه صفة نبى .

وما استدل به ملك النصارى هرقل من العلم بصفاته هو استدلال على عينه فإن الناس فى النبوة على درجات ،. منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوة ، فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من كذب به من قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وغيرهم .

ولهذا يقول تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٠٥] ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٢٣] ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾، [سورة الشعراء : ١٤١] لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد ، بل كانوا مكذبين لجميع الرسل وهؤلاء يخاطبهم الله فى السور المكية ، كقوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩١]

فاحتج بإنزال كتاب موسى لما تواتر فى خبره من الآيات الباهرات الدالة على صدقه ، والإنجيل تبع للتوراة ، ثم قال : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٢] لما قام من الآيات الدالة على نزوله .

ولهذا يذكر سبحانه فى السورالمكية من تثبيت أمر الرسل ، وآياتهم وبراهينهم ونصرهم ، وحسن عاقبتهم ، ومن ضلال مخالفيهم وجهلهم وغيهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة .

ومن الناس من يقر بالرسل فى الجملة لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم ، كالملاحدة وأهل البدع الذين يعظمون الأنبياء مع اعتقادهم فى الباطل ما يناقض بعض ما جاءوا به لشبهات انعقدت فى قلوبهم ظنوها علوماً عقلية ، وهى مناقضة لما أخبرت به الرسل ، فيحتاجون إلى أن يوفقوا بينهما هؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا * أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغًا ﴾ ، [سورة النساء : ٦٠ : ٦٣]

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن ، فقال تعالى :﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً * ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون * أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ ، [سورة الأنعام : ١١٢ : ١١٥]

وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديًا ونصيراً ﴾، [سورة الفرقان : ٣١] وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف :

أهل التخييل : من الملاحدة المتفلسفة ، والباطنية الذين يقولون : إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق فى نفس الأمر فيخلوا إلى الجمهور ما ينتفعون به ويعدون هذا من فضائل الرسل ، وقد بسط على هؤلاء فى غير موضع .

وأهل التحريف والتأويل : الذين يأولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ، ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنى مع أنه ليس فى كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى ، بل كلامهم يدل على إرادة خلافة .

وأهل التجهيل : الذين يقولون : ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا

غيره ، إنما هو يعلمه الله وحده ، وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل ، وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع .وأما من قال : إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذى بينه الله لهم بكلامه ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه ، كما استأثر بعلم غيب الساعة ، فهذا قول السلف ، والأئمة ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا : أن الكلام فى النبوات تارة فى جنسها ، وتارة فى شخص النبى المعين ، وهرقل ملك الروم لم يكن محتاجًا إلى الإيمان بجنس النبوات ، فإنه كان من أهل الكتاب وأهل الكتاب يقرون بجنس النبوة ، فإنهم يقرون بنبوة نوح ، والخليل ، وموسى وأنبياء بني إسرائيل ، والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والإنجيل .

والذين يحتاجون إلى معرفة النبى المعين نوعان :

نوع : عرفوا أنه يبعث نبى وقد يعرفون بعض نعوته ، فيحتاجون أن يعرفوا عينه ، وهرقل وأمثاله من أهل الكتاب ، كانوا من هذا النوع ، فكانوا يعلمون أن نبيًا سيبعث ، وإنما كانت حاجتهم إلى أن يعرفوا هل هو هذا النبى المذكور أو غيره ؟

فيكون ما يحتاجون إليه من دلائل صدقه أيسر مما يحتاج إليه من لايؤمن بالرسل ، أو لا يعرف أن نبيًا سيبعث ، ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدرى هل يبعث نبى أو لا ، يحتاج أن يعلم أن هذا المعين هل هو من جنس الأنبياء الصادقين ، أو من جنس المتنبئين الكاذبين ؟ وهذا يعرف بما يخصه من آيات صدقه وباعتبار ما جاءبه الأنبياء قبله ، فإن أصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه ،وهى الأمور التي لا تقبل النسخ ، كالإخبار عن الله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم الآخر .

فهذا مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه ، إذ كان كل مايخبر به النبى فهو صدق ، والأخبار الصادقة لا تتناقض ولا تقبل النسخ ، ولكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض ذلك من بعض ، وفى كلام بعضهم من الأخبار ببعض ذلك ما ليس فى كلام

بعض .

وما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ، هو أكمل وأكثر مما أخبر به موسى ، والمسيح صلوات الله وسلامه عليهم .

وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض أخبار الأنبياء كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به ، وهذا ممتنع ، بل لا بد أن يكون المعارض العقلي خطأ ليس بمعقول صحيح ، أو السمعي لم يثبت عنهم ، ولفظه أو دلالته ، وكذلك الأخبار لا بد أن يكون أحد الخبرين كذبًا أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر .

وأما الأصول الجامعة ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وبر الوالدين ، والصدق ، والعدل ، وتحريم الأجناس الأربعة وهى : الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغى بغير الحق ، والإشراك بالله ، وأن يقال عليه غير الحق ، وذلك مثل ما ذكره فى سورة الأنعام ، والأعراف وبنى إسرائيل .

وقد تنازع الناس فى مثل هذا ، هل يمكن نسخه ، وتنوع الشرائع فيه ؟

على قولين : فمن جوز أن يأمر الله بكل شئ ، وينهى عن كل شئ ، رد ذلك إلى محض المشيئة لا إلى صفات تقتضى الأمر بهذا دون هذا فإنهم جوزوا دخول النسخ فى هذا ، وتنوع الشرائع فيه ، كما يقوله جهم بن صفوان، والأشعرى ومن وافقه من أصحاب مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وإن كانوا قد يقولون : إنه لم يقع فيه نسخ .

وإما جمهور الناس من السلف والخلف ، فإنهم لا يجوزون دخول النسخ فى هذا ، ولا تنوع الشرائع فيه .

ولهذا كان دين الأنبياء واحدًا كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إنى بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٥١ :٥٢]

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ ، [سورة الشورة : ١٣]

وقال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، [سورة الروم : ٣٠]

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال (١) :« إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» .

وهذا مبسوط فى موضع آخر . والحمد لله رب العالمين .

(١) سبق تخريجه

فهرس

الجزء الرابع

من كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »

* دانيال النبى يؤول رؤيا « بخت نصر » الملك ٣
* من بشارات دانيال بالنبى ٤
* كعب : ينقل صفة النبى عن التوراة. ٥
* أشعياء يصف العرب ٦
* كلمة الإنجيل وتفسيرها ٦
* ما جاء فى الإنجيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦
* من دلائل نبوة نبينا أنه أخبر بمثل ما أخبر به الرسل السابقون بدون ما تواطئ ولا تشاعر ٢٣
* دين الأنبياء واحد ، وشرائعهم مختلفة ٣٣
* ابن تيمية يرد « الفرية » القائلة : « إنما يعلمه بشر » من وجوه ٣٤
* إنباء النبى بالغيب ، يدل على أن النبوة « إنباء من الله » خلافًا لابن سينا ، ومن نحا نحوه ٣٤
* السماء حرست بعد « بعثة النبى » فلم يستطع جنى استراق السمع ٣٧
* حتى أعداء النبى ، يعترفون بصدقه ، قبل البعثة وبعدها ٤٢
* عتبة بن ربيعة يعرض على النبى أشياء ليكف عن دعوته. ٤٨
* الكفار يحنون لسماع الوحى ٥١
* الكفارواليهود يسألون : ورسول الله صلى الله عليه وسلم : يجيب ٥٤
* المعجزة ، والآية ، والبينة ، والبرهان ٧١
* معجزات القرآن ٧٥
* الرأى القائل بأن إعجاز القرآن (بالصرفة) وضعفه وتخاذله ٧٩
* سيرة النبى ، وسير الصالحين من أتباعه ؛ آيات له ٨٤
* صفات الرسول الخلقية والخلقية ٩١

* عرض فكرة المعاد فى الإسلام ، من معجزات النبى العظيمة ١١٦
* الأمة الإسلامية ، أعدل الأمم ، وأهداها سبيلا ، فى العلوم ١١٨
والعقائد والأخلاق وسائر المعارف سواء أكانت إلهية أم بشرية ١٢٢
* من أدلة صدق محمد صلى الله عليه وسلم ١٣٧
* من آيات النبى صلى الله عليه وسلم ، ودلائل نبوته (قصة الفيل) ١٤٣
* ومن آياته صلى الله عليه وسلم ، منع الجن من استراق خبر السماء ١٤٤
* هل القرآن هو المصدر الوحيد من مصادر التشريع ، والدليل الفذ
من أدلة الاستدلال ؟ * أو أن السنة العملية والقولية المتواترة ؛
بهذه المثابة ؟ ١٥٠
* مما فى القرآن من الإخبار بالغيبيات المستقبلة ١٥١
* نبينا صلى الله عليه وسلم ، فاق جميع النبيين صلوات الله
وسلامه عليهم ، فى المعجزات الفعلية والخبرية ، ١٥٥
* قصة المقاطعة ، وما حدث للصحيفة مع (الأرضه) ،
وإخبار النبى عن ذلك ١٦١
* الرسول ينبئ عن نهاية أمية بن خلف ١٩٧
* انشقاق القمر من آيات النبى العلوية ٢٠١
* الإسراء والمعراج ؛ من مظاهر تكريم الله لنبيه ٢٠٩
* ابن تيمية يدلل على إمكان الإسراء والمعراج ٢١٢
* المطر يهطل ، ويقلع ، بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ،
فى الاستسقاء والاستصحاء ٢١٦
* « نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور » وآيات النبى فى
نصر الرياح له ٢١٨
* من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ٢٢٠
* فصل ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم : تكثير الماء ،
والثمار ، والطعام ببركة دعائه ٢٣٦

* من تأثير النبى صلى الله لعيه وسلم فى الأحجار والجماد ٢٥٩
* ومن معجزات الرسول صلي الله عليه وسلم إنزال الله
الملائكة لتحارب معه ٢٦٢
* ومن آياته : عصمة الله له من الناس ٢٦٧
* انتقام الله من أعدائه ، ومن المستهزئين به ٢٧١
* من إكرام الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، إجابة دعائه فى
الأمور الخارقة للعادة ٢٧٨
* تواتر النقل لمعجزاته صلى الله عليه وسلم ، وفيه رد على الذين
يزعمون أن معجزاته * صلى الله عليه وسلم الحسية أحاديث
آحاد * ٢٩٤
* من أخطاء الجهلة والعوام فى المعجزات والكرامات ٢٩٨
* هل أفعال الله لعلة ؟ ٣٢٤
* نوعا الأدلة ٣٤١
* دلائل صدق الأنبياء متنوعة ،. فمنها ما هو قبل البعث ومنها
ما هو بعده ، ومنها ما هو بعد الموت ٣٤٢
* هل يجب على النبى إجابة المتعنت إلى آية ثانية ، أو هل
يجب على القاضى إجابة الخصم إلى بينة أخرى ؟ ....
* العلاقة بين النبوة وبين (الخبر المتطقى) ٣٥٦
* هل الظن يعارض العلم ؟ ٣٦٠
* التثبت عند تلقى الأخبار ، قبل الحكم عليها بالصدق أو بالكذب ٣٧٢
* الصدق يظهر أثره على الوجه وكذلك . الكذب ٣٧٦
* صدق النبى يظهر من مرآه وسماع كلامه ٣٨٥
* هرقل يستدل على صدق النبى ٣٨٧
* الذين ناقضوا بعض ما أخبرت به الأنبياء ثلاثة طوائف ٣٩١
* من الغالطين : من يظن تناقض بعض أخبار الأنبياء ٣٩٣